

كتاب

نظم الحكم والادارة في الدولة العثمانية في عهد مرادجه دوسون

اي

في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر

للمؤلف

مرادجه دوسون سفير دولة اسوج في الاسكندرية المتوفى سنة ١٨٠٧

نقله الى العربية : فيصل شيخ الارض

رسالة ندمت الى دائرة التاريخ في جامعة بيروت الاميركية

لنيل شهادة اسناد في العلوم

الجامعة الاميركية في بيروت

يناير ١٩٤٢

محتاج البحث

<u>الصفحة</u>	
١ - ٣	فهرست المقدمة
١ - ٥	تمهيد
٥ - ٢٦	المقدمة
١ - ٦٨	<u>الباب الاول : البلاط</u>
٢ - ٣	الفصل الاول - السراي
٣ - ١٦	الفصل الثاني - موظفو القصر
	الطبقة الاولى : الموظفون المنتهون الى هيئة العلماء
	= الثانية : = الملقبون بالغاوات الركاب السلطاني
	= انتائه : الامناء
	= الرابعة : موظفو الصيد
	= الخامسة : الموظفون التابعون لرئيس الخصيان السود
	= السادسة : = = = المكتب
	= السابعة : رجال الحرس
	= الثامنة : حرس السراي
١٧ - ٢٠	الفصل الثالث - موظفو داخل البلاط والخدم الخلفاء
	الفرع الاول و فرقة رجال الحرس
	= الثاني : بيت المال
	= الثالث : دائرة المكتب
	= الرابع : دائرة السفر
	= الخامس : الخصيان السود
	= السادس : = البيخري

الفصل الرابع - الحرم العمائوني	٤٠ - ٢٠
- الخامس - السلطنة الوالدة	٤١
- السادس - السلطنات	٤١ - ٤٤
- السابع - الأميرات بنات السلطان	٤٥
- الثامن - أبناء السلطان الحاكم	٤٥ - ٤٧
- التاسع - أمراء البيت المال	٤٧ - ٤٩
- العاشر - المساجد	٤٩ - ٦٨

٦٩ - ٨٦ الباب الثاني : الصدر الأعظم ودائرتهم (الباب العالي)

الفصل الأول - الصدر الأعظم	١٩ - ٧٦
- الثاني - وزراء الدولة	٧٦ - ٧٧
- الثالث - أمراء سر الدولة	٧٧ - ٧٨
- الرابع - بقية موظفي هذه الدائرة	٧٨ - ٨١
- الخامس - حاشية الصدر الأعظم	٨١ - ٨٦

٨٧ - ٩٥ الباب الثالث : الوظائف السنوية

٩٦ - ١٠٤ الباب الرابع : الديوان

١٠٥ - ١٢٣ الباب الخامس : مالية الدولة

الفصل الأول - نظام المالية	١٠٥ - ١١٢
الفصل الثاني - دائرة المالية	١١٢ - ١٢٣

١٢٤ - ١٢٦ الباب السادس : الولايات

١٢٧ - ١٨٥ الباب السابع : حالة الدولة العثمانية العسكرية

الفصل الأول : الجيوش المنظمة التي تتناول مرتبات وتكون دائمية الخدمة .	١٢٨ - ١٦٦
---	-----------

الانكدارية - الجبهه جبهه - الطوبجية - الطوب -
عريجه - اسبابه - السلحدار - بقية فرق الجيش
المنطقة .

الفصل الثاني : العساكر التي تعتانر من الاقطاعات العسكريه	١٦٧ - ١٧٠
الفصل الثالث : العساكر التي تقدمها الزيات	١٧٠
الفصل الرابع : فرقة الحرس الباشاوات وحنود المقاطعات الخاضعة لهم	١٧١ - ١٧٢
- الخامس : الحبوش الغير عادية والفرق الحرة	١٧٢ - ١٧٤
- السادس : في الحرب	١٧٤ - ١٨٩
بحرية الدولة العثمانية	١٨٩ - ١٩٧
علاقات البلاط العثماني مع الدول الاجنبية	١٩٨ - ٢٣١

لمحة مختصرة عن حياة دوسون
مؤلفه في تاريخ الدولة العثمانية
رأى المورخين فيه
قيمة الكتاب التاريخية

المقدمة :

١ - نظم الحكم والادارة في السلطنة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني
١ - النظم والعادات التي حملوها معهم عند مجيئهم الى بلادناضول

٢ : ما اخذوه عن الصين : النظام والتوقيت

ب : = = = اجدادهم التتر

(١) من حيث لغتهم التركية في تركيبها ولفظها ومطاطعتها وقواعدها

(٢) = = العادات

٢ - ما اقتبسوه عن الاتراك السلاجقة الذين كانوا يجاورونهم جهة الشرق

ا : كان الاتراك السلاجقة واسطة توفيق بين الاساليب والنظم التركية القديمة

العجمية والاسلامية - وبين اساليب ونظم العثمانيين .

ب : منتجات السلاجقة انفسهم التي وهي ثمرة اختباراتهم = في فن مساه الدفاتر

• في فنهم الخاص في تشييد الابنية الدائمة مثل القنادق والخانات والمساجد .

ج : انشاء السلاجقة عدة طرق دينية موهمة احتلت مركزها في الحياة العثمانية .

٣ - النظم والمعارف التي اقتبسها العثمانيون عن العباسيين

١ - في الناحية الدينية

ب - في الناحية الاجتماعية

ج - اخذوا الالف باء عنهم

د - في القرن التاسع جاء شباب اتراك للخدمة عند الخلفاء العباسيين واحتلوا

ارفع المراكز . ان تشقهم في بلاطات الخلفاء والحكام اثر كبير على افكارهم

٤ - النظم التي تاتربدا العثمانيون من العجم .

(ا) - تعاليم الملوك

(ب) - التفريق بين موظفي البلاط وبين موظفي الحكومة

(ج) - تقسيم الوزارة الى خمس دوائر

(د) - ايجاد مجلس شورى للدولة

(هـ) - اعطاء صلاحيات واسعة لحكام الولايات

(و) - وضع الضرائب

(ز) - ابهة واحتفالات البلاط

(ح) - تاتروا بهم عندما احتكوا معهم في العصر العباسي

(ط) - من الناحية الادبية .

٥ - النظم التي استمدوها من البيزنطيين

(ا) - موافقة تعاليمهم وتعاليم اوقلاطون

(ب) - النظام الادارى والحربي ، في الترتيبات الحكومية

(ج) - نظام الضرائب

(د) - حفلات البلاط والابهة والعظمة

(هـ) - التمثيل الخارجى

(و) - في العادات والاعمال - بصورة اقل -

(ز) - لعلهم اخذوا عنهم الاسلوب الاقطاعي في شكله النهائي

(ح) - حبهم للرواتب والهدايا .

٦ - ما اخذه العثمانيون عن غير البيزنطيين من الشعوب المسيحية

(ا) - عن سكان اسيا الصغرى الاصليين الذين كانوا يحفظون تعاليم اربعة عشر قرنا واكثر .

ان لا يمكن لهذه التعاليم ان تزول في خمسة قرون او اقل حتى الى الابد .

(ب) - عن سكان جنوب اوروىا الذين كلوا مثل سكان اجيا الصغرى يحملون بحبي الثقافات

والتعاليم نفسها .

ج) - يميزون من رجالات الدولة العثمانية يتحدرون من اصل مسيحي . لهذا يمكننا القول بان قسما من مدنيتهم ونظمهم الحكومية جاءت عن خريق المسيحيين كما جاءت عن طريق المسلمين .

ب- صلاحيات السلطان

ا) - يحد الشرع من سلطته

ب) - العادات القديمة تمنعه من سن القوانين والانظمة

ج) - صلاحياته تنفق حسب قوة وضعف شخصية السلطان .

ج - صلاحيات الصدر الاعظم

د - صلاحيات الوزراء

هـ - حالة السلاطين بعد السلطان سليمان

ا) - اخلدوا الى الدعة والسكينة وانقطعوا الى ملذاتهم

ب) - عدم ذهابهم الى الحرب على راس جيوشهم

ج) - تركوا زمام الامور للصدور والعظام .

و - حالة الجيش العثماني بعد عصر السلطان سليمان

ا) - ضعف نظام التجنيد وضعف القيادة العسكرية .

ب) - عدم الطاعة بين الجنود وتحروهم على السلاطين

ج) - سوء الادارة في الحشمين البرى والبحرى .

ز - حالة الدولة الداخلية بعد القرن السادس عشر

ا) - فوضى التعيين وعدم اهلية رجال الدولة .

ب) - البطء في سير الاعمال الدولية الداخلية والخارجية

ح - حالة الشعوب النفسية والثقافية

ا) - التعصب الاعى لعاداتها القديمة

ب) - الجهل العام المتفشى بينها .

ان المؤلفات التي تبحث في تاريخ السلطنة العثمانية كثيرة جدا تعد بالمئات كتبت بلغات عديدة .
 انما الادوار التي مرت بها الدولة منذ اول عهد عا حتى يومنا هذا وما صار فيها من الاحداث الجسيمة
 وما قامت به من علاقات حرية وسلمية وتجارية مع مختلف ملان اسيا واوريا وافريقيا والادوار التي
 لعبتها في مصير هذه الملان . ان كل هذه الاسور وغيرها لفتت انظار كبار المؤرخين ودفعتهم
 الى كتابة تاريخ الدولة العثمانية .

وقد

تمت بالمادة واسعة والموضوع غريفي ومشعب الى اقسام عديدة / ساعلم الكتاب في طريقها وكان
 اغلبها يدور حول الناحية السياسية والحرية والتجارية . ولم يتكلم عن الناحية الادارية وعن نظام
 الحكم سور نفر قليل منهم . وهذا النفر القليل لم يعن العناية الكافية بهذا الموضوع فلم يغرد له
 كتابا خاصة ولم يؤمن حقه من البحث والاستقصاء اذ جاء عرضا مع سياق الحديث ، مما يستثنى
 من هذا النفر القليل المؤرخ "ليبير" Lybier مؤلف كتاب : *The Government of the
 Ottoman Empire in the time of Suleiman the Magnificent* "Cambridge 1913"
 الذي صدر عام ١٩١٣ ، والمؤرخ الاسويجي Mouradjea D'ohsson وقد افرد كتابا خاصا من مؤلفه
 الكبير "Tableau Général de l'Empire Ottoman" الذي صدر في باريس سنة ١٨٢٠ في التكلم عن
 ادارة الحكومة العثمانية والولايات ووصف السلطان والبنلاط والصدر الاعظم والوزراء والدبوان
 والجنش والبحرية وعلاقات الدولة مع الدول الاجنبية . اي كل ما عمو متعلق بالناحية الادارية
 وذلك كما كانت في ايامه اي في اواخر القرن الثامن عشر واول القرن التاسع عشر . وهو اوفى
 بحث ظر في هذا الموضوع حتى الان لطال الحقبة من الزمن . وما يؤسف له ان هذا المؤلف
 العظيم نادر الان وخصوصا في الشرق ولا يوجد منه نسخ كاملة حتى في كبرى المكتبات .
 كما هو الحال في المكتبة الظاهرية في دمشق ومكتبة الالباء اليسوعيين في بيروت . ولا يوجد
 منه في مكتبة الجامعة اميركية في بيروت سوى القسم الاول فقط مع هذا المؤلف . الامر الذي

دعا استاذي الفاضل الدكتور اسد رستم (١) الى توجيه اهتمامي نحو هذا الكتاب النفيس وان

(١) يقضي الاستاذ الدكتور اسد رستم نسخة كاملة من هذا المؤلف الكبير في الطبعة الثالثة هي من مقتضات الامر محمد سليم به

اجعله موضوع رسالة وذلك بنقله الى اللغة العربية التي تفتقر الى مثل هذا البحث القيم املا
ان تحصل الفائدة المرجوة منه وان يطلع العرب على ماحيل نظام الحكم والادارة في الدولة العثمانية
التي حكمت بلادنا مدة اربعة قرون .

سوف انكر في بادئ الامر ان شينا عن حياة المؤلف دوسون وعن كتابه كما عرضها
هو . ثم انتقل بعد ذلك الى التكم عن شتى المصادر التي استمد منها العثمانيون نظم ومبادئ
الحكم وذلك كي يتعرف القارئ الى الانس التي بنى عليها العثمانيون قوانين الادارة في سلطنتهم
لان دوسون كما ذكرت سابقا لم يبحث مفصلا في الاحالة الدولة كما كانت في عهده .

يقول دوسون في افتتاحية مؤلفه بانه من " الصعوبة بمكان خرق السحب الكثيفة التي

تحجب امة ليس من السهل الاتصال بها لانها ذات موانع وعصبية دينية تفصلها عن شعوب
اوربا اضعف الى ذلك الصعوبات الطبيعية والاخلاقية والسياسية . ولهذا السبب لكيما يتمكن الانسان
من تكوين فكرة صحيحة عن هذه الامة يترتب عليه ان يعيش بينها . ولقد اتصلت بوزراء وسفراء الدول
الاجنبية الذين اقاموا في العاصمة العثمانية فاخبروني عن الصعوبة التي يجاوبها الانسان اذا حاول
القيام بدرس هذه الامة . هذا عدا الاخطار التي يمكن ان تعترضه ويخوف في عمله .

وشل هذا الدرس يتطلب ^{فوق} ذلك احوالا كثيرة واحوالا مناسبة . وعلى الباحث ان يعيش زمنا طويلا
طويلا بين السكان وان يحسن لئلا يتعرف الى نتوجات افكارهم وان تكون عنده مبادئ عن ديكلتيا
ديانتهم ومن صدر بمقرتهم . ويجب ان يكون له معارف من بين كبار رجال الدولة ومن الضرورة
اخيرا ان يكون الباحث في منصب سياسي وفي خدمة دولة صديقة للبلاط العثماني والا يكون
موضع رتبة او مكان من وزراء وموظفي الدولة . ويمكننا القول اذا بانه اذا لم تتوفر للباحث كل هذه
السهل فانه من الصعب جدا عليه ان يصل الى معرفة هذا الشعب وحكومته معرفة صحيحة حققة .
فلقد ولدت في الاستانة وريت فيها وكنت طفلة حياتي في خدمة دولة متملة بالباب العالي
بروابط عداقة متينة . لهذا فان السهل فتحت امامي اكس من اي انسان اخر للتغلب على
هذه الصعاب التي ذكرتها ولانهاء العمل الذي انتهيت القيام به .

وبعد ان قرأت كتب المؤرخين العثمانيين وقابلتها مع مؤلفات الاجانب الذين لم يحسنوا
كتابة تاريخ السلطنة وجدت ضرورة كتابة تاريخ الدولة العثمانية فباشرت العمل مستمدا معلوماتي

من الاصول عينها اي من النصوص والسجلات التي تدونها الدولة . ولكنني وانما في وسط هذا العمل الطويل شعرت بضرورة اطلاع القارئ قبل كل شيء على الامة العثمانية من ناحية عقائدها وديانها وعاداتها وادارة حكومتها . واظلمه بصورة خاصة على ذلك القانون العام الذي دونه ابراهيم الحلبي وسماه " ملتي الابحر " والذي يؤلف التشريع الديني الاسلامي لهذه المملكة الواسعة ولكل الشعوب الاسلامية .

" ولكن يعترض هذه الناحية من العمل صعوبات عديدة غير التي تعترض كتابة التاريخ . اذ يتطلب للحصول على هذه المعلومات الضرورية استقصاءات جمة وحمودا قوية . الا ان كل هذا لم يقلل من عزمي . فان عملي المتواصل ووسائل الاستعلامات التي كنت احصل عليها يوما بواسطة منجني والعمال الخاصة التي كنت اقوم بها في خدمة الباب العالي مباشرة وعلاقاتي الشخصية مع كبار موظفي الدولة ان كل هذه العوامل جعلت مؤلفي يتجاوز حد الاتقان الذي كنت اتصوره له .

" فقد اخذت من جهة استعلم عن كل فرع ادرسه راخذت من جهة ثانية ادرس في الكتب الاصلية عقائد وتوانين الامم العامة . وكان ذلك بمساعدة عالم ديني وفقهه اشتهر بثقافتهما ولديما اعتبارا جليل في البلاد .

" فلقد حصلت على كل الدقائق المتعلقة بادارة الدولة من الوزراء والموظفين وكذلك من كل رؤساء ~~كاتب~~ ^{مكتبة} الدوائر الحكومية . فقد اولوني كل عولا عظيمهم وافتخارهم واطلعتهم حتى على منتخبات سجلاتهم الخاصة وهي الان بين يدي ومرحعي في التحقيق عن كل شيء ادونه . لان الحقيقة والاتقان الصحيح يؤلفان في نظري قيمة هذا الكتاب الرئيسية الذي هو ثمرة جهود ~~مطالع~~ عشرين سنة . وكان سرورهم عظيما من عملي هذا في ترجمة تواريخهم لاعطاء اوربا فكرة صحيحة عن الدولة العثمانية . وظلوا يولوني عظيمهم ويشرفوني به حتى يوم سفرى من الاستانة وكان ذلك في التاسع من شهر اذار عام ١٢٨٤ .

" وكانت معلوماتي المتعلقة بالسراى والسلطان وقصره مستقاة من موظفي البلاط انفسهم . وانا مدين للنساء والهاريات المنتمين للسراى بحصولي على دقائق معلوماتي عن السلطانات والخواتين والحرم السلطاني . اذ من المعلوم ان كثيرات منهن يتمكن من الحصول على حريتهن بعد خدمة عدة اعوام وبعدها ينادرن القصر ويقدمن كزوجات لموظفي البلاط الذين يجدون

دائما في طلب ايديهم آملين الترقية بواسطتهم لانهم يتمتعن بعطف السلطانات .
 " ولقد تمكنت به اسطة النساء والموظفين المسيحيين الذين يمكنهم الوصول بسهولة الى
 اميرات وسلطانات القصر عندما يكن خارج السراى من تصحيح الافكار الخاطئة التي كانت
 عندى عما يتعلق بالسلطانات وحريم السلطان .

" وانني سوف ابحت في القانون الديني بكامله وكل ما يتعلق بتطبيقه واعماله مع
 وصف البلاط والسراى والولايات والمالية والحالة العسكرية والقوى البرية والبحرية والقضاء
 وحياة السلطان الخاصة والمراسيم المتعلقة باداب ابياء وكر ما يتعلق بالسلطانات والحريم .
 ونلاحظ من هذا ان الكتاب ينقسم بصورة عامة الى قسمين كبيرين تميزين ومنفصلين تمام
 الانفصال ~~من~~ بعضهما الاول يتناول ناحية الشرع الاسلامي والثاني يبحث في ادارة
 السلطنة العثمانية " ~~عن بعض~~

هذا ما قاله دوسون عن نفسه اما حكم الكتاب ~~من~~ الذين نقلوا عنه فان
 معظمهم مجمع على مدح مؤلفه وعلى اخذ القسم الاول ~~من~~ الذى يؤلف اكثر من ثلاثة
 ارباع مادته . اما القسم الثاني فان الحكم عليه كما اعرف حتى الان قليل لان المؤرخين كما
 ذكرت سابقا لم يعنوا بناحية نظم الحكم والادارة في الدولة العثمانية عدا " ليبير " Lybier
 الذى يبحث عن ذلك ولكن ~~من~~ عما يتعلق بعصر السلطان سليمان فثاى في القرن السادس عشر .
 لهذا فان كتاب دوسون لا يمكن ان يكون مرجعا للمؤرخ " ليبير " Lybier الا ان هذا
 الاخير يقول : ان دوسون وفون هامر فمما النظام الديني للسلطنة العثمانية ولكنهما لم يعرفا
 النظام الادارى وقد توصل Ranke الذى استعان بالمؤلفات الطليانية اكثر منهما على
 فهمه . واكثر اطلوعا ~~من~~ من Ranke ايضا هو المؤرخ Zinkeisen الذى استعان بالمؤلفات
 الطليانية اكثر من الاول " لاننا ~~نلاحظ~~ هنا اهمية معرفة اللغة الطليانية لمعرفة التاريخ العثماني
 لان سفراء البندقية هم اول من اتصل بالدولة العثمانية وفهموا حالتها الداخلية والخارجية .
 ومؤلفاتهم عديدة وقيمة كما يشهد على ذلك كبار المؤرخين .

نلاحظ من حكم " ليبير " Lybier عن دوسون ان القسم الاول من مؤلف هذا الاخير
 هو افضل من القسم الثاني . اننا يجب علينا الانهضم حقه والآن نخفف من قيمة واهمية بحثه

ونقول بأنه كان بإمكانه أن يعد لنا وصفاً طويلاً وافياً عن تاريخ النظام الإداري للسلطنة العثمانية لو أنه اطلع على المؤلفات الطلبانية ولكنه لم يفعل وأراد فقط إعطاء صورة عن العالم الإداري والبلاط العثماني كما هما في عهده . إن دوسون ذكر بإيجاز بعض نواحي النظام الإداري ولكن هذا لا يعني بأنه أساء فهم بحثه أو جهله . بل يجب علينا أن نقدر الظروف التي ألف فيها دوسون فمما يبحثه المؤلف أنه فضل الأهم على المهم كما رأاه هو في زمانه . فمما كان لمدرسة البلاط أهمية كبرى في القرن السادس عشر أي في العصر الذي كتب عنه "ليبير" مما لا شك فيه وقد خفت أهميتها في القرن الثامن عشر أي زمن دوسون لهذا فإنه من المحتمل أنه لم يسل البحث فيها بسبب ذلك.

المقدمة

نظم الحكم والإدارة في السلطنة العثمانية قبل عصر دوسون

نظم الحكم والإدارة في السلطنة العثمانية في عهد سليمان القانوني (١)

لقد اجمع المؤرخون على أن السلطنة العثمانية وصلت في عصر السلطان سليمان إلى ذروة مجدها وأيام عزها وكمال قوتها . ولهذا فلمعرفة إدارة الحكم في ذلك الوقت لا يمكن الاقتصار فقط على البلاط والوزارات والاحتفالات والتكلم عن المؤلفين ووضع لائحة بأسماء الولايات وأعمالها . إن معرفة عامة لأهم الأفكار السياسية التي كانت حياة السلطنة هو ضروري وأساسي . وبما أن أكثر هذه الأفكار قديمة ومجربة ولها رتبته ومختلفة فاصبح من اللازم أن نطلع على هذه الأفكار تاريخياً من أساسها أي من مصادرها الأصلية . ومن هنا نلاحظ بأنه ليس بكاف الرجوع إلى الزمن الذي ظهرت فيه السلطنة العثمانية إلى حيز الوجود بل لأن الاتراك الذين كانوا يؤلفون قلب هذه الدولة والمسلمين والمسيحيين الذين التفوا حولها اقتوا من مختلف البلاد الدانية والفاصة كل هؤلاء كانوا يحلمون بمعهم ولكن بصورة ضبابية أكثر هذه الأفكار التي كانت الإدارة الحكومية . لهذا يجب أن نرجع بعيداً إلى الوراء إلى البيزنطيين اليونان والسلاجقة الاتراك والمسلمين

(١) اعتمدت على كتاب "ليبير" بسيرة خاصة في كتابة هذه الناحية من البحث .

من العجم والبلاد العربية والى الاتراك من اواسط اسيا حتى ان كثيرا من هذه الافكار يمكن ارجاعها الى الصين والتتر وبارت وروما وبابل ومصر (١)

بعد ان واجهت القبائل البربرية امبراطورية الصين مدة من الزمن بدأت هذه بدورها في النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد تقوم بمجمعات على كل البلاد الممتدة من سور الصين حتى بحر قزوين فخفضت كل هذه الارجاء لها وارسلت جيوشها وحكامها وساست جميع تلك البلاد . الا ان امرا خضع في القرن الثالث للميلاد ولكن ما لبثت ان قويت عند اتساع الحكومة الاسلامية وتقدمه نحو الشرق وتمكنت من الوقوف بوجه توسعهم وسيطرت على بلاد اواسط اسيا فخفضت لها القبائل التترية في القرن السابع والثامن والتاسع فتعلمت هذه لكثرت القبائل منها النظام والترتيب وعبر ذلك من الاعمال والتعاليم الادارية .

ان كلمة تتر تطلق على الشعوب والقبائل الساكنة بين الصين وبحر قزوين . وقد انقسموا منذ القرن الوسطى الى فرعين كبيرين : المنغول والاتراك . وهذا التقسيم يطبق بصورة عامة الى مدى كثرة او قلة شبههم بالصينيين والى مدى بعدهم او قربهم من بلاد الصين . وهناك كثير من القبائل لا يمكن تطبيق هذا الحكم عليها . فالقبيلة التي يشبه اهلبا الصينيين هي منغولية والقبيلة التي تختلف كثيرا عن الصينيين هي تركية . والشعوب التركية هي اذا تلك التي دخل في دمها اكبر كمية من الدم القوقازي . كان مركزها الاصلي في بلاد منغوليا ولكنها في العصور التاريخية سكنت البادية الممتدة ما بين صحراء عوبيا والقولغا متصلة باشباهها القبائل المنغولية من الشرق بالابريانيين في الجنوب وبالسلافيين في الغرب .

ان قسما لا بأس به من الافكار والعادات التي كانت للعثمانيين في القرن السادس عشر جاءهم عن طريق اجدادهم التتر . من ذلك لغتهم التركية في تركيبها ونطقها ومقاطعها وقواعدها وعدد كبير من الكلمات التي تتعلق بالحياة . واللغة التركية الاصلية هي بالنسبة للعثمانيين كما هي اللغة الانجلوسكسونية للانكليز وتكون اللغة العجمية لتلك كما هي اليونانية لهذه والعربية لتلك كما هي اللاتينية لهذه . وسبب ذلك ان العثمانيين كانوا يقبلون الشيء الغريب كما ياخذون اسمه ايضا بدون اجراء او تحريف فيه تقريبا . ومن هذه العادات العثمانية الراجعة لاصل تترى محبتهم للضيف .

(١) كتاب Lylyer ، The Govt. of the Ottoman Empire in the Time of
Suleiman the Magnificent ص (٤)

وللحرب والغزو مع اراء عدائية في الطرق والوسائل التي تمكنهم من الوصول الى هدفهم هذا مع ميل فطري للحكم والسيطرة أضف الى كل ذلك حبهم للقديم والحياة الحرة . كما عندهم شل التتر نوع من بلادة الذهن وعدم الابتكار والصبر على المكاره .

اقام الامير عثمان مؤسس الدولة العثمانية في اواسط اسيا الصغرى مع قبائله المؤلفة من اربع مئة واربعين عائلة وقد كان على راسها . وكان يحد البلاد التي سكنها جهة الشرق دولة السلاجقة الاتراك وجهة الغرب الامبراطورية البيزنطية وكانت كلتاهما على درجة عالية من المدنية والرفي فكان من الطبيعي على القبائل الترحمة البدوية ان تتاثر منهما وتأخذ عنهما من جراء احتكاكها بهما . وفعلنا فانما اقتبست عنهما اشياء كثيرة تتعلق بالحياة العقلية والاجتماعية والادبية والفنية والادارية . فساعدتهم ذلك في انشاء دولة قوية بسطت سلطانها على شعوب وممالك عديدة وان سرعة تقدمهم هذا وهم من اصل حقير وضمن مناسبات غير جيدة وانشأهم دولة قوية هو من اعرب الاشياء في التاريخ كما يقول " ليلير " *Lilier* وفعلنا فانه بعد مضي قرنين وربع من تاريخ استقلالهم تمكنوا من توحيد كل المدن التي على البحر الابيض المتوسط ضمن امبراطورية واحدة وهذه هي الغرسة يحصل فيها مثل هذا الامر .

لقد اخذ العثمانيون عن السلاجقة اشياء كثيرة . وبما ان الفريقين احتكاك بالعباسيين فانه من الصعب تعيين ما اخذه العثمانيون عن العباسيين وما اخذوه عن السلاجقة . انما يمكن القول بان الاتراك السلاجقة كانوا كواسطة توفيق بين الاساليب والنظم والعادات التركية القديمة وبين الاساليب والنظم العجمية والاسلامية . وماذا كان فقد اخذ العثمانيون عنهم منتوجاتهم الخامة التي هي ثمرة اختياراتهم منها مثل ^{من} مساكن الدفائر وقدم الخاص في تشييد الابنية العامة مثل الفنادق والخانات والمساجد . وقد كان انشاء السلاجقة عدة طرق دينية مهمة اقتبسها عنهم العثمانيون واحتلت مركزها في حياتهم الداخلية .

وساذكر الان ما اقتبس العثمانيون عن العرب وعن العباسيين بصورة خاصة . وكان يجب ان اتكلم عن تاثير البيزنطيين عليهم ولكن سوف ارجي ذلك الان لعلنا بان ما استمدوه من العباسيين هو متم لما اخذوه عن السلاجقة من العلم بان هؤلاء ايضا قد تاثروا بالعباسيين واخذوا عنهم اشياء كثيرة . ولقد ذكرت بانهم ليس من السهل تعيين دقائق الاشياء التي اخذوها عن كل الفريقين . لهذا فانا نكتفي بايراد ما تاثروا به من العباسيين .

أخذ الترك منذ أواخر القرن الثامن ينزحون عن بلادهم الأصلية في أواسط آسيا متجهين نحو بلاد العجم والفرس . وكان عمال أبي العباس السفاح مؤسس الخلافة العباسية يبشرون دعوتهم في نراسان وإجازة من البلاد ~~فكل من دخل~~ بينهم وبين العرب احتكاك لا تعرف مدرتاثيره منهم ولكن نقول بـ ~~رعاة~~ غير مدنيين المكان راسان أن تأثير العرب على الترك كان أكبر من كل شيء في الناحيتين الدينية والاجتماعية ~~كما اعلمهم~~ الآلاف بأه العربية . أما تأثير العباسيين عليهم فقد بدأ تقريباً في القرن التاسع عندما أخذ كثيرون من شيان الترك يقدون إلى العراق ويخدمون عند الخلفاء كجنود ثم كخوارج وظلوا كذلك يتقدمون إلى أن احتلوا أرق النواحي في أذربايجان . الخلفاء العوية بين أيديهم يولون من يريدونه منهم ويخدمون من لا يعجبهم إلى أن أصبحت مقدرات الخلافة العباسية كلها في أيديهم وأصبح يطلق على دورهم - ~~زرا~~ ~~المعتمد~~ النفوذ التركي وشيئاً بين سنة ٨٤٧ و ٩٤٥ . أن انقسمت هذه الدولة بين العرب وشتاقم في بارسات الخلفاء والحكام قد اثروا بد كبراً على عاداتهم وطرق عيشتهم وأخلاقهم ونظمهم . ويوجد في كتاب سياسة نامه رشاعن هذا التأثير ~~مختصر~~ ^{مختصر} فيد على الاخص كيف حصل تعلم الجندي . هكذا تعلم الترك من العرب والفرس وبهذه الطريقة علم العشاقون ~~انفسهم~~ ^{العثاقون} ~~الذين~~ المسلمين في تلك المدارس التدبيرة مدارس البلاد .

لقد قلت بان تأثير العرب على الترك كان أكبر كل شيء في الناحيتين الدينية والاجتماعية الا ان هاتين الناحيتين تتضمنان امشاً كثيرة لا يمكن سردها كلها الا ان انا نكتفي بالإشارة إلى بعضها منها مثل كل تعاليم القرآن والشرع وما لها من تأثير على سلطة السلطان وعلى إدارة الحكم ومن الضرائب واجراء العدل والقضاء الخ . . .

لم يكن تأثير الفرس على العشاقين باقل من تأثير العرب . ان يظهر بان الفرس الاقدمين اعطوا العشاقين عدداً لا بأس به من النظم التي تتعلق بالحكم والإدارة نكتفي بتعداد أهمها وهي تعاليم الملاء . ومن المعلوم ان الشرائع المبينة على اعمال النبي محمد واعمال الخلفاء الراشدين تمنح الابدعة والظهور واجام والعظمة من أي نوع كانت ولك في العصر العباسي تأثير الخلفاء بالفرس واخذوا عندهم ابدعة وعظمة الملاء . وقد كان اول سلاطين آل عثمان بسطاً وظلوا كذلك حتى زمن مراد الثاني . ولكن بعد فتح القسطنطينية كانت أكثر قوانين محمد الثاني تبحث في اصول ومراسيم الحفلات وتنظيم الرتب ، " قانوني تشريفات " ويظهر انهم اخذوا عنهم ايضاً

سياسة السماح للبلدان الذين يحتنون دينا غير دين الدولة ان يؤلفوا لهم نظاما وقوانين خاصة بسيرهم . وقد ذهب فون عامر الى ابعاد من ذلك ان قال : " ان كل التحريات التي جرت في اقدم قوانين الدولة الشرقية ~~محو~~ كالتنظيمات والدساتير الملكية ونحو وراسيم احتفالات البلاط وترتيب المناصب ترجع كلها الى مملكة الفرس الاقدمين ~~التي~~ وقد تدرت منها ~~الى~~ الى الخلفاء العرب حكام ثلاث قارات والى الاتراك السلاجقة الذين قاموا على انقاض الدولة العربية في اسيا والى البزنطيين الذين قاموا على انقاض الدولة الرومانية في اوروبا . ومنهم جميعا تسربت كل هذه العوامل الى العثمانيين الذين خلقوا السلاجقة والبزنطيين . " .
وقد اخذ المسلمون عن الفرس الساسانيين ^{نظام} ~~طريقة~~ سن الضرائب على الاراضي وتقسيمها الى قسمين قسم يدفع الضرائب العشرية وقسم يدفع الجزية . وهذه الطريقة اخذها ~~بعضهم~~ العثمانيون لكن المسلمين بعد ان اعتنقوا ديانتهم . وقد اثر الفرس على العثمانيين ايضا في الاسلوب الاقطاعي . ثم في العصر العباسي اخذ الفرس والترك يحتلون المناصب الهامة في الادارة المدنية والعسكرية وبذلك احتكروا مع بعضهم واقتربوا اكثر من ذي قبل فكان من الطبيعي على الفرس ان يؤثروا عليهم في نواح عديدة ولا سيما انهم يحملون ثقافة اعلى ومدنية ارقى . كما انهم اثروا ايضا في الناحية الادبية والشعرية و اضافوا الى اللغة التركية اسما عديدة وافكارا كثيرة .

ان الحادث الخطير الهام في حياة الدولة العثمانية هو استيلاؤها ووراثة لبلاد ونظم وقوانين اكبر امبراطوريتين شرقيتين في القرون الوسطى وهما الامبراطورية العربية والامبراطورية البزنطية فاستمدوا منها اميا كثيرة من معارفهم ونظم حكمهم وعاداتهم وطقوسهم .
ان النظام الديني الذي اخذه العثمانيون عن العرب كان قد ظهر وانتشر في البلاد الاسلامية ولم يكن يحتاج العثمانيون الا الى التعرف عليه ونقله الى بلادهم . اما النظام الاداري والحربي الذي يمكن ان يتيروا حسب ذوقهم فانهم اخذوه من البزنطيين . ثم اخذوا عنهم التفاصيل الادارية والترتيبات الحكومية المتعلقة بالسلطنة نفسها وبالولايات . واقتبسوا عنهم حفلات البلاط والابدة والعظمة فان سلاح ~~ونظام~~ ^{نظام} فرقة الحرس ^{ونظام} مثلا التي ^{يستخدم} ~~يستخدم~~ رجالها Feiks وهم من حاملي الرماح وعدد هم مئة تقريبا كان سلاحهم وترتيبهم ولباسهم ^{مقتبس} ~~مقتبس~~ عن حرس الملوك البزنطيين . كما اخذوا عنهم ايضا اصول التمثيل الخارجي كما كان هناك

ايضا تأثير في العادات والاعمال الا انه بصورة اقل . ولعل الاسلوب الاقطاعي العثماني اخذ
شكله النهائي عن البنزطيين ولعلمهم اخذوا عندهم ايضا حبههم الزائد للرواتب والهدايا .
لقد اهتم المؤرخون في عصرنا هذا بمدرسة البلاط التي كانت تقوم بتربية وتثقيف الشبان
وتعنيهم للقيام بشؤون مختلف اعمال الدولة . تذكر Halidé Edile في مقدمة كتاب "Beyond
the Fulmine Porte" لمؤلفه Barnette Miller ان ميلر تقول عن اهمية هذه
المدرسة وتذكر ان محمد الثاني هو الذي بناعا ولكنه لما بناها ووضع برنامجها لم يكن متأثرا
بما يرى مصدر بنزطي او اسلامي . فتعارضها Halidé Edile وتقول : " بناها اذا تآثر عندما
وضع البرنامج ————— السياسي التروى لهذه المدرسة في هذات مصادر عن حياة .
السلطان تقول انه كان عالما محبا للعلم وواسع الاطلاع ويعرف اللغات اليونانية والفارسية
واللاتينية . وفوق كل هذا وما يدعو العجب انه كان يريد ان يحتفظ بالعلماء البنزطيين
وكان محبا للفلسفة اليونانية . وان هذه الفكرة التي ترمي الى اعداد فئة خاصة للحكم ترجع
الى افلاطون وانه لمن المفيد حقا درس هذه المسألة وهي كيف ان العثمانيين وسعوا واظهروا
الى حين الوجود اكثر الطرق الاستبدادية صلابة بمناعة من تعاليم وارا افلاطون . انه لمن
سخرات القدر ان يكون افلاطون الذي اثر كثيرا على الاتراك بشخص جلال الدين الرومي في
النواحي الفلسفية والفكرية وحرية الراي يعود ايضا وبعد عدة قرون لبوحي لمحمد الثاني خلق
مثل هذه الادارة الاستبدادية السياسية الا وهي مدرسة البلاط . الا ان النظام العثماني
لم يكن ارستقراطيا كما كان افلاطون يريد ان يكون . لان العثمانيين كانوا يعدون العبيد
ليصبحوا وزرا وحكاما للدولة . ولكن افلاطون يوافق على طيلة مدة تعليمهم والاعتناء باجسامهم
وعقلهم ، والتفرق بين الجيوش وبين الاحكام بالرغم من ان هذا لم يكن تاما . والتحرر النسبي
من الروابط العائلية والمرتبة الدقيقة المفروضة على الفرد وخصوصا مراقبة العقلاء لرجال الحكومة .
انه لا يمكن قط معرفة ما اذا كان قد عرف مؤسسو النظام العثماني كتب افلاطون انما يظهر
انهم اقتربوا من تعاليمه كما يمكن القول بانهم تخطوها في بعض النواحي وذلك بعدم
التقيد بمعرفة نسب رجال الدولة وجعل نظامهم قادرا على ادارة امبراطورية واسعة .
ان قسما كبيرا من الشعب العثماني يرجع الى اصل مسيحي . لأن عوامل شتى
انت تغطر سكان اسيا الصغرى وجنوب اوربا الى اعتناق الديانة الاسلامية عندما افتتح العثمانيون

بلادهم . ويمكن القول بان هؤلاء المسيحيين من بزنطيين وبلغاريين ورومانيين والبابائيين وعربيين
الخ . . . من الذين اسلموا او من الذين بقوا على ديانتهم الاصلية قد اثروا على ثقافة ^{العثمانيين} وادارتهم
حتى ^{بدرجة} (1071) كانت اسيا الصغرى قسما من اوروبا ثم اصبحت بعد مجيء الاتراك
قلب وركز السلطنة العثمانية . ولما يحاجة الى التعسف في معرفة القوى التاريخية لنعلم انه
غير ممكن ان تنزل في جنوب اوروبا وفي اسيا الصغرى تعاليم اربعة عشر قرنا او اكثر في مدة
خمسة قرون او اقل ولا يمكن ان تنزل حتى الى الابد . لذلك فان العثمانيين قد تأثروا بهذه
التعاليم من فتحهم اسيا الصغرى وجنوب اوروبا . ونحن اذا نظرنا الى الانبراطورية العثمانية
كدولة شرقية فقط نكون قد اخطأنا في قراءه وفهم التاريخ وافطأنا في معرفة الطبيعة البشرية . لقد
كانت بلاد السلطنة العثمانية قائمة في الشرق وادرب لذلك كان شعبها وكذلك هي ثقافتها
وادارتها الحكومية . يقول ليبير ^{Liby} بان هناك تجانسا بين المسيحية والاسلام ان
كلاهما مشتقة من الاعداد القديم والخزفي الرئيسي هو في طبيعة السيد المسيح . وقد حكم ~~العثمانيون~~
العثمانيون على كبر من الشعوب المسيحية ^{سني} ان كثيرين من رجالات دولتهم يتحدرون من اصل مسيحي
فيمكننا القول بان قسما من رديتهم ومن نظمهم الادارية جاءت عن طريق المسحورين كما جاءت
عن طريق المسلمين .

ان السلطنة العثمانية هي حكومة مطلقة محصورة بشخص واحد هو السلطان . وهي حكومة
عسكرية قبل كل شيء يدعمها الجيش وان جميع موظفيها عدا البعض منهم هم من رجال الجيش ولكل
روساء الجيش اعمال وناصب في الدولة . فالعثمانيون هم مثل اتراك اواسط اسيا ولدوا في الحرب
واعادوا للفتوحات . وكانت الحروب في الاصل تحتل المرتبة الاولى من اعمالهم ويكون العمل الثاني
ادارة الدولة والحكم . ثم بعد فتح القسطنطينية تحولت الاعمية للثاني ان كانت الضرورة تقضي
بإدارة حكم بلاد واسعة . انما حتى زمن السلطان سليمان كان هذان العملان على درجة متساوية
في القوة . فكان كل رجال الدولة يتبعون السلطان الى الحرب وكان الجيش والحكومة شيئا واحدا .
للسلطان سلطة مطلقة على موظفي الدولة وهم يستنبون كعبيد له يتصرف بحياتهم وانشا صهم
واملاكهم كما يشاء وليس عليهم الا الطاعة . الا ان الشرع يحد من سلطته المطلقة ~~الكل~~ ويمكن
اعتباره كدستور ثابت لا يتغير انما يمكن للسلطان بمعونة وارا رجال الدين ان ينصر المراسيم

أو القوانين في بعض النواحي التي لم يرد ذكرها في الشرع . وهكذا فالسلطان مقيد بهذا الدستور الثابت كما أنه مقيد بالقوانين والمراسيم وبعادات شعب متحفظ جدا وحرص ومتعلق بشرائه . فالسلطان والحالة هذه لا يتمكن من ادخار بحرية الا في بعض النواحي فقط والتي لا يمكن معرفتها ان تختلف حسب قوة وضعف السلطان وحسب المناسبات والظروف .

لقد قلت بأنه يمكن للسلطان ان ينصر المراسيم والقوانين التي لم يذكرها الشرع ولكنه لا يمكنه ان يغير شيئا . ان التشريع منوع طالما ان الله بواسطة النبي محمد قد نص القوانين بصورة نهائية . وهكذا فالقوانين ~~لا~~ تعتبر ^{تعتبر} كأي شئ من اجتهاد رجال الدولة وفكرى الامة بل ^{تعتبر} نازلة من فوق من عند الله .

لقد كان يعتقد بان الشرع كان كافيا لكل اعمال الدولة ولهذا ما لبث ان اصبح دستورا سياسيا ^{كك} ظهر انه غير ممكن تطبيقه وهذا يرجع الى سببين وهما : توسع الدولة الاسلامية والمجتمع الاسلامي وظهور احوال ومعضلات غير متضمنة في الشرع . والاعتقاد بان الشرع هو من عند الله . هذا مما يجعل امر تطبيقه بمنتهى الصعوبة . ولقد اصبح من الضرورة على المذاهب وضع قوانين توافق المسائل الجديدة المستحدثة وتكون غير مخالفة للشرع . ومن هذا نلاحظ بان الشعب في السلطنة العثمانية يخضع الان للشرع والقوانين التي يخصصها السلطان للبعادات وللعرف اي ارادة السلطان الحاكم . ولكن الشرع هو اهمها ان الله فوق سلطة السلطان ولا يمكنه اجراء تغيير فيه . وعندما يكون العرف مكتوبا يصبح قانونا ويلغى كل القوانين والبعادات التي تتناقضه .

ان هذه القوانين التي يصدرها السلطان بعد اخذ رأي رجال الدين فيها كانت تسمى فريادات أو اوامر سلطانية الا انهم اطلقوا عليها من الوقت كلمة " قانون " البنظية . وهكذا فالشرع يوافق عند النخبين القوانين الدينية . والقوانين توافق عندهم القوانين المدنية . ان هذه القوانين العثمانية تبحث بصورة عامة في الشؤون العسكرية والمالية والاقطاعية والجزائية والامن وراسيم الاحتفالات . وعي كلها موجودة في الشرع عدا الاقطاعية والمراسيم . ولهذا فالسلطان مطلق السلطة عليها ويمكنه اجراء التغييرات التي يريدونها فيها .

انه يمكن القول من الوجهة النظرية وانما صح التعبير من الوجهة الدستورية ان سلطة السلطان سليمان اي صلاحياته كانت نفس صلاحيات خلفاء المسلمين القدماء . وباعتباره .

خليفة فهو الرئيس الاعلى للدين يحقق عليا تعاليم القرآن ويدافع عن العقيدة الاسلامية .
وعلى كل الرعايا المسلمين الصالحين الذين يحفظون السلطنة ان يخضعوا له خضوعا تاما بعد
الله والرسول . كما يعتبره اهل الذمة ايضا سلطانهم الشرعي عينه الله لهم كعقاب لهم على
خطاياهم .

يمثل الزكيات العثمانيين حكومتهم بصورة خيمة قائمة على اربعة عوايد : ١ - الوزراء
٢ - قضاة العسكر ٣ - الدفترداريون او وكلاء الخزينة ٤ - النيشنجي . كما يجب
القول بانهم ليس لهم كلم نفس الاعمية او ان تكون اعباء اعمالهم متماثلة . فالاهمية الكبرى
هي لوزراء وعلى راسهم الصدر الاعظم .

يتقصد الصدر الاعظم كل صلاحيات السلطان تقريبا اذ يحتبر كائب او وكيل له بمثله في
رئاسة الادارة الدينية والعسكرية وبعد كرئيس للقضاة . ولم يكن للصدر العظام سلطة قوية في
يادرس الامر بظلي بعد اول سلاطين آل عثمان الذين كانوا يقومون بكل الاعمال ويرأسون كل
شؤون الدولة ولا يتركون الصدر العظام يتصرفون كما يشاؤون وتشاء اهوايتهم . ولكن مع الزمن
وبعد ان هدا الامر في البلاد واستتب الامن فيها ولم يعد هناك فتوحات وحروب انزوى
السلاطين في قصورهم يتمتعون بلذاتهم ولذوهم وتركوا ادارة الدولة للصدر العظام الذين اصبحت
لهم بمقتضى ذلك صلاحيات واسعة ونفوذ عظيم في مقدرات السلطنة . ومن صلاحيات الصدر الاعظم
وميزاته كما يذكرها *Allypaz* نقلا عن فون هامر : انه يحمل الماعر السلطاني وبمعه عقد
ديوان خاخر له في قصره يكون بمثابة محكمة عدل . ويحرسه الجاوش باشي مع رجاله من
قصره حتى السراي . ميزوره قضاة العسكر ووكلاء الخزينة كل اربعة كما يزوره اغا الانكشارية
مرة كل اسبوع والوزراء مرة كل شهر . وله الحق في اتيام بدوريات تفتيشية في العاصمة ومراقبة
الاسواق مصحوبا بتأضي الاستانة ولدا الانكشارية وحام المدينة . ويأتي الوزراء والقضاة وقواد
الجيش وبنية رجال الدولة اليه // في ايام الاعياد لتقديم تهانيتهم له . الخ

لم يكن للصدر الاعظم قبل عهد السلطان سليمان اهمية كبرى انما بدأت تظهر في زمانه
واصبح لهم نفوذ عظيم في الدولة ويمكن القول بان الصدارة وصلت في ذلك الزمن الى اوج مجدها .
وكان ابراهيم اول صدر اعظم للسلطان سليمان الذي اشتد بحسن تدبيره ومهارته في ادارة
امور الدولة العسكرية والمدنية . وفي ابتداء حملة سنة ١٥٢٩ اعطاه السلطان سليمان صلاحية
سر عسكر اي قائد عام للجيش . وهذا مما يضع النظام الاداري والديني والامة العثمانية

وكل رعاية السلطنة تحت امرته . وذهب ابراهيم الى ابعد من ذلك // وقد اصاب لقب سلطان على لقب سرعسكر الذى كان يحمله الا ان سليمان لم يكن سلطانا ضعيف الهمة فانه لما رأى ان ابراهيم ذهب الى ابعد مما يجب عليه امر بقتله . ثم جاء بعده الصدر الاعظم رستم الذى تزوج ابنة السلطان واشتهر كمكلفه بمقدرته الفائقة في الحكم والادارة وجمع المال ٢ وفي اخر حكم سليمان الذى دام اربعين سنة وبعد ان خف تأثير رستم "وروكميلانا" عليه وصل الى منصب الصدارة واحد من اقدر رجال السياسة العثمانيين وعمو محمد الصفلي . كما كان يتراأس النظام الديني واحد من اشهر رجال الدين وهو ابوالسعود . وقد اوصل هذان الاثنان النظامين الادارى والديني الى ذروة عظمتها كما اوصلا السلطنة الى اوج مجدعا وذلك مدة ثلاثين سنة كان نصفها بعد وفاة السلطان سليمان .

انما يجب ان نلاحظ ان اخطارا عديدة تحيط بهذا المنصب لان الصدر الاعظم مع كل صلاحياته ونفوذه وسطوته هو عبد للسلطان يمكن لهذا الاخير ان يقضي عليه ويستعفي امواله في اى وقت اراد وكفىما شاء . فمن المثني شخص الذين احتلوا هذا المنصب مدة الخمس مئة سنة قتل منهم عشرون عند غزولهم .

ياتي بعد الصدر الاعظم الوزراء الذين يقومون بادارة الدولة وتسيير الدوائر وهم يعتبرون كروساء شورى للسلطان في الشؤون السلمية والحربية والادارية والعدلية . وهم يتناقشون ويعرضون على بساط البحث في الديوان كل الامور الهامة . ويحيطون كلهم رتبة الباشوية وهم غير مسؤولين عن اعمالهم كمستشارين . ولم يكن عددهم محدودا انما كانوا اربعة في عهد السلطان سليمان ولهم واردات مباشرة وغير مباشرة . ويسكنون قصورا شبيهة بقصر السلطان ويقلدونه في كل شيء فيما يتعلق بافتناء الحريم والخدم والخصيان وفي مظاهر الابهة واللمظة .

لم يكن للوزراء في بادىء الامر اى في زمن اول السلاطين العثمانيين اهمية كبرى كما كان الحال ايضا مع الصدور العظام . وكلم من الوزراء والصدور العظام من لا قوا حتفهم لمجرد عدم الموافقة مع السلطان في امر سياسي ما . لقد كان وزراء السلطان سليم الاول

لا يبدون اراهم وقد امتنعوا عن ذلك منذ ان ظهر بانه امر بقطع رؤوس سبعة من وزرائه
لمخالفتهم في ارائه . وقيل بانه لما خرج السلطان سليم من مصر بعد ان افتتحها قال للصدر
الاعظم يونس باشا الذي كان يسير بجانبه لقد اصبحت بلاد مصر الآن ورامنا اي انه اصبحت
بدا من منها فلم يتمالك الصدر الاعظم الذي لم يكن من رايه فتح مصر ان اجاب : " ما هي الفائدة
التي حصلنا عليها سوى خسارة نصف جيوشنا " . فلم يجبه السلطان اما امر رجاله بالمداراة
منه بقطع راسه في الحال (١) فاذا كان هذا هو حال الصدر الاعظم ثاني شخصية في السلطنة
فما تكون اذا حالة الوزراء في ذلك الوقت ؟ ولكن صلاحياتهم وصلاحيات الصدر الاعظم ما لبثت ان
اخذت تعظم شيئا فشيئا بعد ان ضعفت شخصية السلاطين الذين اخلدوا الى الدعة والسكنة
وانكمشوا في زوايا الكسل والملذات .

Lord Eversley " " The Turkish Empire " و (١١٤)

حالة السلاطين بعد السلطان سليمان

كان البغى مستحكما بين دول أوروبا بصورة هائلة جعلتها تتعامى عن خطر العثمانيين في تهديد استقلالها وتقويض كياناتها . وكمن هذه الدول ~~من~~ كانت تفضل الذل والاستعباد على ايدى الاتراك المسلمين من الخضوع لدولة اخرى مسيحية اوروبية مجاورة . ويشير التاريخ الى حوادث عديدة كانت فيها بعض الدول الاوروبية تحالف العثمانيين ضد غيرها من الدول المجاورة . ويمكن القول بانها في اول عهد السلطنة وفي زمن اول السلاطين السليمن لم يكن تحالف دول أوروبا (لو حصل فعلا) في وجه العثمانيين ليؤثر شيئا كثيرا امام التقدم العثماني انما بعد ان افل نجم السلاطين وضعفت شخصياتهم وبعد ان انزوا في قصورهم يتمتعون بملاذهم ولموهم كان يمكن لدول أوروبا اذا تحالفت واخلصت النية بعضها لبعض ان تصل الى نتائج باهرة وكان بمقدورها ان تقضي على امبراطورية العثمانية وتجعل بزوالها من الوجود قبل قرنين او ثلاثة ما قدر لها ان تعيش ولكن الطمع والحسد والخوف بين تلك الدول كان من حظ العثمانيين وكان سببا مهما في دوام سلطانهم .

بعد عصر السلطان سليمان الذي وصلت^ت السلطنة العثمانية الى ذروة عظمتها وتوسعتها امتلى العرش سلاطين ضعاف عدا القليل منهم وحد وانفسهم غير قادرين على اضافة شي من الممتلكات على اراضي الدولة او القيام بفتوحات جديدة او عقد غارات الدول الاوروبية التي اخذت تهاجم ممتلكاتهم فانقطعوا الى نساءهم وما اخرجهم في قصورهم وكان سليم الثاني اول من دشن هذا العهد الجديد او الانزواء داخل القصر السلطاني والعيش في عزلة وعدو .

فكانت النتيجة ان اهتموا ادارة امور الدولة وتركوا كل شي للصدور العظام الذين اخذ نفوذهم يزداد واصبحت مقدرات الدولة بين ايديهم . ولقد ظهر منهم اناس اشتهروا بالسفورة وسداد الراي والحزم والادارة امثال الصدر العظام من عائلتي الصقلي وكوبرللي . الا ان كثير من غيرهم كانوا غير اهل لحمل اعباء ادارة امبراطورية واسعة مؤلفة من شعوب مختلفة . وكان من سوء حظ السلطنة ان اخذت دول أوروبا تقوى وتتقدم في معارج الرقي والتقدم والعلم والفنون واخذت الى حد ما تتحد وتجاوب القوى العثمانية بقوى مماثلة ان لم يكن^ت الهجاء متفوقة عليها فكان المستقبل لا يبشر خيرا^{جيد} للدولة العلية^{المنيرة} لانها كانت تسير القهقري بينا أوروبا تتقدم بخطى ولحج واسعة فكان انحطاط السلطنة العثمانية لهذا السبب مردوجا وتأثيره مضاعفا .

لم يطلعنا دوسون عن حالة السلاطين العثمانيين في عصره ولم يتكلم الى اى حد ما كانوا يباشرون ادارة اعمال الدولة بينا نروا انه يصف بدقة ومهارة كيفية لعتلاء السلطان الجديد العرش وما يصحب ذلك من مراسيم واحتفالات وعن زيارته المتحفية للعديسة والشككات الانكشارية وعن معيشته الداخلية وعظامه وحاشيته وخدمه ودور تنزهاته وعن مدخوله الخ . . . هذا ما يمكن ان نواخذ ~~من~~ دوسون عليه خصوصا وانه يسمي كتابه هذا " تاريخ الاسباطورية العثمانية " ولكننا اذا عالجنا هذه المسالة من طرفها الثاني نرى ان لدوسون بعض العذر في ذلك ان لم نقل كله . فانه كان بامكانه وهو الرجل السياسي وسفير دولة اسوج في العاصمة العثمانية والمطلع على اخبار الدولة والمتصل كما يذكره ونفسه بكبار رجال الدولة وعظماء الموظفين السياسيين والمدنيين كان بامكانه ان يتكلم عن اعمال السلطان الادارية ومدى صلاحياته في الدولة وما يقوم من اعمال سياسية . لقد كان بامكانه ان يفعل ذلك وهو اقدر واحق من غيره في هذا الباب . انما يمكن ان نعذره في تقصيره هذا ان كان هناك تقصير اذا عرفنا حالة الضعف التي كانت فيها الدولة آنئذ وحالة السلاطين الذين انزوا داخل قصورهم حتى انه لم يبق لهم من عمل سوى الاخلع على التقارير التي يقدمها لهم الصدور العظام والتوقيع عليها . هذا من ناحية ومن ناحية ثانية الا يمكن القول بان دوسون اختصر في ناحية من نواحي التاريخ العديدة فترك لتبصره وصف اعمال السلاطين السياسية الحربية (على قلتها في زمانه) واهتم هو بسرد اعمالهم الداخلية في بلاطهم وفي عاصمتهم وعازقاتهم مع رجال الدولة ورجال الجيش ومع افراد عائلتهم . فما اكبر المؤرخين الذين عالخوا الناحية الاولى وما اقل من عالج الثانية .

حالة الجيش العثماني بعد عصر السلطان سليمان

قلنا سابقا بان الدولة العثمانية هي دولة عسكرية قائمة على قوة سلاحها فاذا ما اعتسرى الحيوش وعن او ضعفت او اسيئت قيادتها وعمت الفوضى والاضطرابات بين افرادها وتكاثرت وقوا دها فان مصير السلطنة يكون والحالة هذه في خطر ومعرض لاقسى التجارب وهذا ما حصل فعلا فاذا اطلعنا على حالة الجيش الداخلية از ما هو متعلق بامر تدريبه وتزويده بالمؤمن والاعتدة والملابس وكيفية قيادته اذا اطلعنا على كل هذا نكون حصلنا على فكرة تامة تقريبا عن الجيش العثماني . ويمكن ان نحصل على هذه المعلومات من كتاب دوسون في الباب السابع الذي يصف فيه حالة

الجيش العثمانية والباب الثامن الذي يصف فيه حالة الاسطول . يصف دوسون في الباب السابع وصفا دقيقا ومطولا الفرق التي يتألف منها الجيش العثماني منذ زمن انشائها حتى عصره . فربحث عن الجيش المنظمة من الانكادارية والحبشية والطوبجية والطوبعرجية وفرقتي الفرسان السباه والسلحدار وعن الجيش الحيرانظمة امثال عساكر الولايات والعساكر المتطوعة وتلك التي تعيش من الاقطاعات العسكرية * الزعامة والتمار * . يتكلم دوسون عن تاريخ كل واحدة منها واسباب تكوينها ويعدد قوادعا وضباطها وكيفية الانخراط فيها وعن انظمتها وقوانينها وادارتها المالية وطرق تموينها وعن البسة جنودها وقوادعها واسلحتها وعن المكافآت التي تمنح للمبرزين والعقوبات التي تنزل بمن يخالف الاوامر ويهرب من الجندية الخ ان دوسون يصف كل هذا بدقة متناهية ولعله افضل من قام بعمل هذه الابحاث عن قوى السلطنة العسكرية . فاذا اردنا ان نعرف هذه القوى وترتيبها وكيفية توجيهها وتسييرها . اذا اردنا ان نحصل على صورة حية مخملتلك الاداة الحربية الجبارة التي قنست على امبراطورية من اكبر الامبراطوريات التي عرفها التاريخ والتي الفت الرعب في قلوب اقوى دول اوربيا . تلك القوى العائلة التي قوضت العروش ورمت الحصار مرتين على مدينة فينا العظيمة . اذا اردنا الاعلاع على اقسام وفروع الجيش التي بسطت سلطة العثمانيين على القارات الثلاث ومعرفة حالة هذه الجيوش بعد عصر السلطان سليمان وبصورة خاصة في اواخر القرن الثامن عشر ليس لنا الا الرجوع الى كتاب دوسون حيث نجد فيه ما يشبع رغبنا ونبرعقلنا وفيهنا حقيقة ناحية مهمة من تاريخ الامبراطورية العثمانية ظلت لدى اكثر الناس ناحية غامضة كأنها اسطورة من اساطير الازمنة الغابرة .

الا ان هذا التقدير وهذا الاعجاب اللذين يتولدان في نفوسنا بادي الامر نحو جيوش السلاطين العظام لايلبث ان يزول شيئا فشيئا ويحل محلهما شعور الخيبة والاسف عندما نطلع على الدهن الذي دب فيها والخلل الذي اصابها بعد عصر السلطان سليمان وفي زمن سلاطين ضعاف لاحول لهم ولا قوة . فلم تعد الدولة تنقيد بالانظمة الصارمة المفروضة على من يريد الانضمام في الجيش . يقول دوسون * ان هذه الانظمة ظل يعمل بها مدة ثلاثة قرون تقريبا الا ان مناسبات خطيرة ادت الى مخالفتها في زمن مراد الثالث فان قلاقل في داخلية الدولة وفي خارجها وجرويا غير موفقة اجبرت الخصال عثمان باثنا .

كما اجبرت من بعده الصدر الاعظم سنان باشا على قبول رجال ينتمون الى جميع طبقات الشعب ومن كل سكان الدولة على اختلاف جنسياتهم . وقد وصل الحال حتى الى تخييد المتشردين والاشقياء . وفي وقتنا هذا لاتزال تقبل الدولة في الفرقة رجالا من جميع الاجناس والطبقات بالرغم من المعاديات الشديدة التي ابدعا كثير من السلاطين . وخصوصا السلطان احمد الثالث عام ١٧٢٧ * ثم اخذ عدد الجند يقل ويكثر تبعا للظروف وتبعا للقلقل التي يقوم بها من يسرح من الخدمة العسكرية بعد انتهاء الحرب . واخذ السلاطين شيئا فشيئا يستعبدون عن عساكر الانكشارية بجنود الولايات والجيوش الغير المنظمة التي لايتناول افرادها مرتبات الا وقت الحرب انما يقول دوسون بان هذه العملية التي كان يراد منها تهدئة الحالة الداخلية والتوفير على خزينة الدولة كانت نتيجتها سيئة على الدولة يشهد على ذلك حوادث الحربين الاخيرين ضد روسيا * .

ان الفوضى وسوء الادارة كانا يعمان الجيوش ولا يمكننا هنا تعداد كل العوامل التي ادت الى انهيار تلك المنظمة العسكرية انما نذكر اهمها . لم يكن السلطان مثلالعرف عدد جنوده وعلى الاخر الانكشارية منهم ويمكن القول بان قائدهم نفسه كان يجهل عددهم ويرجع ذلك الى ان الضباط كانوا يقدمون اسما مستعارة لجنود وهميين غير داخلين في الجندية وذلك

...

كي يقبضوا مرتباتهم ويأخذوها لانفسهم . وكذلك كان يفعل كبار رجال الدولة المدنيين والعسكريين في الاقطاعات التي تمنحها الحكومة في الاصل للجند ويكون واردها كمرتبات لهم . فان رجال الدولة كانوا يحتفظون بهذه الاقطاعات لانفسهم اويؤجرونها ؛ وقد تدهورت هذه المؤسسة العسكرية الى درجة جعلت السلطان مصطفى الثالث يعجب في ابتداء الحرب التي اعلنتها الدولة على روسيا سنة ١٧٦٨ من ان يحد في الجيش فقط عشرين الف فارس تقريبا . واراد السلطان عبدالحميد بعد صلح تيجرجه ان يسيد الى هذا الجيش نظامه القديم واعدر من اجل ذلك سنة ١٧٧٦ رسوما شديدة اللدغة الا انه لم يوفق شيئا لان الضخمة التي قام بها كل الذين كانوا يتمتعون بتلك الاقطاعات اخافت الوزارة الى درجة جعلتها تطلب من السلطان ان يتخلى عن مشروعه .

وكانت الدولة نفسها لاتقوم بواجبها نحو جيوشها في تقديم ما يلزمها من الالبسة والعتاد . فانهما لاتقدم الملابس (وتكون غير كافية ايضا) الا لاثني عشر الف انكساري من السقيين في الاستانة بينما كان يصل عددهم الى اضعاف ذلك . وكذلك من ناحية المرتبات فان المال المعطى للجند لا يكفي لاعمارتهم لهذا السبب كانوا يشتغلون باحدى المهن او يقومون باعمال السلب والنهب . اما الامر الذي يدهش اكثر من ذلك عوفي انه يجب على الجندي نفسه تأمين ما يلزمه من السلاح وتترك له الحرية في اختيار النوع الذي يريد .

وانا اراد السلطان ان يقود جيوشه فان العلماء والفقي والقاضي عسكري يمنعونه من ذلك لانهم يضطرون حينئذ الى مرافقته وهذا ما لا يريدونه . وقد اخذ الصدر اعظم بيون عن السلاطين في قيادة الجيوش ولكنهم يذعنون في غالب الاحيان مكرهين وقد قال دوسون في ذلك : " وبما انه يترتب ايضا على وزارة الدولة مرافقة الصدر اعظم الى الحرب فانهم يبدون نفس الممانعة نحو فكرة الحرب لانهما تسبب لهم مصاريف زائدة وتمنعهم من التمتع بحياة نائمة سعيدة . وليس عند الصدر اعظم ايضا دوافع تجعله يطلب الحرب ان هناك ما يجعله يخاف كثيرا من مكائد منافسيه مدة غيابه عن العاصمة وخصوصا من الذي ينوب عنه لان القناعة عروادة من اكبر أعدائه اذ يقدر فيه ويعمل في معارضته لبتكن من اخذ مركزه وقد حصل في عهد عدة سلاطين ان قامت خصومات فاضحة بين الصدر اعظم الذي يكون على رأس الجيش وبين نائبه في الاستانة فاجب قرا لا قلاقل في الدولة ولهذا فان الصدر اعظم يبدون كل ما يوسعهم للرجوع الى العاصمة اولافقاع السلطان للمجيء واستلام قيادة الجيش واذا هاج الجنود فان الصدر اعظم يتخذ ذلك وسيلة للاستحباب من امام العدو اولوضع نهاية للحملة .

كي يقبضوا مرتباتهم ويأخذوها لانفسهم . وكذلك كان يفعل كبار رجال الدولة المدنيين والعسكريين في الاقطاعات التي تمنحها الحكومة في الاصل للجند ويكون واردها كمرتبات لهم . فان رجال الدولة كانوا يحتفظون بهذه الاقطاعات لانفسهم اويؤجرونها ؛ وقد تدهورت هذه المؤسسة العسكرية الى درجة جعلت السلطان مصطفى الثالث يعجب في ابتداء الحرب التي اعلنتها الدولة على روسيا سنة ١٧٦٨ من ان يجد في الجيش فقط عشرين الف فارس تقريبا . واراد السلطان عبدالحميد بعد صلح قونجيه ان يعيد الى هذا الجيش نظامه القديم واعدر له من اجل ذلك سنة ١٧٧٦ رموسا شديد اللهجة الا انه لم يوتر شيئا لان الضجة التي قام بها كل الذين كانوا يتمتعون بتلك الاقطاعات اخافت الوزارة الى درجة جعلتها تطلب من السلطان ان يتخلى عن مشروعه .

وكانت الدولة نفسها لاتقيم بواجبها نحو جيوشها في تقديم ما يلزمها من الالبسة والعتاد . فانهما لاتقدم الملابس (وتكون غير كافية ايضا) الا لاشي عشر الف انكساري من العتيق في الامتانة بينما كان يصل عددهم الى اضعاف ذلك . وكذلك من ناحية المرتبات فان المال المعطى للجند لا يكفي لاعامتهم لهذا السبب كانوا يشتغلون باحدى المهن اويقومون باعمال السلب والنهب . اما الامر الذي يدهش اكثر من ذلك عولي انه يجب على الجندى نفسه تأمين ما يلزمه من السراج وتترك له الحرية في اختيار النوع الذي يريد .

واذا اراد السلطان ان يقود جيوشه فان العلماء والمفتي والقاضي عسكري يمنعونه من ذلك لانهم يضطرون حينئذ الى رفاقته وهذا سالا يريدونه . وقد اخذ الصدر الأعظم ينوبون عن السلاطين في قيادة الجيوش ولكنهم يذعنون في غالب الاحيان مكرمين وقد قال دوسون في ذلك : " وبدا انه يترتب ايضا على وزارة الدولة مرافقة الصدر الأعظم الى الحرب فانهم يجدون نفس الممانعة نحو فكرة الحرب لانها تسبب لهم مصاريف زائدة وتمنعهم من التمتع بحياة ناعمة سعيدة . وليس عند الصدر الأعظم ايضا دوافع تجعله يطلب الحرب ان هناك ما يجعله يخاف كثيرا من مكائد منافسيه مدة غيابه عن العاصمة وخجوتها من الذي ينوب عنه لان القائم مقامه من اكبر اعدائه ان يقدح فيه ويعمل في معارضته ليتمكن من اخذ مركزه وقد حصل في عهد عدة سلاطين ان قامت خصومات فاضحة بين الصدر الأعظم الذي يكون على رأس الجيوش وبين نائبه في العاصمة تسبب قزلا قلاقل في الدولة ولهذا فان الصدر الأعظم يبذلون كل ما بوسعهم للرجوع الى العاصمة اولاقناع السلطان للمجيء واستلام قيادة الجيش واذا هاج الجند فاق الصدر الأعظم يتخذ ذلك وسيلة للزحاجب من امام العدو اولوضع نهاية للحملة . "

كي يقبضوا مرتباتهم ويأخذوها لانفسهم . وكذلك كان يفعل كبار رجال الدولة المدنيين والعسكريين في الاقطاعات التي تمنحها الحكومة في الاصل للجنود ويكون واردها كمرتبات لهم . فان رجال الدولة كانوا يحتفظون بهذه الاقطاعات لانفسهم او يورثونها : وقد تدهورت هذه المؤسسة العسكرية الى درجة جعلت السلطان مصطفى الثالث يعجب في ابتداء الحرب التي اعلنتها الدولة على روسيا سنة ١٧٦٨ من ان يجد في الجيش فقط عشرين الف فارس تقريبا . واراد السلطان عبد الحميد بعد صلح فيرجه ان يعيد الى هذا الجيش نظامه القديم واسدره من اجل ذلك سنة ١٧٧٦ مرسوما شديدا للخدمة الا انه لم يثمر شيئا لان الضحمة التي قام بها كل الذين كانوا يتمتعون بتلك الاقطاعات اخافت الوزارة الى درجة جعلتها تطلب من السلطان ان يتخلى عن مشروعه .

وكانت الدولة نفسها لانقوم بواجبها نحو جيوشها في تقديم ما يلزمها من الملابس والعتاد . فاندما لاتقدم الملابس (وتكون غير كافية ايضا) الا لاشي غير الذي انكسارى من التقيمين في الامتانة بينما كان يصل عددهم الى اضعاف ذلك . وكذلك من ناحية المرتبات فان المال المعطى للجنود لا يكفي لاعمارتهم لهذا السبب كانوا يشتغلون باحدى المهن او يقومون باعمال السلب والنهب . انما الامر الذي يدهش اكثر من ذلك عولي انه يجب على الجندي نفسه تأمين ما يلزمه من السراخ وتترك له الحرية في اختيار النوع الذي يريد .

واذا اراد السلطان ان يعود جيوشه فان العلماء والفقي والقاضيين عسكرا يمنعون من ذلك لانهم يضطرون حينئذ الى مرافقته وهذا ما لا يريدونه . وقد اخذ المديرا العظام بنوبون عن السلاطين في قيادة الجيوش ولصمهم يذهبون في غالب الاحيان مكرمين وقد قال دوسون في ذلك : " وسأله يترتب ايضا على وزارة الدولة مرافقة الصدر الاعظم الى الحرب فانهم يبدون نفس الممانعة نحو فكرة الحرب لانها تسبب لهم مزايا زائدة وتضعهم من التهم بحماة ناسه سعيدة . وليس عند الصدر الاعظم ايضا دوافع تجعله يطلب الحرب اذ هناك ما يجعله ينافي كثيرا من مكائد منافسيه مدة غيابه عن العاصمة وخصوصا من الذي ينوب عنه لان القادة هم شرطه من اجراءاته اذ يقدح فيه ويعمل في معارضته ليتمكن من اخذ مركزه وقد حصل في عهد عدة سلاطين ان قامت خصومات فاضحة بين الصدر الاعظم الذي يكون على راس الجيوش وبين نائبه في العاصمة تسبب قراملا قلاقل في الدولة ولهذا فان الصدور العظام يبدون كل ما يوسعهم للرجوع الى العاصمة اولافاع السلطان للمجيء واستلام قيادة الجيش واذا هاج الجنود فان الصدر الاعظم يتخذ ذلك وسيلة للاثمحاب من امام العدو او لوضع نهاية للحملة . "

ولم تكن القوى البحرية بأفضل من القوى البرية من حيث النظام والترتيب والقيادة فان الاسطول به د عمر السلطان سليمان اخذ ينحط بسرعة كلبه ر على ذلك بان العثمانيين من طبيعتهم غير متقدمين كثيرا في علم الملاحة " واذا وجد بين عساكرهم البحرية ضباط ماهرة لهم حصلوا على تقدمهم هذا بعد اختبار طويل فانه يوجد غيرهم يجهلون حتى السبادر الاولى . ويعد هذا نفس الخطأ الذي ارتكب نحو الجيوش البرية وهي في ان المحسوبة وحدها التي تقرر امر انتخاب امير البحر الذي يؤخذ عادة من بين موظفي البلاط ويكون لا يفقه شيئا عن امور البحر . ولا يحصل اهتمام ايضا عند تجنيد البحارة وذلك في ان تعمل الدولة على انتقاخهم من بين الذين يحسنون الخدمة . ان يحرق قبول كل من يتقدم "

هذا وصف مختصر عن الحالة الحربية بعد عهد السلطان سليمان بصورة عامة اما في اواخر القرن الثامن عشر فان حالة الجيش كانت اجمالا مماثلة لما كنا ذكرناه ان لم نقل بانها ازدادت ضعفا من حيث الجنود ومن حيث القيادة ومن حيث الفن الحربي . ان مقتضى النظام الجديد تتألف الجيوش من عساكر غير منضمة ومن جماعات كثيرة من المنابر والاشقياء فيجتمع منهم ما بين الثالث والاربع مئة الف رجل (كما جرى في حملة سنة ١٧٦٩) بدون ان تؤمن لهم الدولة معيشتهم والاعتدة الحربية الكافية . وما يزيد في القوضى ايضا وجود طائفة من العمال المدنيين ورجال الدين والدرابيش وابائعين والخدم وكية عائلة من الاسعة والخيم الخ . . . اما من الناحية الفنية فانه لم يكن يوضع اد تسميم للحركات الحربية وكان الجيش لا يدخل الحرب قبل الثالث والعشرين من نيسان ويلجأ الى معسكره الشتوي في السادس والعشرين من شهر تشرين اول . . . ولا يكون في الخالب عند الرؤساء اى فكرة عن الفن الحربي وكلوا ينتخبون بدون تعيين من مختلف طبقات الدولة . واذا كان عندهم نبوغ في هذه الناحية فان الافكار الخرافية تشغل حركتهم ان لا يقيمون باى مشروع مهم بدون ان يوافق عليه المنحويين . ويحدث ان تتناقض الادلة التي يشير عليها منجمو الجيش ومنجمو السراى الامر الذي يجعل القواد في حيرة غريبة . ويرجع القواد ايضا الى التقاويم لانتقاء الايام المناسبة للقيام باعمالهم الحربية ومن القواد من يكون قد احرز انتصارا في احد ايام الاسبوع فترام يرفض ان يحارب في غير مثل ذلك اليوم . ولكل ايضا يومه المشؤوم بمتنع فيه الشروع باى عمل وكثيرا ما يرجعون الى آيات القرآن اى انهم يفتحونه كيفما صدف ويمشون حسب معنى اول آية من الصفحة . ويحصل تغيير كبير في منصب قيادة الجيش .

وذلك بسبب عن الدسائس والاهواء والسعفدات الخرافية واسوأ من كل ذلك هو ان الجندى عندما لا يتناول كل رتبه بثور ويبسح لنفسه القيام بكل انواع التعديات .

حالة ادارة الدولة الداخلية

هذه هي حالة الجيش الذى كان فخر السلطنة العثمانية ولكن انقلبت الاية وآل امره الى الدمار بسبب الفوضى وعدم النظام وجهل القواد . ولكن رب قائل يقول بان الدولة اصبحت بعد عهد السلطان سليمان واسعة الأرجاء تمتد ارافيداً من المجر حتى خليج العجم ومن باب المندب حتى بلاد مصر مع كل شمال افريقيا تقريباً ولها بحكم ذلك ليست بحاجة الى فتوحات جديدة ولهذا فقد لا يضيماً عدم وجود جيوش قوية جارة ان يؤكد ان تحفظ الامن في البلاد التي تحتلها وذلك بايجاد جيش صغير قوى منظم وان تحسن من اساحية ادارية حكمها وادارة اعمالها الداخلية وذلك بانتقاء عمل وموظفين من ذوي المقدرة . انما لسوء الحظ لم يكن لديها ذلك الجيش الصغير القوى المنظم ليحفظ الامن داخل البلاد كما لم يكن عمالها وموظفوها من اصحاب المقدرة .

كانت الدولة تتألف من ايلات يحكم كل منها وال يحينه السلطان وكون مستقلاً في ادارة شؤونه وظرفته ومويناية ملاك صغير مستقل يقوم كل سنة بارسال خراج ولايته الى السلطان ويمكن القول بان هذه التقسيمات الادارية كانت تجعل الامبراطورية العثمانية مفككة الاجزاء ضعيفة الارتباط مع بعضها البعض ومع العاصمة فكانت تتجه الدولة بمقتضى ذلك نحو اللامركزية وفي ذلك ما فيه من الخطر على كيان السلطنة بكاملها . وتذكرنا حالة الدولة ان ذلك بحالة الخلافة العباسية في اواخر ايامها عندما اخذت اللامركزية تعمل عملها في تعجيل انهيارها فلخذت الولايات تبتعد شيئاً فشيئاً عن الخلافة وتوالت دولاً مستقلة تناوى وتمدد العباسيين انفسهم . وهذا تقريباً ما حصل للدولة العلية عندما اخذت ولايات شمال افريقيا وبلاد مصر وولايات الروم ايطلي تستقل الواحدة بعد الاخرى . ومما كان يزيد في عاقبة تلك الحالة ان الدولة كانت لا تحسن انتقاء واختيار عمالها وموظفيها ليس فقط في الولايات بل في العاصمة ذاتها . فان اعرفنا كيفية تعيينهم وكيف يقومون بشؤون اعمالهم وما هم عليه من قلة الاختبار والدراية والثقافة يمكننا ان نتصور الحالة المريعة التي كانت فيها ادارة الدولة الداخلية .

عندما اقول نعم الدولة العثمانية بعد عصر السلطان سليمان ودخلت في دور الانحطاط او
بالاصح دور النزاع الذي دام عدة قرون وهو طويل ورقم قياسي في حياة الدول لم يكن السلاطين
يبدون الاعتناء الكافي في تعيين حكام الولايات وانتقاء الخصاص اشتهروا باخلاصهم وحزمهم ومقدرتهم
اما كانوا يعينون من يدفع مالا اكثر من غيره ولم يكن المستحقان الشخصي اى اعتبار عندهم .
عندما ارادت الدولة عام ١٥٩٢ عزل حاكم طرابلس الشام بسبب اختلاساته اخذت جموع المتقدمين
لدى المركز تسعى للحصول عليه وتدفع من اجله امواله عائلة ولقد عرف واحد منهم ويدعى حسن باشا
كيف يزلزل العقبات امامه ويحصل على حكم الولاية وذلك انه وضع في قلعة الديوان عشرة الاف عندقلي
(سيكان) كدفعة اولى للدولة فامر مراد الثالث بدون تردد اعطاء هذا المبلغ لموظفي مائته من
امل المبلغ الذي لهم عنده وان يذهب حسن باشا للاستراحم مدام منصبه في طرابلس .
وبما ان الحاكم يكون قد دفع ثمن منصبه غالبا فانه يستعمل السرعة والجرأة في ارهاق السكان بالضرائب
لانه غير متأكد من دوامه في منصبه ولكنه مطمئن تقريبا من انه لا يقاصر على اعماله هذه . ولا
تصل شكايات المظلومين الى الدولة الا بصعوبة واذا صدق ووصلت فان اعوان الحاكم وحماة يخفون من
قوة تأثيرها . وان اكثر الوسائل التي يستعملها حاكم طماع للاستيلاء على ثروة شخص غني تكون
في التفتك بانه بارتكاب جنابة ما تم اجباره على دفع قسم من ثروته يفتدى بها حياته .
” وهم يفعلون ذلك لأن قضاةهم وكبارهم كبيرة . ويجب عليهم عدا ذلك ان يدفعوا
ثمن مناصبهم وثمان بقائهم فبدأ وثمان ابعاد التشكيكات المسببة عن جورهم . واذا سخطت الدولة
على احد الحكام واستصفت امواله فان الايالة التي كان يحكمها لاستفيد شيئا وتبقى على ماهي
عليها . ان الدولة لاتعوض شيئا على اولئك الذين اختلس الحاكم اموالهم ويسير عادة الحاكم
الجديد على منوال سلفه . واذا زادت هذه المطام الى درجة انها سببت قلاقل في البلاد
فان الدولة ترسل حينئذ ان موظفا كبيرا يحمل لقب مفتش وتمنحه صلاحيات واسعة الا انه في
معظم الاحيان عوضا من ان يبدد الحالة يزيد في خراب الناس بما ياتي من اعمال الرشوة
والظلم .
انه يمكن القول بصورة عامة ان كل مناصب الدولة من اعلاها حتى ادناها تباع وتشترى .
والجندى البسيط يدفع ضريبة من راتبه لضباطه ولقائده فرقة . والضباط يدفعون للقائد والقائد
يدفع للسلطان وللصدر الاعظم . قل الامر نفسه عن بقية الموظفين في كل مكتب وفي كل دائرة
ان هذه الطريقة في بيع المناصب ادخلها على الدولة الصدر الاعظم الجندى زاده علي باشا

زمن حكم السلطان بايزيد الاول (١٣٨٩ - ١٤٠٣) واثبتا رسما رستم باشا وزير السلطان سليمان (١٥٢٠ - ١٥٦٦) . وبالمقابل فان هم الموظفين الرئيسيين يكون في الاستفادة مدة توليهم وجمع المال بسرعة مختتمين كل الفرص والمناسبات التي تهيئها لهم الفوضى الادارية .

ولا يقيم عمال الدولة وموظفوها بقضاء الاعمال بسرعة اذ كل شيء يترتب حسب مشيئتهم / وروقتهم . وقد ذكر دوسون شيئا عن ذلك عندما تكلم عن السفارات والسفراء واعمال الدولة السياسية بانه : " من شعار اعضاء الحكومة ان يتمدوا في قضاء الاعمال التي على شيء من الاهمية والتي تخرج عن دائرة الشؤون العادية فيؤجلون النظر فيها من وقت الى اخر وسؤخرونها سنين عديدة بدون ان يتوافروا . واذا سؤلوا عندها يرددون القول وينتهى البرودة : سننظر فيها انشاء الله . وهذا التردد نائبي عن حيلهم وخوفهم من تحمل المسؤولية . اذ بما ان الوزير يكون غير متأكد ابدأ ان يظل في منصبه حتى الغد فانه يترك للذي سيخلفه ما يمكن ان يعرضه للمكارة . وان الاعمال العادية لنفس هذا السبب ايضا تقضى بسرعة مدهشة ^{من} ~~فيهم~~ فيهم كل موظف ان يقضيها حالا لكيما يقبض المال الراجع له منها .

لقد تكلفنا عرضا عن الجهل المتفشي بين كبار موظفي وعمال الدولة وظهر مثال على ذلك ما كتبه دوسون نقلا عن الموضح التركي نعيمة . قال : " عندما رجع حسين بك مندوب السلطان محمد الرابع في احدى الماموريات في بلاط دهلبي سنة ١٧٥٣ سأل هذا بفضل عن اعرب شيء استرعي انتباهه وعوفي الهند . فاجابه حسين بك بنتهى السكون بانه لم يلاحظ شيئا وانه كان ملتفتا فقط الى مدينته وانه كان عديم الصبر لترك البلاد التي لا يمكن في اية حال مقارنتها بجمال البلاد التي لها الحظ بان تكون خاضعة لجلالته . " نذكر هذا المثال لانه كان يترتب على كل سفير ان يقدم تقريرا عن رحلته حين رجوعه الى العاصمة . ويمكننا الحكم على قيمة هذه الملاحظات التي يبديها اشخاص لا يعرفون اى لغة اجنبية وهم غير مثقفين ويكونون قد مكثوا مدة ضئيلة فقط ^{فيهم} . هذه هي حال كبار رجال الدولة فما تكون اذ حال بقية الموظفين ياترى ؟

ومما يدعو الى الغرابة نظرة الناس والدولة الى هؤلاء الموظفين وكيف يجب ان يكونوا اذ انه يتطلب من موظف الدولة ان يكون مقدما في السن وذا الحية بيضا . وكان من العار عند الناس ان يكون في احد المناصب الدالية موظف يتراوح سنه بين الاربعين والخامسة والاربعين اذ يعتبر كصبي بعد . ومن الاقوال الدارجة عندهم ان سنا جبرا واختبارا طويلا في الاعمال هما افضل من

من علم افلاطون وارسطو .

حالة الشعب وسكان الدولة العثمانية

ان الناس على دين ملوكهم . فاذا كانت شخصية السلاطين ضعيفة وغير اهل لحكم سلطنة واسعة . واذا كان الجيش قليل التنظيم والطاعة وضعيف القيادة . واذا كانت القوضى تعم ادارة الدولة والحكومة والجهل مخيم على الموظفين فان الشعب لابد ان يكون في حالة سيئة جدا .

وفعلا فقد كان من النواحي المعنوية والثقافية والنفسية والمادية في تاجر مريع . فالضرائب كانت باهظة وتجبي منه بقسوة وظلم وكان معرضاً دوماً لطمس الحكام والموظفين ويتكلف زيادة على ذلك من جراء تنفلات الحكام وشدوبي ورسل الدولة اموالا كثيرة ان يترتب عليه ان يقدم لهم كل ما يحتاجون اليه وكل ما يلزمهم في سفرهم وتنقلاتهم مع تقديم الهدايا لهم ولحاشيتهم . وكان السكان غير امينين على اموالهم وازقاقهم ولا يجرأون على تشييل اموالهم في الزراعة والتجارة والصناعة خوفاً من تعديات الاشقياء والحكام وخوفاً من العساكر التي لاتحترم ارق الناس عند احتيازها اراضي الدولة كل هذا مما يمنع ازدهار البلاد التجاري والصناعي ويدفعها الى حالة اقتصادية سيئة .

هذا من الناحية المادية اما من الناحية المعنوية فان الجهل كان يخيم على معظم سكان الدولة وقليلون هم الذين كانوا يجيدون القراءة والكتابة . فالثقافة كانت وظلت ثقافة دينية تنحصر في معظم الاحيان في قراءة القرآن والحديث وتعاليم الائمة وكبار رجال الدين . اما العلوم والفنون والمعارف فانها كانت شبه معدومة عند العثمانيين . ولاتقع مسؤولية ذلك على الدولة فحسب بل على الشعب ايضاً . فلقد ظهريين السلاطين والصدور العظام امخاض احبوا العلوم والفنون وحيدوا انتشارها في البلاد مع تقدير المدنية الاوروبية حق تقدير ولكن كانت تفقصهم العزيمه الصادقة والصراخه في ادخال المعارف الاوروبية الى الدولة هذا من جهة ومن جهة ثانية فانه لم يكن هناك استعداد وتحمس عند الشعب لتقبلها ان كان ينظر اليها كأنها بدعة من البدع وانها تنافي الدين والتعاليم الالهية . لقد كان تعصبهم الديني قويا لدرجة منعهم من التطلع الي افق جديد وحصرتهم في نطاق ضيق مما جعل امر تحرر افكارهم ونفوسهم صعباً جداً . وغير قادرين على ان ينهلوا من منابع علوم أوروبا التي اخذت تسير شوطاً بعيداً في عالم التقدم والرفي

حائلة مشعل المدنية في العلوم والفنون . وما يريد المرء ان الشعب كان يحمل مع العصبية الدينية عصبية قوية لمعاداته القوية القديمة لا يتحول عنها على كراياهم وعر السنين . وكم كان حقد العثمانيين عظيما نحو كل من عواجنبي ان في الدين او الجنس او الثقافات والعلوم . ولا نرى بدا من الاشارة الى الصعوبة التي جابهتها الدولة العلية عندما ارادت في اواخر القرن الثامن عشر ان تعين سفراء لها في بلاطات باريس وفيينا ولوندره وبرلين . قال دوسون : " ويترتب حسب هذه الخطة ان يلتحق ثمانية او عشرة شبان عثمانيين بكل سفارة من هذه السفارات وان تؤمن لهم الوسائل اللازمة لتعلم اللغات والعلوم والفنون الأوروبية ولكن هذا العمل لم يكن من الممكن اجراؤه الا بعد مدة طويلة وذلك لانه كان يتعارض كثيرا والعصبية الوطنية ولقد جابه الباب العالي في بادئ الامر صعوبة ايجاد اشخاص من ذوي المكانة يمكن تذييل كرايتهم للذهاب الى بلاد مسيحية ولقد اضطر في اخر الامر ان يعدهم بان مهمتهم هي ان تدوم اكثر من ثلاث سنين . . . ولكن بعد بضعة اعوام اخذ الباب العالي يلغي هذه السفارات وعين بدلا من السفراء في هذه البلاطات مندوبين يوكوك يونانيين . "

لقد كان العثمانيون الورثة لأكبر امبراطوريتين من الامبراطوريات التي عرفها التاريخ وهما امبراطورية البزنطية والامبراطورية العربية . ولقد وصلت كل منهما الى درجة عالية في عالم الفكر والثقافة والتقدم والرفق وكانت الاسباب مهيئة والطريق سهلا للعثمانيين لاقتفاء اثرهما واخذ العلم عندهما ومتابعة ثقافتهما ولكنهم لم يفعلوا وحل السبب يرجع الى طبيعتهم التثنية المغولية ان يقول *همسلي* كما ذكرنا ذلك قبلا " . . . ومن هذه المعاداة العثمانية الراجعة الى اصل ترى هي مجتهدهم للضعف والحرب والفتور مع اراء ضاربة في الصق والوسائل التي تمكنهم من الوصول الى هدفهم هذا مع ميل فطري للحكم والسيطرة اضاف الى ذلك حبهم للتقديم وللحياة الحرة . كما عند ^{ان} عدمهم ~~كما~~ كالتتر نوعا من بلادة الذهن وعدم الابتكار والصبر على المعاناة .

لقد خرجوا من اواسط اسيا وهم على حال البداوة واستقروا في اسيا الصغرى وتوسعوا في اوربا واسيا الصغرى وشمال افريقيا . كما خرج قبلهم العرب من الجزيرة وهم على حال البداوة وانتشروا في بلاد الشام والعراق وقارس ومصر وشمال افريقيا والاندلس . ان وجه الشبه بهذا الخصوص قريب بين العرب والعثمانيين . قام العرب على انقاض الامبراطورية البزنطية في الشام ومصر .

والإمبراطورية الفارسية في العراق والعجم . كما قام العثمانيون بعد ذلك على انقاض الإمبراطوريتين البيزنطية والعربية ولكن عدا هذا الشبه فإن الفرق كبير بين الامتين . فلقد كان العرب على الفطرة البدوية ولكن سرعان ما اقتبسوا المعارف ونقلوا من منبع المدينتين البيزنطية والفارسية وادخلوا فيما انعموا من عندهم وكفوها لتوافقا روحهم فكان لهم ما ارادوا . اما العثمانيون فانهم وان اقتبسوا بعض علوم ونظم البيزنطيين والعرب والفرس الا انهم كلوا مقصرين في هذا الباب ولم يندموا بالتراث المتروك لهم كما يجب ان يفعلوا وكانت النتيجة هي موت الثقافة والتقدم البيزنطي والعربي على ايديهم . ولم تطلعنا التواريخ على وجود فنون او مدينية او ثقافة او معارف عثمانية وهذا ما يؤسف له حقا . كان اقل ما يجب ان يفعلوه هو حفظ تراث الامم التي خلفوها اذا لم يكن بوسعهم ان يزدوا عليها . ولكنهم لم يفعلوا ذلك بل بالعكس قضاوا على معالم تراث الامم كما سنذكر بعد قليل . ولقد تدهوروا في انحطاط معيب وجروا معهم في تقهقرهم البارد التي استعبدوها مثل الشام والعراق مثلاً . وكان من حسن حظ مصر وبلاد اوربا المحتلة ان استقلت شيئاً قشياً عن السلطنة وتقدمت في معالم الرقي والتقدم فسبقت بكثير الدولة العثمانية نفسها كما يشهد التاريخ على ذلك وكان من سوء حظ هذه البلاد ان ظلت تحت حكمهم حتى اواخر الحرب الصامتة . وكما انه من سوء حظ الاتراك انفسهم ان ظل العثمانيون سلاطين عليهم .

لقد قلنا بانه كان يجب على العثمانيين ~~في الاقل~~ ان يحفظوا مدينيات الخير وكيف انهم لم يفعلوا ذلك بل بالعكس قضاوا عليها . وعلى سبيل المثال نذكر حكم احد المؤرخين العثمانيين وهو علي محمد افندي على اعمال العثمانيين بهذا الخصوص في حادث نهب مدينة تبريز العجيبة لقد اتخذ الصدر الاعظم ازديمر اوغلو باشا بعد ان استسلمت هذه المدينة عام ١٥٨٥ كل التدابير للمحافظة عليها وعلى ارواح سكانها ولكن بدون فائدة ان اشتباك الحنود والاهالي في مذبحه قتل فيها عشرة الاف شخص اما تبريز وهي من اكثر المدن العجيبة ازديمارا فقد اصيبت خراباً . وبعد ان يصف المؤرخ افخم وصف قصورها وحماماتها وفنادقها وجميع انواع انبتها يقول : " يجب ان نقدر ذوق ^{العجم} نحو الفنون وما يبذلونه من عناية في تحسينها كما يفعل الاوربيون . ولا يسعنا ان نقول ~~نفسه~~ ^{نفسه} نحو امتنا العثمانية التي عوضا من ان

تقتبس مثل هذه الثمرات من المدينة فانهما تحتقر حتى المدافلة على المنشآت التي تكسبها بحروبها
بأبعد من ذلك فان عندهم ^{دافع} ^{يدفعهم الى} حشود مدتهم كل شيء .
وهكذا فقد شهد شاهد من اهلهم .

ولكن رب قائل يقول اذا كانت هذه هي حالة السلاطين والجهش والادارة والشعب فما
السبب في ان السلطنة العثمانية عاشت طويلا حتى الحرب العامة الماضية بينما اقل دخل او فوضى
بين الحكام وفي الجيش والادارة والشعب تكفي في غالب الاحيان للقضاء على اية دولة كانت .
يقول ليبير بان النظام الاداري في القرن السادس عشر كان قويا لدرجة انه تمكن من ان يعيش
ويدوم حتى مطلع القرن العشرين . ولكن الاحداث التاريخية تدل عن ان السلطنة العثمانية مدينة
بطول بقائهما وحفظهما لهما لافقة نظامها الاداري الذي انحط كثيرا في القرنين الأخيرين بل لعدم
وجود خصم قوى يقضي عليها وللنزاع الشديد الذي كان قائما بين الدول الأوروبية . فلم يكن
هناك في بادئ الامر اي بين القرن الرابع عشر والثامن عشر دولة اوروبية قوية يمكنها ايجاد القضاء
على العثمانيين . ثم بعد ذلك اي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان الحسد والبغض متحكمان
بين الدول الأوروبية الى حد انه كان من الصعب ان لم نقل من المستحيل ان تتحد مع بعضها للقضاء
على العدو المشترك لان كل واحدة منها كما يقول جارمن كانت تخاف ان تحتل الاخرى دونها
اراضي الدولة العثمانية وتستولي على المضائق . وهكذا فان الدول الأوروبية بحكم
موقفا العدائي ~~من~~ بعضها ^{من} البعض اجبرت سلاطين آل عثمان ان يعيشوا بكر من اللازم وانخر
ما يجب وانخر ما كان يمكنهم ان يعيشوا .

الإدارة في الدولة العثمانية في عهد مرادجه دوسون

يتألف هذا الموضوع من سبعة أبواب تبحث في : (١)

- ١ - البلاط
- ٢ - الباب العالي - الوظائف السنية - الديوان .
- ٣ - دائرة المالية
- ٤ - الولايات
- ٥ - الحالة العسكرية .
- ٦ - البحرية
- ٧ - علاقات البلاط العثماني مع الدول الأجنبية

الباب الأول

البلاط

كان محمد الثاني أول سلطان عثماني قام بترتيب بلاطه . إلا أن بعض الذين خلفوه أجروا بعض التغييرات غير أننا لا نرى قاعدة في بحث التفاصيل ونكتفي في إعطاء صورة للبلاط العثماني في حالته الحاضرة وسنتكلم عن :

- ١ - السراي
 - ٢ - موظفي السراي
 - ٣ - موظفي داخل البلاط والخلمان من الخدم
 - ٤ - حرم السلطان أو نسائه
 - ٥ - السلطنة الوالدة
- (١) يذكر دوسون هنا أن كتابه يتألف من سبعة أبواب ذلكنا سون زى لأنه يقسم مجله إلى ستة أبواب .

- ٦ - السلطانات الممكرات
- ٧ - السلطانات الاميرات
- ٨ - ابناء السلطان الحاكم
- ٩ - الامراء من العائلة المالكة
- ١٠ - السلطان نفسه

الفصل الاول

محمد الثاني

السراي

لما كانت الافكار الخرافية لاتسمح لفتح القسطنطينية بسكنى قصر القياصرة القديم الواقع قرب باب ادرنه ^{فلذلك نراه قد} ~~على محمد الثاني~~ شيد بناء واسعاً في وسط المدينة على انقاض احد الاديرة . الا انه بعد بضعة اعوام امر ببناء قصر جديد في منتهى القسم الشرقي من المدينة على راس تحيط به مياه البوسفور من ناحية ويده بحر مرمرة من الناحية الثانية وعويقه مقابل مدينة اسكدار ~~على~~ على الشاطئ الاسيوى وكانت الاشجار وبصورة خاصة اشجار الزيتون تظل ذلك المكان .

سكن السلطان محمد مع بعض موظفيه القصر الجديد تاركاً بقية حاشيته وحرمه في القصر الاول الذى سمي منذ ذلك السراي القديمة . وتبعه في ذلك السلطان بايزيد الثاني والسلطان سليم الاول . الا ان السلطان سليمان الكبير نقل حاشيته وحرمه الى السراي الجديدة . ومن ذلك العهد لم يعد يسكن السراي القديمة سوى النساء وارجوارر اللاتي عشن مع السلاطين اسلاف السلطان الحاكم .

فأصبح القصر الجديد بعدد ابدان وسعه وجمله السلطان سليمان الاول يحتل ارضا واسعة محاطة بسور تقيم عليه الابراج . ومدخل هذا السور المسمى بالباب الهميونى يشرف على مكان يحده من احدى الجهات جامع اياصوفيا حيث يقوم في وسطه بناء ماء سبيل محلى بنقوش ذهبية . واذ اما دخلنا الى باحة القصر الاولى وجدنا الى اليمين بيت المال وبستان اشجار البرتقال والمستشفى والفرن والى الشمال مسكن الجاني محصل الضرائب المتاخرة وورشة الاعمال ومستودع الاسلحة ومكان

غرب النقود وخاج الوكيل العام للابنية وخاج نائب رئيس الخصيان السود وقاعة الديوان القديمة والاسطبلات الكبيرة ومسكن رئيس رجال الحرس .

وعلى الداخل الى الباحة الثانية ان يجتاز رواقا بطول خمسة عشر قدما تقريبا منطلق من حديقته ببايين يسمى الخارجي منبعا بالباب المتوسط . ويعرف هذا الرواق باسم : (ايكي قبواره سر) اي المسافة بين البابين . وعلى الحيطان اسلحة وملابس حربية قديمة مما عنده السلاطين العثمانيون . وهذا الرواق هو شرمكان على الامراء المنضوب عليهم ان يدعون بواسطة ما الى السراى فيقبض عليهم في هذا الرواق حيث يسلمون صورة الحكم الصادر بمقدم . فاذا كان هذا الحكم قاضيا بالموت اعدوا بالموضع نفسه . ويقيم فوق الرواق بناء يسكنه حجب القصر .

وتحتل في الباحة الثانية المكاتب والمطابخ الخاج الايمن كله . واهم الابنية القائمة في الجهة الشمالية هي : ستودع الدفترخانه اي السجلات القديمة وقاعة الديوان الجديدة ومسكن رئيس الخصيان السود . وستودع الخيم والسردقات ومخزن الخلع السنية .

وهناك باب ثالث يعرف بباب السعادة يقع مقابل البابين السابقين وهو يوصل الى القسم الداخلي للقصر الذي يسكنه السلطان وافراد عائلته وحرمة وموظفو قصره وخدمه وقرقا الخصيان السود والبيض .

وهناك طائفة من المنازل (الاكشاك) والابنية متفرقة داخل هذا السور الواسع اما في وسط الجنائن او على شاطئ البحر وهي متزهات السلطان يرتادها غالبا ليمضي فيها بعض يومه . وهذه الابنية مخطاة بالرصاص وقائمة على شكل مدرج بين الدجار السرو والصنوبر والدلب وهي تشرف على مكان بديع يطل على منظر خللاب يبهج النظر . الا وهو مدخل البوسفور . ويفصل باب السعادة بين مركز موظفي داخل القصر المخصصين لخدمة السلطان ومركز موظفي خارج القصر الذين يؤلفون حاشيته .

الفصل الثاني

موظفو القصر

ان هؤلاء الموظفين الملقبين باغاوات القصر الخارجي يؤلفون طبقة منفصلة تمام الانفصال عن اغاوات القصر الداخلي وتلقى على عاتقهم اعمال الدولة واعمال القصر . وبما انهم يسكنون ابنية

توسط باحقى القصر فانه يسمح لهم هم بان يتركوا القصر ويضوا الليل في بيوتهم بينما ان خدم
السلطان ^{لا يمكنون} الخصوصيين من ذلك .
ويحق للاولين اخاء لحاهم اما افراد الفريق الثاني الذين يعتبرون بشابة خدم فانه
يترتب عليهم حلقا .
ويقسم موظفو القصر الخارجى الى ثمان طبقات .

الطبقة الاولى

هيئة
الموظفون المنتهون الى جملة العلماء

تلك

١ - خوجة السلطان او معلمه ، وكانت ~~عنه~~ الوظيفة فيما مضى الى العلماء الذين يتوصلون
فيما بعد الى المراكز الاولى في الحكم . وفي ايام البوس التي جاءت بعد انهزام بايزيد الاول امام
تمركان كوفي معلم ابنه محمد الاول الذي لقب ببايزيد صوفي ، على خدماته بان عين قاضي عسكر
لانه اشتهر بصورة فعالة في اعادة السلطنة (بما ابداه من نصائح حكيمة) الى السلطان . وكثيرون
من السلاطين الذين خلفوا السلطان محمد الاول رفقوا معلمهم الى المراكز الاولى في القضاء . فان عثمان
الثاني عين معلمه رئيسا لهيئة العلماء . ثم تزوج ابنته . وقد توصل في زمن محمد الثاني الخوجه
سعد الدين الشهير وعو اول من كتب تاريخ الدولة العثمانية الى منصب الافتاء محتفظا في الوقت نفسه
بلقب خوجة . وحصل ^{نفسه} لملك الشى لسعيد فيض الله زمن حكم مصطفى الثاني ، الا ان ترقيه السريع
الذى ينافي قوانين هيئة العلماء ، وسلوكه الفاضح وسوء استعمال ثقة السلطان به ادت كلها عام
١٢٠٢ - الى سقوطها هو والسلطان معا . ومنذ ذلك الوقت لم يتوصل هؤلاء العلماء قط الى المناصب
العالية وزال ما كان لرتبتهم من بقاء . وقد عين في الزمن الاخير لتعليم السلطان موظفون مدنيون ،
وبلوا بالبا من الخصيان الذين اشتهروا بعارفهم واخلاقهم ، الا ان دروس هؤلاء المعلمين كانت لا تتعدى
المسائل الدينية قط .

٢ - الامام الاول ويدعى ايضا امام السلطان . يقوم بالاعمال الدينية في السراى . ويمنح يوم تعيينه
رتبة مدرس . وله الحق وحده في النيابة عن السلطان في العيدين . اذ انه يجب على السلطان ان يحضر
يتراعى تمثلا بالنبي جماعات المؤمنين ويصلي بهم .

ويساعده في اعماله امام ثان فيثاويان في الوظيفة اما في جامع القصر او في الجامع الذي يوردي فيه السلطان صلاة الجمعة .

٣ - الامام الثاني الذي خلف الامام الاول ويضع ايضا يوم تعيينه رتبة مدرس . وعلى من يريد التوصل الى عذيق المركبين ان يكون حسن الصوت . وفي مسجد السراي (٢٤)

(٣٣) - مؤذنا يتبعون السلطان الى الجامع في الاعياد الكبيرة ليرتلوا مع الامام .

٤ - رئيس الاطباء (او حكيم باشي) يضع كتابه يوم تعيينه رتبة مدرس . فاطبا القصر وجراحوه واعضاء العيون والصيدلة كلهم تابعون له ويخضع لرقابته كل من يمتحن مثل هذه الاعمال في سائر انحاء الدولة . وكانت هذه الرقابة سابقا اسيرة فقط ، انه كان كل انسان حرا في مزاوله مهنة الطب او في بيع العقاقير . الا انه بعد وفاة رئيس خديان السلطان مصطفى الثالث فجماعة سنة ١٧٦٨ وذلك على اثر تناوله دواء قدمه له احد الشعوذيين صدر امر يقضي بان يستحق رئيس الاطباء كل من يريد مزاوله مهنة الطب .

ووظيفة رئيس الاطباء كثيرة الريح . فهو يكافأ بسخاء على خدماته في جميع المناسبات ، واذ اراد السلطان منح عطية على مريض من كبار رجال الدولة فانه يرسل له طبيب . وتعود عليه هذه الزيارة بدوايا شينة . وقد اعتاد الناس ايضا ارسال اطبايهم الى المرضى من اصحابهم لاهتمامهم بهم . فيكون ذلك في الغالب بالا على صحة هؤلاء وعلى جيوشهم . للذين عليهم مراعاة لخطرا من قائلهم ان ياخذوا كل ما يقدمه لهم الطبيب من دواء . ويسحب ايضا رئيس الاطباء مبالغ عظيمة في تحضيره المعاجين المولفة من روح الافيون وعود اللند والعنبر ومن بقية الطيوب التي يقدمها للسلطان في الولي الصنية قبل عيد انبروز بخمسة عشر يوما وهي مقدمة اسمها النيروزية ويقدم مثل ذلك ايضا للامراء والاميرات من الاسرة المالكة والنساء القصر وكبار الدولة فيعطونه الهدايا الثمينة . وعندها ايضا عادة في ان يقدم اطباء المدينة في ذلك الوقت مثل هذه المعاجين للامراء وللانصار الذين يدعونهم .

وعندما يصاب السلطان او احد افراد عائلته بمرض شديد يعتمد حينذاك على قدرة اشهر الاطباء الاوروبيين الموجودين في بيرا . فيدعون الى السراي للتشاور مع رئيس الاطباء الذي يقوم بتقديمهم وتكون ارشاداتهم خاضعة لموافقة .

ان اطباء القصر وعددهم تقريبا ثمانية عشر ينتمون ايضا الى صف العلماء ويكون دائما في

الخدمة اثنان منهم لمدة اربع وعشرين ساعة . فيقيمان مع طبيبين جراحين في حجرة محاورة لغرفة رئيس الخصيان السود . يوجد في السراى ثمانية او عشرة من الجراحين .

٥ - رئيس الفلكيين والنحسين (منجم بائى) . ان المسلمين لا يميزون بين علم الفلك والتنجيم وهم يطلقون الاسم // نفسه على كليهما . ومع ان الدين يمنع كل ما يتعلق بالعرافة فان المسلمين على جميع طبقاتهم يعتقدون بالتنجيم . حتى انه من تقاليد الباب العالي ان لا يقيم بار عمل قبل استشارة اولئك الذين يتنبون حرفة التنبؤ بتاثير الكواكب على حوادث هذا العالم . ولهم يعرفون كيف يبينون السبب اذا ما جاءت النتيجة على عكس ما تنبأوا فتراهم يرمون من يقوم على ادارة الاعمال غالبا بعدم القدرة او بسوء الطالع .

وقد حصل غير مرة انه اذا ما دعي وزير جديد الى السراى ليتقلد منصبه يتضرع الى السلطان ان يرجي الانعام عليه بالخاتم بضع دقائق او بضع ساعات كما يقتن وقت الانعام ~~بطلهم~~ بطالعه ويكون السلطان حينئذ حاملا الساعة بيده يرقب الوقت . ويمكننا الاتيان بمثال حديث العهد عن هذا التطير وهو ان راتب اقدى الذي ارسل كمشير الى بارط فيما عام ١٢٩١ بعد صلح سيستوف كان قد استلم ليل قبل بضعة اشهر رسالة من السلطان سلمه الثالث يخبره فيها ارجسته بتعيينه في اليوم التالي " رئيس اقدى " او " وزير الشؤون الخارجية " وبما انه كان لراتب اقدى سابق معرفة خاصة بالسلطان لكونه قد اعطاء فيما مضى دروسا في الكتابة تجرا وتفرغ اليه ان يؤخر منح نعمته عليه هذه الى ما بعد الغد والى الساعة معينة معتقدا ان ذلك احسن حالا له . غير ان نجمة قد خدعه هذه المرة وذلك ان ^{فيه} في تلك الددة ~~توصل~~ ^{توصل} بغيره بفضل بعض الدسائس الى احتلال المنصب الذى كان معينا له .

ان عمل المنجم بائى من الناحية الفلكية يقتصر على اعداد تقويم سنوى كان يدل ايضا على ايام السعد والنحس ويشير بصورة خاصة الى الايام التي كانت تلائم بعض الاعمال كالاتداء بمهمة او زواجا عبيدا او عقد زواج اوليس ثوب جديد او التماس شيء او القيام بسفر الخ . . . وهم يعينون ايضا الايام التي على الدولة ان تختارها وتفضل اعلی غير ما لاجراء مختلف الاعمال .

٦ - رئيس الجراحين او جراح بائى . هو الذى يختن امراء الاسرة المالكة ويفحص الخصيان قبل قبولهم في خدمة القصر .

٧- رئيس اطباء العيون او " كحال باشي " يحضر الكحل الذي تستعمله نساء القصر ، والدافع الى استعماله هو دافع ديني اكرمه صحي ، لأن النبي محمداً استعمله في بلاد يعتقد فيها ان الكحل يقور النظر وقد احتفظ الرجال حتى الان كما احتفظت النساء بعادة استعماله .
 ويلبس كل من موظفي البلاط هؤلاء لباس العلماء)

الطبقة الثانية

الموظفون الملقبون باغاوات الركاب السلطاني

١ - حامل العلم او " ميرعلم " . هو الحارس للاعلام الامبراطورية ولللاطواغ الستة (الاطواغ ، اذئاب الفرس) وهو الأمر على رؤساء الحجاب (قبوجي باشي) ويرأس موسيقي السراي العسكرية . وهو الذي يقدم لحكام الولايات الجدد العلم واذئاب الخيل وهي العلامات المميزة للقيادة العسكرية . وتؤمن له الضرائب المتعلقة بهذا المركز مورداً كبيراً . فيه ووحده بين موظفي البلاط الذي يحضر الجلسات التي يقصدها السلطان لاصحاب المناصب العالية .
 ٢ - البستنجي باشي او رئيس رجال الحرس . هو حاكم السراي ودور متنزعات السلطان فان شواطي البوسفور وبحر مرمرة من البحر الاسود حتى الدردنيل خاضعة لرقابته . ولا يمكن لاي شخص ما ان يبني او يرم بيتاً او اى بناء اخر بدون اذنه . وهو من اجل ذلك ينال ضرائب عديدة تفرض في الغالب على غير اساس . وهو الذي في نزعات السلطان البحرية يقبض على دقة الزورق الدمايوني ويكون بذلك قريباً من السلطان لاعطائه الايضاحات عن كل ما يعرض لانظاره من الاشياء التي هي تحت حكم البستنجي باشي .

وعو يقوم ايضا بوظيفة حاكم ، ويرأس اعدام كبار رجال الدولة من حكم عليهم بالموت داخل

السراي . ويقوم بتفتيش السجن حيث يوضع فيه الموظفون الذين يراد تعذيبهم ليقروا بالجرائم المنسوبة اليهم ، او ليقروا بشراحتهم لتضيقها الدولة .

وهذا السجن الكائن داخل السراي قرب فرن البستنجي يسمى " الفرن " والاسم وحده يلقي

الرعب في القلوب .

وكيفش عام للاحراش والمياه الواقعة في اطراف العاصمة يمارس البستنجي باشي ايضا وكالة

المعيد برا وبحرا . وتخضع تجارة الخمر والكلس لرقابته . وهو يوجر الضرائب التي تخصص له من كل

هذه الاعمال لقواد من جماعة "الخاصكي" .

وعو لا يظهرون تقريبا ابدا امام الناس ان رويته وعمر المكلف بتنفيذ احكام الاعدام يولد في نفوسهم شعور الاستمزاز والخوف . اما يذهب دائما لزيارة كبار رجال الدولة لتقديم واجباته لهم او للبحث معهم . وهو يتقلد رتبة الباشاوية ويحمل حاكم ادرنه ايضا لقب يستنجي باشي ويامر على فرقة مؤلفة من (١٥٠٠) من رجال الحرس تقريبا .

٣ - رئيس الاسطبلات . وعمر رئيس اسطبلات وعمرات السلطان له وكالة المروج والمراعي الواسعة الممتدة ما بين ادرنه وبروسه وهو يسمح للناس برعي خيلهم في المروج مقابل جعل خاص . ويخدم تحت امرته رجال السلاخور والخاصر اخورلو والثيونوك والقوردانا . فالجملة الاولى هم من خدم الاسطبلات وعددهم الفان . والثانية هم السواس وعددهم ست مئة تقريبا . ويطلق اسم ثيونوك على جماعة من البلغار عددهم (٦٠٠٠) يقومون بخدمة الجيش زمن الحرب . اما القوردانا او المختصون بالانابات فانهم يلتزمون كل الانابات التي تخص الدولة والمنقصة الى سبع وعشرين مقاطعة . ويأتي اخيرا سراحو وجمالو وبنالو القسروهم تحت امره رئيس الاسطبلات .

٤ - رئيس الحجاب ، وعمر الذي يستلم الحزم والحالات * المقدمة للسلطان لما يظهر امام الناس . ويقوم هذا الموظف مع الجاويش باشي في الاحتفالات الكبرى بترليعه مشير للبلاط . فيلبسان حينذاك ملابس قواد الحجاب " قبوجي باشي " ويحمل كل منهما بيده عصا محلاة بالفضة .

٥ - رئيس الاسطبلات الثاني ، يقوم بتفتيش الاسطبلات المهيمنة بالمعدة لخيل موظفي البلاط .

ويعرف هؤلاء الموظفون الخمسة باعاوات الركاب لانهم يقتربون من السلطان اكثر من

غيرهم . ويخضع السلطان عادة المأمورات الحصنة لرئيس الاسطبلات او لرئيس الحجاب . كالذهاب مثلا الى احد الباشوات ومنحه حلة من فرو السمور او خنجر مرصعا بالجواهر او غير ذلك من التقدّمات التي تدل على عطف السلطان عليه . ويعطي الباشا حاكم الولاية وصاحب المدينة رسول السلطان اربعين او خمسين الف قرش كمصروف سفره .

٦ - قواد الحجاب ؟ قبوجي باشي * وعددهم مئة وخمسون تقريبا . ولا يقبل في هذه الفرقة الا كبار البكوات ابناء الباشوات او ابناء كبار رجال الدولة . ويقوم كل ليلة واحد من هؤلاء القواد بحراسة باب البساي الثاني .

وهم يقومون في ايام الاحتفالات بوظيفة حجاب ويلبسون بذلك رداء طويلا من الجوخ المذهب محلى بغزو المسور (١) ويتبع اثنا عشر منهم السلطان الى الجامع كل يوم جمعة . واذا قبل السلطان مقابلة احد سفراء الدول الاجنبية فهم الذين يدخلونه اليه . ويعطى للمبرزين من هؤلاء القادة تمادة احدى فرق الجيوش . وهم الذين يحلون الاوامر السرية والكبيرة الاهمية . واذا ارادت الدولة التخلص بصورة فجائية من احد الباشوات المشتبه بهم فانها ترسل عادة لقتله احد هؤلاء القواد .

الطبقة الثالثة

الامناء

- ١ - الامين العام للارضية السلطانية
 - ٢ - الامين العام للنقود والناجم
 - ٣ - امين مطابخ ومكاتب السراى
 - ٤ - امين العلف المقرر لاسطبلات القصر
 - ٥ - وكيل امين المطابخ
- ويؤلف هؤلاء الموظفون الخمسة قسما من جماعة " الخوجوات " ويمكثهم الوصول الى الراتب الاولى في ادارة الصدر الاعظم ودائرة المالية (٢)

الطبقة الرابعة

موظفو الصيد

- ١ - البازدام الاول (اى السولج بيزان الصيد شاعنجي باشي)
 - ٢ - رئيس المحافظين على العقبان (شاكرحي باشي)
-
- (٢) يلبس المير علم والجاويش باشي ولقاوات الانكشارية والسباه والسلحدار ورئيس الجبجه ~~صل~~ الملابس نفط الرسمية وقت الاحتفالات .
- (٢) وهم يلبسون ملابس الخوجوات

٢ - رئيس المحافظين على الصقور (دغنجي باشي)

٤ - - - - - اليزان

الطبقة الخامسة

الموظفون التابعون لرئيس الخصيان السود

١ - "رئيس الرجال" الذين يقومون بالمحافظة على خيم وسراقات السلطان وهم يؤلفون فرقة من ثمان مئة رجل منقسمة الى اربعة بلوكات ^(دفعات) ووظيفتهم منحصره الان في نصب السراقات في المكان الذي يعين له عندما يريد السلطان تفتية يومه في حدائق القصر او في موضع من الاماكن الجميلة الواقعة في اطراف القسطنطينية . ويؤلف اربعون من ائدهم فرقة الوازنيين (وزندام) ورئيسها الوزندارباشي مفتش خزينة الدولة الواقعة في باحة القصر الاولى . اما بقية افراد هذه الفرقة اى الذين يحافظون على الخيم يقومون بوليفة حلال او سيف حيث يقف اربعة او خمسة منهم دائما على "الباب الاوسط" قرب خاج قواد الحجاب لكيما يكونوا قريبين لتلبية اوامر السلطان او الصدر الاعظم .

٢ - أمين الخزنة الخارجية " خزندارباشي) وهي مستودع لسجلات المالية القديمة ، والمخزن الذي يحفظ فيه الخلع السنوية من فراء او قواطع وهي التي تفرق في السراى اوفى قصر الصدر الاعظم كما تحفظ ايضا اعمال الحرير الاطلس ومن الجوخ المذهب حيث توضع فيها الاوامر والرسائل المرسلة من مجلس الوزراء . ويأمر هذا الموظف على عشرين موظفا لحراسة هذا المخزن .

٣ - الموظف الدائم بتقديم الجوخ والاقنعة على انواعها للزمة لبيت السلطان .

٤ - حارس الهدايا ، اى أمين المستودع الذي تحفظ فيه الهدايا المقدمة للسلطان من رعاياه او المقدمة من وزراء الدول الاجنبية باسم ملوكهم .

الطبقة السادسة

الموظفون التابعون لرئيس المكتب

١ - أمين مائدة طعام السلطان (حاشنكر باشي) وهو رئيس خمسين "جاشنكر" تقريبا وليس لهم من عمل سوى القيام بتقديم الطعام للصدر الاعظم ولبقية وزراء الدولة في الايام التي يلتئم فيها الديوان

٢ - رئيس الموسيقي العسكرية (متر باشي) وهي مؤلفة من ستة عشر منمارا وستة طبول واحد عشر بوقا وثمانية دفوف وسبعة صنوج واربعة نقارات . هذه الفرقة المؤلفة من اثني وستين موسيقيا يضلعف عدد رجالها عندما يخرج السلطان مع الجيش وهم لا يعزفون في القصر عادة الا في ايام الصيدين وعند هذا يقف رئيسهم امام رجاله ويدها على خصره .

وتتألف موسيقي الصدر الاعظم والباشاوات من ذوى الثلاثة الاطواح من نفس هذه الآلات اما يكون عددها تسعة ويغير نقارات . اما في ايام الحرب وعندما يقود الصدر الاعظم الجيش فانه يتمتع بمزية ادخال ذى كبير الى موسيقاه .

٣ - رئيس القرن (الكنجي باشي) وهو يامر على مئة وخمسين قرانا تقريبا .

٤ - رئيس المكتب او القلم وتحت امره مئة من الخدم

٥ - رئيس المطابع (عني باشي) وهو يامر على مئتي عني .

٦ - رئيس الحلوانية او صانعي الخطوط . وعدد هم مئة وخمسون تقريبا .

اللباس
ويلبس رجال الاقسام الثلاثة الاخيرة زيا متشابهة وهو كماء من الجوف وقلنسوة من اللباد الابيض دقيقة الرأس حيث ترجع عادة استعمالها الى اول ايام الدولة . وكانت اذ ذاك لباس الراس العام لرجال جميع الطبقات . ويقول المؤرخ سعد الدين انه من زمن حكم السلطان عثمان الاول لم يكن يلبس الناس غيرها وكانت كل اللوان مسموح بها . الا انه عندما انشأ اورخان الاول جيش الانكسار جعل لون القلنسوة مختلفا بين الحند وبقية الناس ، وكان للفرق الاول فقط الحق في لبس القلنسوة البيضاء . ولكن بايزيد الاول خصص استعمال هذا اللون لرجال السراى وللفرق المنظمة لكما يميزوا

عن جند المقاطعات وعن خدم كبار رجال الدولة الذين كان عليهم استعمال اللون الاحمر . وبما ان استعمال الامامة اصبحت عامما في عدد السلطان محمد الثاني فانه لم يبق من رجال السراي من يلبون القلنسوة القديمة سوى البلطجية والطباخين وصانعي الحلوى الخ . . . وقد بدى في الوقت نفسه باستعمال ازياء مختلفة للباس الجسم والراس عند كل فرقة من فرق الجند وعند كبار موظفي القصر الا انه خصصت القلنسوة البيضاء المزركشة بالذهب او الفضة لضباط الانكشارية .
ويجب الاضافة الى هذه اللائحة فرقة مؤلفة تقريبا من ثلاث مئة عامل من خياطين وصانعي الفراء والاحذية الخ . . . مخصصين فقط لخدمة رجال القصر .

الطبقة السابعة

رجال الحرس

١ - السلالة وهم جماعة مؤلفة من اربع فرق انكشارية يتألف كل منها ~~فئة~~ من مئة رجل مع قائد واثنين من الملازمين . وعندما يخرج السلطان بوكيه الكبير يمشي الى جانب فرسه اقواد الاربعة والملازمون الثانية مع ستين جنديا من السلالة . وتكون ثياب الجند من الجوخ الثمين وقلنسوتهم محلاة بريشة طويلة ، ويرتدى الاقواد كساء من القطيفة الخضراء محلى بفرو قدد .
ويتمتع السلالة براتب احمر من بقية رواتب الجند . وينح لهم يوم عيد المولد النبوي مبلغ الف قرش . وهم يقومون في ثكتهم في المدينة بحقبة الانكشارية . ويوجد دائما اربعة منهم لحراسة القصر بديلون بغيرهم كل اربع وعشرين ساعة .

٢ - ال Peliks وهم مؤلفون فرقة من مئة وخمسين رجلا برئاسة قائد لهم . اما ثكتهم فهي كائنة قرب جامع السلطان احمد ، الا انه عليهم جميعا المكوث في القصر اثناء النهار . ينح في ثلاثون منهم في موكب السلطان على جانبيه بين جماعة السلالة . ولا تقل ثيابهم قيمة عن ثياب هؤلاء .
يلبسون على راسهم خوذة من النحاس المذهب محلاة بريشة سوداء ، ويتسلحون بالحراش وهو زى حرس الطواش البيزنطيين . وعندما يذهب السلطان للتنزه يتبعه اثنا عشر منهم يرتدون ^{آنذاك} ~~ثيابا~~ مثل رجال شرف الصدر الاعظم (الشطار) اي رداء من الجوخ المذهب مع منطقة عريضة محلاة بالجواهر .

وخنجر مرصع بالذهب واضعا كلا منهم رشفة على عمامته وحاملا رمحا بيده .
وكان لا يحمل رجال ال *Péinks* والسلاح فيما مضى الا عندما يرافقون السلطان الى
الحرب ، ولكن على اثر حادثة الاعتقال التي قام بها احد الدراويش عام ١٤٩٢ على شخص السلطان
بايزيد الثاني صدرت الاوامر بان يرافقوا السلطان وهم دائما مسلحون حتى ولو كان ذلك في العاصمة
نفسها .

وتتمتع فرقة ال *Péinks* بصفة خاصة وعامة يقوم واحد من اقدم رجال هذه الفرقة كل سنة
بوظيفة (مجدجي باشي) اي حامل الاخبار السارة ، اي انه يذهب الى مكة ويأخذ من يد شريفها
رسالة تطلع السلطان على خبر سارة دخول قافلة الحجاج الكبرى ويترتب عليه ان يكون في العاصمة
يوم عيد الميلاد النبوي كي يقدم للسلطان رسالة شريفة مكة عند الاحتفال بهذا العيد في المسجد .

الطبقة الثامنة

حرس السراي

١ - " البستجي " وهي فرقة مؤلفة من الفين وخمسة مئة رجل منقسمة الى اربطات او فصائل داخلية
في جيش الانكشارية وهم علاوة على انهم معدون لحراسة السراي والحدائق والجنان وبيوت متنزعات
السلطان فانهم يشتغلون ايضا في الحدائق .

ولقد اطلق عليهم هذا الاسم " بستجي " لانهم كانوا في بادئ الامر مكلفين بتحويل الارض
الاراضي الغير المزروعة الواقعة داخل السراي الى رياض وساتين . وهم يعملون كجذافين في زوارق
السلطان وزوارق موظفي القصر . وعندما يخرج هؤلاء يتبعهم اثنان منهم او اربعة او غيرهم من
الخدم " الجوخدار " مرتدين نفس الثياب التي " للبستجي " ويمكن تمييز هؤلاء عن غيرهم بقلنسوتهم
المصنوعة من الجوخ الأحمر .

وهناك تحت امرة رئيسهم " البستجي باشي " الموظفون الاتية اسماءهم :

- ١ - الخاصكي اغا وهو ملازمه ويكون عادة خليفته
- ٢ - الاجاي كوخيه " (كولونيل) او قائد الفرقة
- ٣ - ال القجيجي باشي مفتش الخدابات وهو تابع للبستجي باشي .

٤ - التركة حي باشي * وهو محصل الضرائب المخصصة لمنصب البستنجي باشي .
٥ - * البستنجي لراوضه باشي * وهو وكيل رئيسه لدى الدولة ولهذا فهو يقيم في قصر القدر الاعظم .

٦ - * الوزير قولا * تجرسول بين السلطان والصدر الاعظم .
٧ - * الاغا قره قولا * يكون مركزه في قصر اعا الانكشارية حيث يوجد برج عال مخصص لمراقبة الحرائق . ويقوم فيه الحراس ليلا ونهارا ، وعند اول اشارة لحريق ما يذهب الاغا قره قولا راجعا عريته الى رجال حرس المكان الذي حصل فيه الحريق ويأخذ من رئيس الاورطة بيانا يعين فيه مركز البيت الذي شب فيه الحريق ومدى الخطر الممكن حدوثه . ثم يذهب بسرعة فائقة ويقدمه لرئيس الخميان السود الذي يقدمه بدوره للسلطان في اي ساعة كانت من الليل او النهار .
وقد بنى السلطان مصطفى الثالث حماما في السراي لرجال * البستنجيه * واقام قربه مكتبة يستعملها مولفوه هذه الفرقة .

٢ - جماعة * الخاصكي * هي فرقة مؤلفة من ثلاث مئة نائب ضابط يؤخذون عادة من بين البستنجيه تكون ثيابهم مصنوعة من الجوخ الاحمر ويعلقون سيفا في وسطهم ويحملون عصا بيدهم . والذين يقبلون في هذه الفرقة يستلمون هذه العصا من القائد بحضور كل الفرقة . وعلى كل منهم ان يدفع لهذا القائد ذهبا (دوقه) ويضحي خاروقا يذبحه بيده في شكة الفرقة الكائنة في السراي . ويدخل ستون منهم في مكتب السلطان يعتبرون لهذا السبب من رجال الحرس . ويرسلهم رئيسهم البستنجي باشي في احيان كثيرة في مامورات الى الولايات .
ولهم موظفيهم :

١ - الباش خاصكي او القائد
٢ - * القرجيجي باشي * وهو ملقب بمعامل الكلل ويدفع من اجلها عشرة الاف قرش في السنة للبستنجي باشي
٣ - * البولق اميني * وهو وكيل امكة صيد السمك في المرفأ وفي ضواحي الاستانة يستاجرها من رئيسه بخمسة عشر الف قرش سنويا .

٤ - * الشراب اميني * وهو وكيل الخمر ولا يمكن لاي مسيحي او يهودي صنع الخمر بدون اذنه ، وله من اجل ذلك ضرائب تؤمن له كما تؤمن لرئيسه امولا طائلة .

٤ - التركي حي باشي " وهو محصل الضرائب المخصصة لمنصب البستنجي باشي .
٥ - " البستنجي لراوضه باشي " وهو وكيل رئيسه لدى الدولة ولهذا فهو يقيم في قصر الصدر الاعظم .

٦ - " الوزير قولا " هو رسول بين السلطان والصدر الاعظم .
٧ - " الاغا قره قولا " يكون مركزه في قصر اعا الانكشاريه حيث يوجد برج عال مخصص لمراقبة الحرائق . ويقوم فيه الحراس ليلا ونهارا ، وعند اول اشارة لحريق ما يذهب الاغا قره قولا راکبا عربته الى رجال حرس المكان الذي حصل فيه الحريق ويأخذ من رئيس الارضه بيانا يعين فيه مركز البيت الذي شب فيه الحريق ومدى الخطر الممكن حدوثه . ثم يذهب بسرعة فائقة ويقدمه لرئيس الخميان السود الذي يقدمه بدوره للسلطان في اي ساعة كانت من الليل او النهار .
وقد بنى السلطان مصطفى الثالث حامعا في السراي لرجال " البستنجيه " واقام قربه مكتبة يستعملها مولفوه هذه الفرقة .

٢ - جماعة " الخاصكي " هي فرقة مؤلفة من ثلاث مئة نائب ضابط يؤخذون عادة من بين البستنجيه تكون ثيابهم مصنوعة من الجوخ الاحمر ويعلقون سيفا في وسطهم ويحملون عصا بيدهم . والذين يقبلون في هذه الفرقة يستلمون هذه العصا من القائد بحضور كل الفرقة . وعلى كل منهم ان يدفع لهذا القائد ذهبا (دوقه) ويضحي خاروفا يذبحه بيده في ثكنة الفرقة الكائنة في السراي . ويدخل ستون منهم في بوكب السلطان ويعتبرون لهذا السبب من رجال الحرس . ويرسلهم رئيسهم البستنجي باشي في احيان كثيرة في مامورات الى الولايات .
ولهم موظفيهم :

١ - الباش خاصكي او القائد
٢ - " القرچيجي باشي " وهو ملقب معامل الكلل ويدفع من اجلها عشرة الاف قرش في السنة للبستنجي باشي
٣ - " البولق اميني " وهو وكيل امكة صيد السمك في السراي وفي خواجه الاستانة يستاجرهما من رئيسه بخمسة عشر الف قرش سنويا .

٤ - " الشراب اميني " وهو وكيل الخمر ولا يمكن لاي مسيحي او يهودي صنع الخمر بدون اذنه ، وله من اجل ذلك ضرائب تؤمن له كما تؤمن لرئيسه اموالا طائلة .

٣ - "البلطجية" وعدد هم تقريبا اربعة مائة مخصصون لحراسة الامراء والاميرات من العائلة المالكة ولحرم السلطان ، ولهذا السبب فهم خاضعون لرئيس الخيسان السود ، ويستعملون كبطا للراي قلنسوة دقيقة الراي من اللباد الاسمر . وشكيتهم "كئة في السراي القديمة الا انهم يقضون النهار في السراي الجديدة .

وبعض الاسمرهم لخدمة القزلغا ومازومه وكتبه وللرئيس الثاني لفرقة البلطجية ، ولكل امرا امرأة من حرم السلطان ثلاثة منهم يقومون بخدتها . وواحد لكل امير واميرة من عائلة السلطان . ويلقب البيرزين منهم بقهوجي باشي اي رئيس القهوجيه . وعند ما يرافق السلطان في ذابا للحرب بعشرة نساء حرمه يعني "البلطجية" قرب عراشهم ويعسكرون حول خيمتهم . وكلاوا يحملون ان ذابا رما او حرة عريضة تنتمي بغاين (بلطة) ولهذا السبب اخذوا لقب "بلطجي" اي حاملتي الفؤوس مما ادى للقول بان عملهم هو في تكبير الحصب .

وعند موت السلطان او اي شخص من مائته او من نساء حرمه فالبلطجية هم الذين يحملون نعش المتوفي ويتعاونون في حفلة الجناز .

وامر قوادهم بعد القزلغا اعمهم .

١ - "البلطجي لر كخييه سي" هو رئيس الفرقة . يعرف بمنطقة العريضة المصنوعة من الجوخ الذهب ويقوم بوظيفة ساعي الدولة لانه هو الذي يعين عادة لحمل اوامر السلطان للصدر الاعظم .

٢ - "اليازجي اتندي" امين سر القزلغا والقائم بشؤون الاوقاف الدينية المخصصة لمدينتي مكة والمدينة . وهو يحمل في وسطه كائما لوظيفته البارزة هذه دواة قضية ذات ثلاثة انابيب .

٣ - "القو خاصكي" وكل القزلغا في دائرة الصدر الاعظم

٤ - "الخاصكي باشي" المحصل العام للاموال الآتية من الاوقاف المذكورة اعلاه .

٥ - "كاتب" الخاصكي الاول ويلبس كل هؤلاء الموظفين على رؤوسهم قلنسوة من الجوخ الاحمر شبيبة بقلنسوة البستنجيه .

٤ - "الزلقو بلطجي" فرقة مؤلفة من مئة وعشرين رجلا مخصصون لخدمة موظفي غرفة السلطان . وتابعون للساحدار اغا . وهم يلبسون نفس ملابس ابلطجيه مع فرق واحد وهو ان قلنسوتهم ليست محدودة الراي كغيرها . وساحدر منها على الخدين فخيرتان من الصوف . وهذه الضفائر المسماة زلف هي التي اعطت اسم زلقو بلطجي لهذه الفرقة .

وعولاهم مؤلفيهم .

١ - الكهنة رئيس الفرقة

٢ - ثلاثة من قدماء الاسكندر متساوون في الرتبة

٣ - ستة من "انقوجيه" يقومون بتوسيل اوامر السلطان او اوامر السحداراغا الى اصحابها

٥ - "الحواشي" فرقة مؤلفة من ست مئة وثلاثين رجلا وتنقسم الى خمسة عشر فرعا يحكمها الجاش باشي . ويوجد دائما فصيلة منه تحت امرة قائدها "البله باشي" للخدمة في السراي . ويقوم رجال هذه الفرقة بافصاح الطريق للسلطان في الاحتفالات .

٦ - جماعة القبوجي اى الحجاب وعددهم ثمان مئة يقومون بحراسة بابي السراي الاولين . وهناك اربعون منهم يقفون امام مدخل الحرم اى قرب مركز الخسيان السود وهم خاضعون للقلراغا . وهم يميزون عن غيرهم بلقبهم "بابا" ويتخذ قائدهم لقب اعا باباسي .

ويتبع اقدم رجال هذه الفرقة السلطان لما يظهرون للناس فيحمل بقعدا صغيرا محلي بقطع الفضة يضع عليه السلطان قدمه لما يمتني صهوة جواده او عندما ينزل عنه . وهو يلقب موظف المنعد "اسكمله اغا" وهناك سيرة يخدمون في المحاكم كحجاب لناداة اصحاب الدعاوى .

— x —

الفصل الثالث

موظفو داخل البلاط والخدم النملان

يقسم خدم السلطان الخصوصيين الى ستة فروع وهم :

- ١ - فرع رجال الحرس الخصوصيين
- ٢ - " القائمين على بيت المال
- ٣ - " عمال المكاتب
- ٤ - " رجال السفر
- ٥ - الخصيان السود
- ٦ - " البيض

الفرع الاول

فرقة رجال الحرس

وهي مؤلفة من تسعة وثلاثين موظفا يدعون " خاص اوضه لي " ويعتبر السلطان نفسه من هذه الفرقة فيصبح عدد رجالها اربعين ^{مجلس} وهو رقم يتقاعلون به . وهناك القاب ووظائف امهر رجالها بحسب ترتيب درجاتهم :

- ١ - السلحدار لغا او حامل السيف وعمورئيس الارطات او البلكات الاربع الاولى التي ذكرناها ويعتبر " كالزلفو بلطجي " اي الرئيس الاكبر لقصر السلطان . وعندما يخرج السلطان يتبعه حاملا له على كتفه الابسر السيف السلطاني ، الا انه في الاحتفالات الكبيرة يحمله على كتفه الابمن . وهو القائم على اسلحة السلطان وثيابه الحرية التي يستعملها .

- ٢ - " الجوخدار لغا " اي رئيس خزانة ثياب السلطان . وهو يتبع السلطان الى الجامع في الاعياد الكبيرة ويرمي للناس قطعاً فضية صغيرة جديدة .

٣ - "الركاب داراغا" أي موظف الركاب يقبض على ركاب السلطان لما يعتل هذا صهوة جواده .

يمكن لبهلاء الموظفين الثلاثة ^{التي يعمروا} لجن السلامة ، اما بقية "الخاص ارضلي" فانهم يضعون على رؤوسهم قلنسوة مزركشة بالذهب . وللسلحدار اعا وحده الحق في لبس القراء . اما البقية فانهم يرتدون ثوبا طويلا مشدودا على وسطهم بمنطقة من الكثير ويطلق على ثيابهم هذه اسم "اورطة كوحك" .

٤ - "الدليند اغا" هو مخصص للاعتناء بعمامات السلطان . ويتبعه في الاحتفالات الفخمة راجيا جواده وحاملا له عمة سلطانية يحملها بيده . ومن وقت الى اخر نحو الناس الذين يحيونها باحترام . ويسير الى شماله خاص ارضلي اخر يحمل بيده عمة اخر يحملها ايضا نحو الجماعير .

٥ - "الانتار اغا" أي الذي يحتفظ بالمفاتيح وهو وكيل مصارف الارطة ووكيل مادة السلطان .
— Anaktar —

٦ - "البشكير اغا" أي المخصص لحفظ مناديل او مناشف السلطان . وهو يخلف وكيل الخرج في حال غيابه .

٧ - "البنيش بشكير اغا" يقوم بمسكدة "البشكير اغا" .

٨ - "الابريقدار اغا" أي الموظف الذي يحمل ابريق وعري يسكب الماء على يدي السلطان .

٩ - ١٠ - "Kusseé - Barschis" هما موظفان يقومان بوظيفة الشرطة في الارطة .

١١ - "المؤمن باشي" أي كبير المؤمنين في مسجد السراي . ويشرف على المسجد الذي يذهب اليه السلطان يوم الجمعة وهو الذي يقيم الصلاة .

١٢ - "السركاتب" أي امين سر السلطان الخاص هو من رجال موكب السلطان يحمل كل ادوات الكتابة في محفظة مزركشة بالذهب يحملها في وسطه . ولا يحق لاي انسان غيره ان يحمل محبرة من الذهب في منطقتة . ويقراء للسلطان عند رجوعه الى السراي المرائض التي قدمت له

وهو في يارته الى المسجد . ومويعتي ايضا بمكتبه السلطان الخصوصية .

١٣ - "الباش جوخدار" اي رئيس الخدم ومويعتي على اربعين منهم وهم ينتمون للارطاة
الثلاث الاخرى . وهم يتبعون السلطان ويكونون مرتدين قبا شينة واضعين في وسطهم خنجرا
فضيا وسطا ينتهي بسلسلة طويلة من الفضة ، والتي لرئيسهم فتكون من الذهب . ومويعتي على
يمين السلطان والضايدة على ردف حوائه وواحد في جيب رداءه على صدره شعار السلطان
محفوظة في غلاف من الحرير . ولرئيس الخدم هذا سواد يمشي على شعار السلطان .

١٤ - "السارنجي باشي" ^{Sarinkchi} يلف عذائم السلطان المتنوعة من الحرير الناعم الابيض . له ويدعى
لباس الرأس هذا "سارن" وتوضع العذائم في غرفة خاصة اسمها "سارن اوشه" على كقائد
صغيرة مكموه بضفاف الذهب والفضة .

١٥ - "القهوجي باشي" اي رئيس صانعي القهوة وليس له من عمل سوى صنع القهوة المخصصة
لشرب السلطان .

١٦ - "التفنجي باشي" اي حامل البندقية التي يقدمها للسلطان عندما يذهب للصيد .
ويستلم من حياذر القصر ما اصطادوه .

١٧ - "البربر باشي" اي رئيس الحلاقين يحلق شعر السلطان وهناك عادة في انه عندما يحلق
لاول مرة شعر امير من ابناء السلطان عليه ان يذهب الى الصدر الأعظم باحتفال ليخبره بذلك .
وهو يتناول منه بهذه المناسبة فرة من حلد السمور وكيسا من خمس مئة ذهب (دوقه) وجوادا
مجهزا باثني عدة .

وعلا السبعة عشر موظفا هم الوحيدون من رجال الارطة الاولى الذين يحملون القبا
خامعة . ويقوم السبعة الاخرون منهم مع خمسة من اقدم الاثني وعشرين خادما الذين يخدمون
السلطان بخدمة هذا الاخير في المكان المسمى "مايين" المجاور لمكان الحرم ويسمون "مايينجي"
ويترتب على موظفي الارطة الاولى ان يجرسوا المسجد الذي تحفظ فيه بردة النبي ورايته وثقة
مذلقاته وهو قريب من مسكنهم . ويكون دائما اثنان منهم في الحراسة لمدة اربع وعشرين

دائرة . ويمكن للخزنة المتقدمين منهم ان يعفوا من الخدمة .

الفرع الثاني

بيت المال

ان مؤلفي هذه الدائرة مستعملون لحراسة كنوز السراي المحفوظة في بناء واسع مؤلف من اربع قاعات كبيرة ذات تيب قائمة فوق سراديب عظيمة . ويحوى هذا المستودع على عدد كبير من الامياء الثمينة قد جمعت منذ اول ايام الدولة . انما زادت بصورة خاصة بعد الاستيلاء على القسطنطينية وافتتاح بارد صرو والدام . ويعتقد بان في هذا المستودع كتابا قديمة يونانية ولاتينية . وانما كانت هذه الكتب فعلا موجودة ضمن هذه الخزائن فانه يُنظر اليها بعين التطير كطراسم لا يمكن لمسها او عرضها على انظار الفضوليين (١) واخيرا يحفظ في هذا المستودع ايضا صورة كل سلطان من سلاطين ال عثمان مع ثياب كاملة من ثيابه .

وعند انفتحان كبريتان باسماء جميع الامياء الثمينة الموجودة في هذا المستودع وعليهما توقيع وزير المالية ، ويقدم على حفظها السلحدار اعلى كخزينة الخزينة رئيس الدائرة الثانية هذه وفي كل مرة يستبدل فيها هذا الاخير ^{بغيره} بحري التثبيت من وجود كل هذه الامياء الثمينة المذكورة في اللائحة داخل المستودع . ويكون ذلك امام كبار مؤلفي الخزينة ، وتقدم هذه تلخيص الحيلة عادة من خمسة الى ستة اشهر . والدلي لهذا ان حراز موا الاختلاس الكبير الذي حصل في عهد السلطان محمد الرابع . وذلك انه بعد وفاة السر محمد بالاسنة ١٦٨٠ ~~السلطان~~ كان امينا للخزينة توصل بعد المركز "وزير قبة" ^{الدولة} وجندين متروكاته جواهر وغيرهما من الامياء الثمينة التابعة لكونز السراي .

وان مؤلفي هذه الدائرة هم :
 " كخزينة الخزينة " اي وكل الخزينة الداخلية ورئيس الدائرة وهو القائم على مصارف السراي ويقدم للسلطان في اخر كل شهر لائحة بنفقات السلطان الذي يوافق عليها بان يخط هذه

(١) كل مجاهدات المؤلفين للدخول الى هذا المكان المقدس ذهبت عبثا .

الكلمات ، " مقبول مميوني در " اى ان حضرتي الامير رانش سببا .
 ويستلم هذا الموظف عند تعيينه الختم الذى عليه ان يختم به الباب الخارجى للكنوز
 السلطانية . وعون نفس الختم الذى استعمله السلطان سليم الاول لما رجع من حملته على مصر .
 وقد اكد هذا السلطان بخط من يده على كل السرايين الذين يخلقوه ان يستعملوا دائما هذا
 الخاتم ولنفس الغرض الا اذا كان احدهم سييد الحال يتمكن من زيادة هذا الكنز باثبات
 من التي قد نمتها من فتوحاته . وهذا الختم هو من العقيق الاحمر وضع فوق خاتم وكتب في وسط
 العقيق " شاه سلطان سليم " وكتب على الطرف الاربعة : " توكل على الخالق " الخضرى لله .
 ولا يحق لابن الخزانة ان يفتح باب مستودع الكنز الا باذن رسمي من السلطان وامام كبار
 موظفي دائرته وبعد ان يكون فحصر الاختتام .

وبما انه موالذى يحفظ ايضا فرا وجواهر السلطان التي يستعملها اعادة فانه يكون
 حاضرا عندما يفصل ثوب جديد للسلطان ويحرق ذلك بشئ من ^{الحفاوة} مسجوبا بالادعية للسلطان .
 وقد الذى يخلف عادة السلحدار اعا .
 وله نائبان هما : " ^{Gugum} القنم بائسي " والباش قلعيحي " . ويترتب هذا الاخير عنه في
 بيوت منتزعات السلطان عندما يقيم فيها هذا الأثناء فصل الربيع وذلك لانه لا يمكن لوكل الخزانة
 ان يتجنب ابداع السرار . اما بقية موظفي هذه الدائرة فنهم : الانتار اعا " وهو سرطي ^{مولى}
 دائرة الخزانة . " الباش يازجي " رئيس الكتاب ومخصص لتفقد حالة الخزانة واعمال الاشخاص
 الذين يؤلفون موظفي الدوائر الاربع .

" الشنطجي " واسمه مشتق من كلمة شنتقة اى حقبة وهي من الجلود السخيتان المزركن تملأ
 بالذهب والفضة ^{بملا} عندما يتبع السلطان .

" السرفجي " مخصص للزعتاء بنيائمين السلطان المرصعة بالحجارة الكريمة التي تحلي عمة السلطان
 " الكنينججي " ويحافظ على ثياب السلطان الرسمية المخصصة للاحتفالات وهي مزينة بغراء اسود
 من حلد الثعلب يرتديها السلطان في الاحتفالات الكبيرة . وهو لا يقدم هذه الثياب للسلطان
 الا بعد ان يعطرها بالعنبر ويجرى تعطيرها وهو يغني الاناشيد مع بقية موظفي هذه الدائرة
 " الطبق السكي " مخصص للزعتاء بالاولاني المصنعة .

اثنتان من " الشنكجة " وهما خادمان يتبعان السلطان في نزواته ويحمل كل منهما بندقية محلاة

بالذهب والحجارة الكريمة .

الطبقة الثالثة

دائرة المكتب

تتألف هذه الدائرة التي يرأسها موظف يسمى " كملركيخية " من موظفين يقومون بتقديم الخبز والطيور والفواكه والمرايات والشراب وسيره من المشروبات اللزنية لمائدة السلطان وحريمه كما أنهم يقدمون الشموع لمسجد السراي . وهم يصنعون نوعا من النسيج الحريري الدقيق (تافتش) المشمع ويقدمونه للبائسين لفريد جواهرهم ، ويعتقد بأن هذا العمل الخيري الذي يطلق السنة بمولاء الساكنين بالصلاة والدعاء تجلب البركة والمنفعة للسلطان .

الطبقة الرابعة

دائرة السفر

كان خدم هذه الدائرة فيما مضى يتبعون السلطان عندما يذهب للحرب وكان عملهم الرئيسي غسل ملابس السلطان الداخلية الا انهم الان مدرسة تعد الموسيقيين والمغنين والمهرجين والحلاقين والمفسلين للخدمة في السراي . يدعى رئيسها " سفركيخية " ويخصص احد موظفيه وهو " الباشا قلقجي " لفصل اقعدة عمائم السلطان الحريرية مرتين في الاسبوع في وعاء فضي كبير . وعوفي عمله هذا يقوم ببقية خدم هذه الدائرة بترتيب الاناشيد .

ان رؤساء الدوائر الثلاث الاخيرة ينتقون من بين موظفي الدائرة الاولى وحيث لا يمكنهم الرجوع اليها الا اذا ترقوا الى رتبة ملحدار لغا .

ولكل من هذه الدوائر الثلاث الاخيرة ائمة مدراء موظف يدعون " بجقيلي اسكلري " لانه يحق لهم حمل خنجر مرصع بالذهب والفضة في مناسبتهم .

ويجوز في كل دائرة ثلاثة او اربعة من الخراسان يرأسهم اقدم واحد بينهم من المنتسبين للدائرة الثانية . وهو يقف على باب غرفة السلطان عندما يكون في جلسة ، سرية مع الصدر الاعظم او مع

المفتي . وهم يضعون على رأسهم قلنسوة مزركمة بالذهب تختلف شكلها عن بقية قلنسوات الخدم . ويتخاطبون فيما بينهم بأسماء سرية يفهمها أيضا بقية رجال السراي ونساء الحرم كما يفهمها السلطان نفسه ~~الزاهد~~ بطبيعة الحال لا يصدر أوامره إلا إلى من حوله إلا بأشارته من يده . وعلى كل حال فإنه لا يحق إلا للصدر الأعظم والخليفة بأن يحكم الولايات اقتناء الخمران في خدمتهم . وفي كل دائرة ثلاثة أو أربعة اقزام بملابس خاصة . ويعدون منطقتهم بمنسكهم من الفضة ويلبسون قلنسوة اسمها يلكن . ويعين لهم رئيس من الدائرة الثانية . ويحضر معهم بتسلية أهل البلاط بدعائهم التي يقومون بها في بعض المناسبات ويمتلي الأباقة أمام السلطان . ويحضر في دائرة الحرم ثلاثة أو أربعة اقزام من الخصيان هم سماعة بين السلطان ونسائه . يخرج من الدوائر الثلاث الأخيرة عدد من السواقين يدعون جواش يلبسون نفس ملابس الاقزام ويقوم دائما بخدمة السلطان اثنان من كل دائرة يحملون أوامره إلى مختلف الدوائر . ويقيمون من هؤلاء الخدم مخصصون لخدمة كبار موظفي داخل السراي ويطلق عليهم اذنا اسم " قلنجي " إلا أن كل واحد منهم يلقب حسب نوع العمل الذي يقوم به مثلا هناك " التنجي " والقهوجي الخ

وهناك أخيرا في كل دائرة من هذه الدوائر الثلاث الأخيرة موظف يدعى " نوتجي باشي " يشرف على مصارف دائرته . ويعيّن اثنين من المحكومين بالأمم حال الشاقة يكونون مفيدى الأرجل بالسلاسل لتأدية الأعمال المتعبة المزمعة .

إن زى رجال هذه الدوائر الثلاث الأخيرة هم نفس زى موظفي الدائرة الأولى غير أن قبعتهم أقل زركمة وعوضا عن الشال الهندى ينطقون بحزام على الطريقة الفارسية . ويدعون Itch-Aghlans أو علمان خدم القسم الداخلى Itch-Aghlans أى اغاوات القسم الداخلى و " علمان خاصة " أى عبيد السلطان الخصوصيين . وقبل المبيد السود في الدوائر الثلاث الأخيرة حتى أنه يمكنهم الوصول إلى أرفع الدرجات إلا أنهم لا يمكن قبولهم أبدا في الدائرة الأولى .

وما فيما مضى من الخدم العلمان من الشبان الذين تفضل الدولة أن تأخذهم من الولايات الأوروبية وعلى الأخص من البوسنة والبناتيا فكانوا يتلقون أول تربيتهم في ثلاث مدارس وهي : مدرسة غلطة ومدرسة إبراهيم باشا الكائنة في استنبول ومدرسة أدنة . ثم ينتقلون من بعدها إلى دائرتين في

السراى تعرفان بالدائرة الكبيرة والدائرة الصغيرة لاكمال تدريبهم . ومن ثم يوضعون في الدوائر الثلاث الأخيرة حيث ينتقلون منها الى الدائرة الاولى ويكون ذلك على اساس الاقدمية . ان هذه القوانين الشبيهة بالقوانين المتخذة في فرقة الانكشارية في اول انشاءها اخذت تضمحل شيئا فشيئا فالسلطان ابراهيم الاول ازال مدرستي ابراهيم باشا وادرنه وازال محمد الهرايق الدائرتين الكبرى والصغرى .

وبقي قصر غلطة منذ ذلك الوقت المدرسة الوحيدة لتدريب الخدم من الغلمان الممدين لخدمة السراى . وهم ينقسمون الى ثلاثة اقسام تحت رعاية خصي ابيض يدعى " سراى اغاسى " يكون تابعا للسلحدار اغا .

وامتاد السلطان زارة هذه المدرسة مرة كل عامين او ثلاثة وهو ينتقي من هؤلاء الغلمان الذين يقدمهم له رئيس قصره عشرة او اثني عشر فيستبعونه الى السراى حيث يوضعون في احدى الدوائر الثلاث الأخيرة . ولكن بالرغم من ان القوانين لا تسمح لاحد بدخول هذه الدوائر الا بعد ان يكون قد اقام في مدرسة غلطة فان العطف يدفع احيانا الدولة الى قبول بعض الشبان المنتمين لعائلات كبيرة او من يتامى الفقراء المنتسبين الى عائلات مهيمنة . فتسجل اسماءهم منذ حداثة سنهم وعند بلوغهم سن التاسعة لاطار العائنة يدخلون في احدى الدوائر الثلاث الأخيرة حيث يتربون بسرعة تحت رعاية السلحدار اغا . وكان السلطان محمد الثاني والسلطان سليم الاول لا يقبلان اى علام في خدمتهما قبل ان يعرفا حسن فالف من المنحيين . وكان عدد غلمان مختلف الدوائر والمدارس فيما مضى ايام من الف . الا انه لم يبق الان منهم سوى ستمئة . ثلثهم في غلطة والثلثان الباقيان في السراى .

ان مسكن هؤلاء الذين في السراى قريب من دار السلطان المسمى " ماين " يسكنون ~~كل حلقة~~ كل حلقة معا في غرفة اسعة تدعى *coghecek* الا ان كبار الموظفين منهم يسكن كل واحد في جناح خاص . ويجدد لهم الغرف هقين من الدرايمون تعلوها المناير ويحفظها اقدم الخدم منهم . وفي منتهى كل صالة عرة من الزجاج تستعمل لسكنى احد رؤساء الدائرة . ان هذه الدوائر مزينة باثمن زينة لان السلطان يشرفها بعض الاحيان بحضوره . حتى انه من المعتاد ان يمضي في الدائر الاولى الليلة التي تسبق يوم العيد حيث يسمع خطبا في مواضيع اخلاقية وفلسفية ويشاهد بعد ذلك العدايا المختلفة يقوم معرضها

علماء مختلف الدوائر .

وبقرب هذه المساكن يوجد الجامع المخصص للخدم مع مكتبة جميلة خصصها لهم السلطان احمد الثالث ،
والذي وضع بيده عام -١٢١٩- الحجر الاساسي لهذا البناء بحضور كبار رجال بارطه . ولكل دائرة
حمامها الخاص وهناك حمام خاص اكثر اناقة مخصص للرؤساء موظفي الدوائر الاربعة .
وعلى قولين قديمة تقرر ان نظام الداخلي من دائرة او فرقة . معينه وقت النوم ووقت الاستيقاظ
وقت الاستراحة ومواد الدرس . فعلى علماء الدوائر ان يمتثلوا قبل ان يفتتحوا قبل ان يفتتحوا
وذلك في جميع الفصول ولا يمكنهم النوم بعد صلاة الصبح الا بين اول نيسان واول تموز . ويعطى
كل دائرة اشارة الاستيقاظ بان يضرب ثلاث ضربات بمطرقة على لوح من الحديد معلق باحدى
جوانب الدائرة . وتعطى ~~الاشارة~~ ^{نقطة} للنوم بعد صلاة العشاء اي بعد غروب الشمس بمائتين تقريبا .
ويخصص المساعدة لهذه الدوائر بقبول بالخطا دروس عامة . ولكل دائرة امامها الخاص مع ثلاثة موعظين
وتتبع القوانين على ان تقام في كل دائرة مساء كل يوم خميس وبعد صلاة العشاء ادعية لحفظ السلطان
وانزال الامنيات على اعدائه وعلى كل خائن للدين وللدولة من رعيته . ويشدد الرؤساء على الا يحصل
تداون قط في تادية هذه المراسيم الدينية فيحفظون الدروس ويشتبهون لحفظ النظام والادب حتى في اوقات
الراحة . ولتأكد الملحد ان اقامتهم بقلتهم فانه يقوم غالبا ومتخفيا بدورات تفتيشية في هذه الدوائر .
يتناول موظفو الدائرة الاولى كراتب سنوي الذي قرش وحلقة من الحصى المذهب . ويعطون يوم قبولها
مبلغ الف قرش تحت اسم " ثمن الخنجر " مع قروة سمور وشوب كامل وعدة فخر بقيمة الف قرش . ولا يأخذ
خدم الدوائر الثلاث الاخرى سمور مبلغ ستين قرشا في السنة . وهذا الراتب داخل ضمن المبالغ
المعطاة للذكمارية . وكل منهم يأخذ ايضا مائة درهم ببلد من الدراهم يسمى *Adjemilik* اي دراهم
مدة الابتداء وهي خمسة واربعون قرشا لخدم الدائرة الثانية ، واربعون لخدم الدائرة الثالثة وخمسة
واربعون للرابعة . ويغرق عليهم علاوة على ذلك كمية من النقود الفضية في عيد المولد النبوي وفي اوقات
الخيرى من السنة .

ويمنح لخدم الدائرة الرابعة ان يقدموا للسلطان في الخامس عشر من رمضان شرابا يسمى *Boukhour*
Najm مصنوع من العنبر وروح عود الهند ومن مختلف الطيب حيث تملأ في اربعين زجاجة طويلة
وتوضع فوق طبق وتقدم له . ويمنحون من اجلها الف بارة للواحد اي ثمانية قروش وثلاث ويمنح لهم

وذلك حسب رادة قدبمة ان يطلبوا هذه المنحة بصفة توضع فوق الطبق حيث يوافق عليها السلطان بان يكتب بيده كلمتين عليها . ويقدم غلمان الدائرة الثالثة ايضا تقدمهم الا انها ابسط من سابقتها وهي مؤلفة من ماء اول مطر نيسان يجمع من على سطح وتوضع في اوان من الصيني . انه يعتقد ان هذا الماء نافع للصحة الا انه يحصل في بعض الاحيان ان المطر لا يهطل في نيسان ولكن الخدم يستعيضون عنه بماء كان محفوظا من مطر نيسان في السنة الماضية . وينح ايضا لكل واحد منهم الك يارة .

وبما انه يترتب على هؤلاء الموظفين والخدم ان يتبعوا دائما في السراى فانهم لا يتزوجون ويسمح فقط للسلاحدار اذا واصل الخزانة السكنى في المدينة وبذلك يمكنه الزواج . الا انه ايضا لا يحق له ما الاياب عن القصر سور مرة واحدة في الاسبوع ولينح ساعات فقط في مساء يوم الخميس . كان يحق للخدم فيما مضى ان يتركوا دائرتهم بعد ان يخدموا سبع سنين فيها وان يتوظفوا في الدولة كل حسب درجته فالذين ينتمون للدائرة الاولى كانوا يحصلون عادة على وظيفة قبوجي باشي . اما البقية فقد كانوا يعيشون في فرقة القريسان . الا انهم خسروا هذه الحقوق التي زالت منذ امد طويل . ولكنهم عاينوا بقوة على اثر ثورة فرقة القريسان اثناء الاضطرابات القوية التي قامت بعد نكبة السلطانين عثمان الثاني وابراهيم اول . اما الان فليس هناك غير العجزة من خدم " الخاصر اوضلي " والمتقدمين في السن وخدم السراى الداخلية الذين ظلوا في المراتب البسيطة الذين يلتصقون اطلاقا براحهم . وهم يحصلون انذاك بمعونة السراى على عمل صغير . الا ان موظفي الدائرة الاولى يتوصلون بسهولة الى اقتناء المراكب الرفيعة . وانه من النادر الا يحصل السلاحدار افا على منصب حاكم ولاية مع منحه الرتبة الباشوية من فوات الاطواغ الثلاثة حتى انه شوعد بين موظفي السراى هؤلاء من تقدم راسا الى قصر الباب العالي متقلدا رتبة المصاراة .

الطبقة الخامسة

الخعيان السود

ان هؤلاء الخعيان وعددهم يقارب المئتين وهم مخصصون لحراسة الحرم السلطاني ولهذا السبب يدعون اعاوات الحرم . ورئيسهم هو انقولرغا اى افا الفتيات وعوضه بالوقت برأس فرقة البلطجة .

و هو المدير العام للأوقاف الدينية المخصصة لمكة والمدينة ولجميع باقي الأوقاف المهيمنة لأكثر جوامع العاصمة والولايات . ان هذا المنصب يحصل له اعتبارا كبيرا . وتحصل بواسطته جميع المخابرات التي تقوم بين السلطان وبين الصدر الأعظم وهو يحمل رتبة الباشوية من ذوات الاطوار الثلاثة وهو الوحيد من بين موظفي السراي الذين يحق لهم استخدام النساء الجوارى . واذ ابتغى نفي فانه يرحل دائما الى مصر . بخلفه عند ذاك اما امين الخزانة او رئيس السراي القديمة او حاكم المدينة المنورة .

ويأتي بعده في رئاسة هؤلاء الخصيان الخزانة دار اغاوه و وكيل مناصيف الحرم وفرقة " البلطجية " ويقدم كل ثلاثة امدريرة حساباته لامين الخزانة رئيس الدائرة الثانية . وعو يحمل ايضا رتبة الباشوية من ذوات الثلاثة الاطوار .

ان اعم موظفي الخصيان السود بعد الخزانة دار اغاوه الباش محاسب الذي يبقى دائما قريبا من السلطان لكي يحمل اوامره الى القلعة .

وهناك ثمانية او عشرة من اقدم موظفي هذه الفرقة يطلق عليهم اسم " محاسب " يخدم كل اثنين مخدم دار السلطان مدة اربع وعشرين ساعة ويقومون بتوصيل اوامره لرئيسة الحرم . وهم يتوصلون يتوصلون عادة الى منصب حاكم المدينة المنورة .

اما بقية الموظفين فقدم : " الاوضة لالا " و وكيل الخزانة " والباش قبوا وغلان " واليلىك باش فير اوعلان " الذين يقومون عادة مقام حاكم السراي القديمة .

تجرى لهؤلاء العنسييد السود وهم في حادثة سنهم عملية الخصي التامة . وافضل طريقة تعمل لشغائهم من هذه العملية هي ان يغفروا ^{الى} وسطهم بالرمل مدة اربع وعشرين ساعة . ان اباءهم انفسهم هم الذين يخصصونهم لكيما يبيعونهم باثمان باهظة . ويقوم حكام الولايات وخاصة حاكم ولاية مصر بواجب تقديم مثل هؤلاء الخصيان هدية للسراي . وللكبار الشخصيات ميزة استخدام خصيين او ثلاثة في حرمهم .

الطبقة السادسة

الخصيان البيض

يوجد في السراي ثمانون خصيا تقريبا من الذين اجريت لهم عملية " الخصي " الغير الكاملة او

او البسيطة . يدعى رئيسهم قبو الغا . واظم المؤلفين من بعده هو : " الخامراوضة باشي " يحمل احدى الاختام السلطانية الثلاثة التي يستعملها في ختم الايام الثمينة التي تحفظ في بيت السلطان كما تحفظ ايضا زجاجات المياه التي بورت بوضع طرف برده النبي عليها والتي يفرقها السلطان في الخامس عشر من رمضان على كبار رجال الدولة . وهو الذي يلبس الشخصيات الخلع السنية او الفراء التي اعلم بها السلطان عليهم يحفوره . وبدا انه في كل مرة يحلق السلطان شعر راسه يقف الخدم معصفين امامه وايديهم على صدورهم فان الخامراوضة باشي يقف اذ ذاك على بضع خطوات من الارصة قابضا بيده اليمنى على عصا محلاة بصفائح الذهب والفضة .

اما بقية موظفي هذه الفرقة فدم : اعا السراي الذي يحكم السراي عندما يكون السلطان في احد دور شرفاته ، والخزندار باشي ، كيل مصارف الفرقة وهو يقدم حساباته لرئيس الدائرة الثانية ، والقلجي باشي " مفتش حسابات مصارف المطابخ ومكاتب القصر .

يسكن الخصيان السود قرب الحرم اما الخصيان البيض فيسكنون وراء باب السراي الثالث المسمى باب السعادة . فالسراي هي سجنهم وقبرهم اذ لا يمكنهم مفارقتها قط . وليس للخصيان البيض من امل سوى الترقى الى منصب مدير مدرسة غلطة المخصصة للخدم الغلمان وهو منصب يمكن ان يتوصل صاحبه عادة الى منصب القبواغا .

وهو رئيس رئاسة الخصيان البيض اول وظيفة في السراي مدة ثلاثة قرون وهو لا يترك هذا المركز الا ليستلم وظيفة حاكم ولاية القيد ^{في ايام الغائب} كون ولاية مصر في البلخاني . وقد توصل كثيرون منهم الى رتبة الصدارة كالخصي علي باشا والخصي بنان باشا والخصي سنان باشا الخ . . واشتهر معظمهم بمقدرتهم وبراعتهم في الفنون الحربية ولكن شهرهم كان عصفرا اعا وهو من اصل مجرى اسرني صغره ورث بين غلمان السراي واعتنق الاسلام . وقد خضع لاوامر السلطان سليم الثاني وقيل ان تجرى له عملية الخصي المهيئة لكما يسمح رئيسا للخصيان البيض الذين كانوا الوحيد الذين اذ ذاك في خدمة السلطان . ثم توصل الى منصب رئاسة الخصيان البيض حيث بقي فيه يتناول مرتبا كبيرا مدة ثلاثين سنة اثناء حكم سليم الثاني ومراد الثالث ومحمد الثالث وكان له تاثير كبير في شؤون الدولة الا انه قتل سنة ١٦٠٣ - في ثورة قام بها الجند . ومنذ ذاك اخذ الاعتبار المعطى لرئيس الخصيان البيض في الزوال ولوحظ ارتفاع شأن موظفين من موظفي القصر وهما : رئيس الخصيان السود والسليدار اعا . وكان علو مركز الواحد بالنسبة للآخر يختلف حسب تقربهما وحظوتهما من السلطان . وكان رجال

السلحدار اقوياء مدة حكم كبير من السلاطين . فالسلحدار مصطفى باشا والسلحدار يوسف باشا الاول
 زمن مراد الرابع والثاني زمن السلطان ابراهيم كانا من وزراء القبة يقومان بوظائفهما هذه في السراي .
 وقد توصل السلحدار يوسف باشا الى منصب اماره البحر وقاد اول حملة على جزيرة كانديا . مع ان
 وظيفة سلحدار كانت دائما تابعة واقل شانا من منصب رئاسة الخصيان البيض . وهؤلاء لم يخسروا
 افضليتهم الا سنة ١٧١٠- في حادثة تستحق الذكر . وهي ان عثمان اغا رئيس الخصيان البيض
 وكان رجلا قاسيا ومتكبرا حاول استرداد ما كان لمركزه من افضلية . وبما انه كان يحسد السلحدار
 علي اغا على ما كان عليه من ^{السلطنة} الدولة فقد ضم على ازالته من امامه . ففي احد الايام عندما اراد السلطان
 احمد الثالث ان يقوم بنزهة الى " سعد اباد " وهو مكان معروف الان باسم " البهاء العذبة " .
 تجرأ رئيس الخصيان البيض وشج السلحدار من الدخول الى عربة السلطان وهدده ان فعل ^{يصلحه} يسلخه
 حيا . ^و ^{ان} ^{السلطان} ^{بزروره} ^{الى} ^{المكان} ^{الذي} ^{كان} ^{ينتظره} ^{فيه} ^{موكبه} ^{تتبع} ^{جدا} ^{من} ^{روية}
 السلحدار ينتحل مختلف الاعذار لعدم مراقبته . الا انه اخيرا امره بالسعود الى المركبة واكد عليه
 ان يخرج له سر ذلك . ولما فعل ذلك غضب السلطان من وقاحة رئيس الخصيان ولم يكذب ينزل في
 " سعد اباد " حتى اضطر امرا بخلع رئيس الخصيان البيض من رئاسة قصره وانطأها للسلحدار اغا .
 وتل السلاطين من بعده يعملون وفق هذا الترتيب . واشتهر هذا السلحدار نفسه فيما بعد
 باسم الدائم علي باشا ان رقي الى منصب الصدارة وتزوج احدى بنات السلطان وقد اخذ العوره من
 اربنادقة . ومات عام ١٧١٦- في معركة *Petruardadin* التي انتصر فيها الامير اوجين انتصارا باهرا .
 وقد صم زمن تسلم الوزارة ان يحظ من شأن الخصيان السود حتى انه اراد اقصاءهم بالمره .
 وقد قدم لهذه الغاية كل العيوض والاسباب الى السلطان احمد الثالث الا ان هذا رأى انه غير
 مناسب بعد نقض عادات القصر القديمة . الا ان رؤساء الخصيان السود استردوا بعد موت منافسهم
 القوى ما كان لرؤساء الخصيان البيض من شأن وخلفوهم في ادارة شؤون الاملاك المخصصة لمكة
 والمدينة وللعظم مساجد الدولة .

فالقزلرانا عوانان البيم اول مؤلف في السراي ولهذا يدونه الاغا الكبير . وتاتي رتبته حالا
 بعد رتبة الصدر الاعظم والنقدي . وكان رؤساء الخصيان السود هؤلاء يديرون شؤون الدولة في اثناء
 قصور الامراء او اثناء حكم السلاطين الضعاف العديمي القدرة . وقد حصلت في غالب الاحيان من

احل ذلك، مازدات فاضحة بينهم وبينى الصدر والعظام . .

فريش الخصيان السود ورئيس الخصيان البين والسلحدار والحوخدار واغلاوات الركاب وروساء الدوائر الثلاث الاخميرة يعيئون من قبل السلطان ^{الفر} هو يلقدهم مناصبهم بان يخلع عليهم بحضرتهم فراء من جلد السمور . وهذه الميزة تجعلهم مستقلين عن الصدر الاعظم الذى يشرف على كل المناصب حتى على اولى مناصب البلاط . ويحق لهم مقابل ذلك ان يقدم كل منهم للسلطان مذكرات عن هموم ودايرته .

ويجب ان يكون بلاط السلطان لما يكون تاما سوفا من فرقة تعد (١٢٠٠) رجل تعرف باسم " قلع " او سيف، دلالة على حقها العسكرية . وغير ايضا عدد ^{سلم} عنه محمد الثاني لفرقة الانكشارية وهما راجع اعتقاد ديني يشير الى هذا العدد (١٢٠٠) ^{المتمدين} للمحاربة من اجل الدين . عبر ان هذا العدد يختلف كما يختلف عدد الانكشارية حسب المناسبات ^{وبقده ما يكون} ~~وحسب الحاجة~~ ^{للتسلح} السلطان مقتضاً .

الفصل الرابع

الحرم الدمايوني

كان اول السلاطين العثمانيين يتزوجون من اميرات مسلمات ومسيحيات فاورخان تزوج نيلوفر خاتون ابنة امير Yar Hissar اليوناني كما تزوج تيودورا ابنة الامبراطور Jean Cantacuzène وتزوج مراد الاول اميرة بنزطية وهي ابنة عمانوئيل الثاني . وكان لبيازيد الاول ثلاث نسوة ، ابنة ملوك كرميان Kerméyan واميرة بنزطية ومارى وهي اميرة صربية وقعت معه في الاسر في حربه مع نمرلك . اما زوجة محمد الاول فقد كانت اميرة من اليستان Ellistan وتزوج خليفته مراد الثاني اميرة من قسطنطينيا كما تزوج من ايرين ابنة جورج ملك الصرب . واخيرا فالسلطان محمد الثاني كان متزوجا اميرة من اليستان واخرى من ترمانيا .

وقد شرف ثلاثة سلاطين آخرين بعض النساء من رعيتهن وذلك بضميم الى حريمهم . فعثمان الاول تزوج ابنة المفتي الشيخ اضيالي وعثمان الثاني تزوج ابنة المفتي اسعد افندى . وفي سنة ١٦٤٧ احتفل ابراهيم الاول بزواجه من احدى نساء حرمه Telly Khariseki التي لقبت بعد ذلك بالشاه

سلطانة . ومنذ ذلك الوقت لم يتزوج احد من سلاطين آل عثمان ، الا ان كثيرين منهم عقدوا روابط
 احمية ^{دون الجور} اوصاف لغيرهم مع بعض نساء حريمهم كما حذر فيما بعد . ولهذا فان حريمهم لم يكن
 بولغا الذين السراري . واعلم ان كثيرين والبقية كن يقدمن للسلطان كودية من السلطانات
 وكبار رجال الدولة وحكام الولايات . ومن كان يريد ان يقوم بعمل هذا العمل نحو السلطان فانه
 يعني بتربية فتيات من خصة الطيعة بالزنا الجديدة . وعندما يحسن في العاهرة او
 الحادية عشرة من سنين يرسل الى السراي باخترينة .

اما الجواري اللاحقة فيستعين للسراي فانه يستعين من قبل رئيس جيران الاستانة . وهو يفضل
 اكثرهن جمالا وحاذية ويختارهن لانتقال بعض المراكز الدائرة في اخر مراتب الحريم . الا انه
 ما من فتاة تقبل ما كان الشخص الذي تقدمه ان تفحصه امرأة مختصة لشغل هذا العمل .
 لمرور وحوادث عامة جديدة فيها كافية لرفضها .

واللاحقة يتقبل حديثا يتعلم بادره الدين الاسلامي على ايدى بعض النساء ، كما يتعلمن
 القراءة والكتابة والخياطة والتطريز ويدرن على الموسيقى والرقص اذا اظهرن استعداد لذلك . وبعد
 هذا التدريب الاولي يبدا ان علمن في الحريم الذي يتم اى من مراتب : مرتبة الخاتون *Padishah*
 وهي كلمة محرفة من خاتون وهو لقب يعطى للنساء اللائي من اصل عيب ويقابل كلمة سيدة ^{عسيرة}
 ومرتبة ال *Quedikeli* وال *Oustas* وال *Shagirdes* والسراي .

١ - النساء من رتبة خاتون . وهن حليات السلطان . ويحصلن على ~~بعض~~ الامتيازات التي كانت
 للسلطانات القديمت زوجات السراي ويتبعن بها . ويكون عددهن عادة اربع الا انه كان لهما
 لمحمود الاول ست مائة ولعبد الحميد في اخر ملكه سبع . وان عدم المعتدال هذا ومسايف
 الحريم الكبيرة في زمن كبرت فيه الخرائب كان من اسباب ملالة الشعب له .
 ويعرف هؤلاء النساء بهذه الاسماء : الخاتون الاولى او الثانية او الثالثة الخ . . . وذلك
 حسب اقدميتهن . وقبل عهد احمد الثالث كان يعطى لقب " خاصكي سلطان " للتي تلد ~~من~~
 السلطان ولدا ذكرا . اما التي تنجب انثى كانت تلقب فقط " خاصكي خاتون " .

وعندما ترقى احدى السراي الى مرتبة خاتون فان رئيسة السراي تدخل اقصر السلطان
 عند الحريم وتلبسها فروة من جلد السمور . وبعد ان تحصل على هذا الاعتبار الممتاز تذهب وتقبل
 رداء السلطان الذي يجلس الى جانبه . وفي ~~بعض~~ اليوم يحسن لها مكان سكن خاص كما ينبغي
 ليمين لها حواري لخدمتها . وموظفين خصوصيين ولكنها لا تراهم ابدا .

وكمبرون هم السلاطين ^{الزينة} تزوجوا محظباتهم قبل ان يرفعوهن الى رتبة خاتون . وقد استعملوا هذه الطريقة لكي ينزلوا بكمب ضميرهم الوجداني . فالقانون الديني يمنع استعباد شخص وولد حرا ومسلما . لذا فان اي علاقة بين سيد وجارته لا تكون قانونية الا اذا كان متاكدا من انه لم تولد مسلمة ولا حرة . وان كان يعتقد مثل هذا الاثبات ويريد معاشرتها عليه كي يطمئن ضميره ان يعتقد ان يتزوجها . ويتزوج السلطان عند ان حارسته المعتقة بجنور الفتى بدون اي احتفال . وفصل مثل ذلك في القانون مصطفى الثالث والسلطان عبد الحميد . الا ان هذا الزواج الذي يظهر فائدا جدا لا يرفع خاتونا نحو رفيقاتها الا اذا اتممت باعتبارات شخصية عالية .

٢ - النساء من رتبة (١) Quédiklis

هن مخصصات لخدمة السلطان . وكبيرات هن من يحملن اسم وظيفتهن مثل ناظرة المائدة وناظرة الملابس الخ . . . (جانشكير اوسطه) (رحامير اوسطه الخ . . .) ولكل واحدة من الاثنتي عشرة امخر من سنا عمل مقابل لعمل مولف في القصر الداخليين (خاضرا وضه لي) ويلقبن مثلهم باسم وظيفتهن الدائمة . وذا ماتت خاتون او احييت الى السراي القديمة فان السلطان ينتقم الفتاة التي سخط تخلفا من بين مولاء الفتيات اللاتي يؤلفن نخبة الحريم . وغريانة السلطان لنسائه تكون مع مولاء الفتيات . وتلقب تلك التي يقع اختياره عليها " اقبال " او الضفافة او المختارة او " خاضر اوضه لك " (٢) او خادمة عزة السلطان الا انما تبقى مع رفيقاتها ولا تحصل على رتبة خاتون الا اذا حصلت منه .

لم يكن السلاطين سابقا يتبعون او قلادة من هذا القبيل فقد كان لهم عدد كبير من النساء وياغبيرون من مرات متعددة . وكان لكثير منهم مدة حكمهم اكثر من ثلاث مئة . ولم يكونوا يمنحون رتبة خاتون الا لواحدة او اثنتين من اللواتي انجبن لهم ابنا . وكان مراد الثالث من اكثر سلاطين ال عثمان ميللا للنساء فقد كان له مئة وثلاثون ولدا وترى عند موته ستا وعشرين ابنا وعشرين ابنة . وكان يحاصر اربعين محليمة من " الخاضر اوضه لك " ولم تتوصل والدته التي هالدا افراطه الى اقتناعه به ذا العدد الا بعد جهد كبير .

(١) كودلي معناه اجرة وراتب وبذل هذا الاسم ايضا على عدد كبير من الموظفين المدنيين والعسكريين

(٢) مراد بكلمة " خاص " كل ما هو مخصص لخدمة السلطان وبكلمة " اوضه لك " ما هو متعلق بالخرفة

واخذ الساريس من هذا محمود الاول يمدلون في بيولهم ولم يحيدوا الا قليلا عن قاعدة تعفوا علبها
في رتبة الخزينة والراي العام .

٣ - النساء من رتبة " اوسطه " ويدعين ايضا " خلفس " وهن يخصصن لخدمة السلطنة والوالدة
ولخدمة نساء السلطان من ربه خاتون وارادهن ويتضمن الى غير ذلك الواحدة منها من عشرين
الى ثلثين فتاة . وتحمل كل فرقة من هذه الفرق اسم الشخص الذي تخدمه .

٤ - ال Shaguirdes او المبتدئات يدعى لاشغفال المراكز الشافرة في رتبتي الكدلي واسطه

٥ - اما بقية نساء الحرم فانه يطلق عليهن لقب حارية . ويقمن بالاعمال العادية . ومن النادر
ان يفرجن من هذه المرتبة الاخيرة .

والحرم الدايوني يتالف من خمس الى ست مئة امرأة من مختلف الاقطار من اوربا واسيا
وافريقية . ومعظمهن يحملن اصلهن . ويتخذن اسما مختلف عن اسماء النساء الاحرار كاسم حياتي
ومغائي و Dolbeste او التي تربط القلب ، ونور الصبا وكبير او زهرة الربيع الخ ولهن
رئيسة كبيرة يطعنهن اسما " كخية خاتون " ينتخبها السلطان عادة من بين اكبر نساء
ال Guédikhis مناء . وللدلالة على مركزها ورتبتها فانها تحمل عصا الرئاسة محلاة بصفائح الفضة
وخاتما هاديونيا تستعمله في فتح مختلف الحاجيات الموجودة في جناح السلطان . ويحفظ لها
كل النساء منتهى الاعتبار حتى ان السلطان يمنحها لقب والدة اذا لم تكن والدته على قيد الحياة .
وتساعد في وليفتدا هذه نائبة لها تحمل لقب خازنة (خازنة دار اوسطه) وهي تعني
بشباب السلطان وتشرف على مصروف الحرم . وترافق نساء القصر عما يذهبن الى دور النزهة لقضاء
الصيف بينما تبقى الرئيسة الكبيرة في المدينة مع بنيه الحرم .

ويحيط بدائرة الحرم في القصر سور عريض له منفذ واحد الى الداخل وهذا المنفذ مغلقي ببابين
من البرونز وبابين اخرين من الحديد . ويقوم على حراسة هذه الابواب في الليل والنهار جماعة من
الخصيان السود ^{مست} ويمكن لرئيسهم نفسه ان يتعدى هذا الحد الا بامر رسمي من السلطان . ويقع
في وسط دائرة الحرم هذه جناح السلطان الخاصر . والامكة الدائمة فيه هي غرفة النوم وغرفة
العرش . ففي غرفة النوم يقوم سرير السلطان على مكان مرتفع ويحيط به سجاف من الحرير الاظلم

مركزه بالذهب والدر الثمين . ويتألف اثاث بقية الدرفة من اربعة مخطاة بقماش من الجوخ المذهب وفي غرفة العرش يستقبل السلطان المبررات من عائلته والنساء من رتبة خاتون كما يحتفل بها بالكرامات الدينية والدينية . وهي محلاة بنقوش مذهبة ، وموثقة بأشمن الازلي وتقوم في الزوايا الاربع عرش تتلوه بالذهب والحجارة الكريمة . ويوجد وراء هذا الخاج بناء ^{مكبر} من اثاث عشرة غرفة تؤلف دائرة ثياب السلطان الذي يسمى " كز الحريم " وموت تحت عناية نائبة رئيسة القصر . وبالقرب من هذا المكان توجد غرفة الحمام ارضا من الرخام تقوم فيها عوايد من الرخام الساقية . ويخدم السلطان في الحمام نساء من رتبة الـ " Guédikhis "

وهناك بناء مدور واسع لوقبة اسمه " صوفا " يؤدي من ناحية الى جناح السلطان ومن الناحية الثانية الى دور النساء من رتبة " خاتون " . ويخدم الدور ملطقة حول هذا البناء المدور وكل واحدة منها مؤلفة من عشر الى اثني عشرة غرفة ويسكنها النساء من رتبة " خاتون " بحسب تقدمتهن . وتقوم من الجهة الخلفية دار رئيسة القصر الكبرى ودار مساعدتها . ثم تقوم على مسافة قريبة ابنة الـ Guédikhis والـ Ousta والـ Shaquinde والـ الجوار " وهي مفترقة عن بعضها البعض ولكل خاتون حمامها الخاص وكذلك لرئيسة القصر الكبرى . وهناك حمام عام لبقية نساء الحريم يكون حائزا في جميع اوقات الليل والنهار .

ولا يشاهد النساء من رتبة خاتون بعضهن بعضا الا نادرا ولا يتزاوين الا في الايام الرسمية حتى هذا لا يحصل الا بان من السلطان او على الاقل بموافقة رئيسة القصر .

ومن يرتدين ~~ملابس~~ ملابس اميرات من ازياء السلطان . والعلامات البارزة في ملابسهن هي مشابه من العانس واكمام خارجها من الفرو متصل حتى الكوع ، ويحصل من الشمر فوق الجبين ، ويكون بهل هذه الملابس بصورة خاصة في جمال الشال الكشميري الذي يستعمل كوشاح لتغطية الرأس والكفين . وترتدي النساء من رتبة " اقبال " ازجوان الشينة وفي الشتاء الثياب ذات الفراء . اما ثياب الـ Guédikhis والـ Ousta فهي طويلة الذيل وغير مسموح لهن بلبس الفراء ، الا انهن يضعن على وسطهن الشال مثل النساء من رتبة " اقبال " او بزنانير تنتهي بمشابك من الذهب محلاة احيانا بالحجارة الكريمة .

وتتفاضل النساء من رتبة خاتون حسب درجاتهن . فالاولى منهن تتفاضل عشرة اجناس في الشهر اي ١٠٠٠ مرة سنويا . اما الباقيات فتأخذ كل واحدة منهن كسا انقصر من التي اعلى

ويوجد في المايه وفي " سنة دحفة " حمامة آفله يقوم على خدمة السلطان فيها من طهه وغلمان

منها . اما الرئيسة فتأخذ خمسة اكياس ونائبته ثلاثة . وتؤخذ هذه النقود عن اموال اوقاف مكة والمدينة التي يشرف عليها رئيس النخعيان السود . اما الرئيسات الكبيرات فانهن ~~يختصن~~ يتناولن من منذ عام ١٦٨٩ - حولا من ٧٥٠٠ قرش في السنة وقد عين ابن ذلك سليمان الثاني .

اما بقية النساء فانهن يأخذن كل فرقة بفرقتها . تتناول *Guédikhis* ومعهن النساء من رتبة " اقبال كل واحدة منهن مكي ٢٥٠ قرشا كل ثلاثة اشهر وال *Crustas* ٢٠٠ وال *Schaquindes* ٥٠ والجاريات ٢٥ . وهذه الاموال تؤخذ من جمر الاسانة . وتفريق على كل نساء الحريم في

عبدى الفصح والاضحى ويوم المولد النبوى وعندما يذهب السلطان الى قصره الصيفي وحين رجوعه الى الدمامة . وعندما تصبح احدى نساء السلطان أما تحصل هذا الدايا الشينة على جعل "خاص" من ثلاثين او خمس وثلاثين الف قرش سنويا .

وما من سلطان كان كريما نحو حريمه كما كان السلطان عبد الحميد الذي كان يسرف في اعطاء المجوهرات لنساء اللاعي كن يخرعن في لبسهن ازياء جديدة . وهذا التبرج ما فتى ان تسرب بصورة تدريجية الى نساء العظماء . الا ان ذلك زار بسبب هذا السلطان الضعيف . الذي اوجده والذي كلفه (١٥) مليون قرش تقريبا .

ويذكر السلطان نساء بالناوية اذ لكل واحدة منهن برهما او دورها . والتي ^{تكون} ~~تكون~~ ^{مستعدة} في دورها فان السلطان لا يتوانى عن مقابلة غيرها في تلك الليلة .

وعندما يصرف السلطان ليلته عند الحريم فانه ينام دائما في غرفته حيث تدعى الخاتون التي يكون دورها في تلك الليلة . فاذا طلبها قبل طعام العشاء فانه تناول الطعام ولكن ليس على مائدة ^{بل في خزانة} ~~لانه لا يحق~~ لسوى السلطانات فقط تناول الطعام معه .

ومن النادر ان يذهب السلطان لزيارة احدى نساءه الا اذا كانت او ابن احد اولادها ضعيفا . وهو دائما يلبس عند دخوله دائرة الحريم اذنية نعالها من الفضة حيث يدل صوتها على قدومه كي تختفي النساء عن نظاره . لان وجود احد في طريقه يدل على قلة الاحترام (١٠) ان هذه الحالة التي تسير على نمط واحد في دائرة الحريم لا تتميز الا في اوقات الوضع عند

احداهن . ان مقام حبش عوائد مألوفة منذ القديم . فبعد الوضع بثلاثة ايام تتقل الخاتون الى غرفة خاصة اعدت لها منزلة فاخر الرياض . ويتألف هذا الاثاث التي تحصل عليه كل خاتون في ايام وضعها الاول من سرير اعصيته من الحرير الاطلس القرمزى اللون موكب مزركبة بالياقوت والزمرد

واللون ^{واللون} (١) كذلك الامر اذا كان يتنزه في حدائق السراى فليرحق لاحد ان يظهر وينزل العقاب على من يخالف ذلك

والدولوة . وعلى زوايا السرير الاربع كرات من الفضة محارة بالاحجار الكريمة ويتدلى من اعلاه اثنتا عشرة حبة من الدولوة والياقوت . ومن طناقص من الحرير الاطلس القرمزي اللون ايضا ومن اريكة من الاطلس الازرق . (١) الا انها لا تحتفظ به ذا السرير الامدة ستة اسابيع فقط ان بعد ما ينقل الى مكان معد لحفظ الاثاث حيث لا يخرج منه مرة ثانية الا عندما تكون نفسها الخاتون في حالات الوضع . وبما ان الحجرة الكريمة التي تزين هذه الاجنزة تبقى دائما في بيت المال فان المصاريف لا تكون باهظة جدا . وبعد ان تستقر الخاتون في هذه الحجرة ترسل رئيسة القصر بطاقات دعوة تدعوفها السلطانات المتزوجات ونساء اهم شخصيات الدولة ليحضرن ويقدمن تهنيتهن . وتكون بطاقات الدعوة هذه مصحوبة بألقاب العيني المملوثة شرابا . وتجتمع النساء المدعوات عدا السلطانات عند زوجه البدر الاعظم حيث يركبن الحريات ويندعن معاً الى الحرم السلطاني . وبعد ان يدخلن الى غرفة النساء يجلسن بوضعهن على طرف غطاء السرير ثم يجلسن على الاراء . وبعد برهة وحيزة تدخل السلطانات . ويقية نساء السلطان فيقدمن تهنيتهن للنساء ثم يجلسن على اريكة نصبت لهن خصيصا مقابل السرير كي يميزن عن بقية المدعوات . وفي اثناء هذه المقابلة تغنى جارتان مترفعاں الاغنياء عن السرير حيث تكون ~~القبالة~~ القابلة في اسفله قرب الموضع التي تكون حاملة المولود الجديد . وتسمع اثناء ذلك انغام شجبة لطيفة صادرة عن جاريات موسيقيات حاثيات فوق الطنفسة .

وبناء على هذا ~~في نفس الحرم السلطاني~~ الحرم السلطاني كما يضاف باقي السراى ويكون غذا اشارة لافراح الدولة . وقد وتلمع المتول في ذلك البناء المدور الواسع الذي يفصل بين بيت السلطان وبيت نساءه . وفي هذا المكان تتسلى الدابات من نساء القصر في القيام بجميع انواع الفكاهات . وتظهر لهن ~~حيثنك~~ الحرية للقيام بجميع انواع الالعاب السرحة . فيتخفى البعض منهن على هيئة اتراك والبعض الاخر على هيئة اوروبيين فيقلدن بسخرية مقابلة احد السفراء الاجانب للبدر الاعظم ليمسح منه خيرا اعلان الباب العالي الحرب على بلاده . فيقبضن عليه ويسقنه مهنويا بحياطة السخيرة والاستهزاء . او انهن يقلبن الى هزة ماتم البيوتانيين فيظهرن بملابس رجال الدين حاملين البخرة ويرتلن مثلهم بينما تردد باقي النساء ما

(١) لقد اتبع للكاتبه مشاهدة مثل هذا الاثاث سنة ١٧٧٩ عند جوهرى السراى حيث كانت تشتغل ثمانون طرازة تقريبا كلهن مسيحيات .

يرتلنه . وهن يلدن ايما رجال الشرسة ويضربن بالهما اسفل ارجل من يقب بين ايديهن . وهن في هذه الاوقات المباحة بقلدن حتى السلطان نقص . فقد قلدن السلطان عبدالحميد امامه شخصيا في العيد التي اقيمت عام ١٢٨٠ احتفالاً ببلاد النمرة السلطانية ربيعة . اذ كان السلطان ^{قصر} امر بداعي الاقتصاد نساء القصر اللاتي يلبسن ثياباً لها اطواق طويلة متدلة . الا انه ينساكن يتنسى وهو متغنى لاحداث بعض النساء لم يتقيدن بامره فنضب الى درجة انه اراد ان يقصر اطواقهن بيده . فبذء الحادثة التي كان لها تاثير في المدينة كانت بعد حادثة عندنا مثلثا ثيابات القصر . كانت احداهن لائبة ملابس السلطان فهدمت ويدها اخنجر على جماعة من رفيقاتها كما تحاول قطع اطواق ثيابهن الا انهن هربن من امامها صارخان خوفاً وفزعاً . وقد طرب اسلطان عبدالحميد كيمر لاذ الشدد وكان حاله من السلطانيات على مرتبة محجوبة بشعرية . اما النساء المدعوات فقد كن في المرتبة المضممة لنساء السلطان .

وتعاد الالعاب نفسها في اليوم التالي . ويختصر اليوم الذي بعده الى السادس من ايام الوضع للاحتفال بتسليم المهد ويقوم على تكريمه السدر الاعظم فانه يرسله الى السراي بموكب مؤلف من وزراء الدولة ومن معهم موظفي قومه . واذا كان المولود ذكراً فان المهد الذي يكون ^{مرصعاً} من الذهب والاحجار الكريمة يحلى بنيشان شمين وينقل باحتفال حتى باب الحرم من قبل موظفي الدائرة الاولى والدائرة الثانية ^م يرتدون زي الانكسارية ورجال السباه واللوند . للقيام بتمثيل جنود المشاة والفرسان والبحرية . ويكون على راسهم اسلحار الذي يخدم المهد لرئيس الخصيان السود وهذا بدوره بتقديم بضع خطوات داخل سراي الحرم ويقدمه لرئيسة القصر فتأخذه لخرقة النفساء حيث تقدم كل النساء المجتمعات لاستقباله . اما الوالدة التي تكون حالبة في ركن الاريكة فانها ترمي داخل المهد قبضة من النقود الذهبية (دوقه) ويكون على يمينها السلطانات ونساء السلطان . وعلى يسارها النساء المدعوات اللاتي يقتفين اثرها ويضعن الذعبي في المهد . ومن ثم تمدد القابلة المولود وهي تقول بعد الادعية والتشنيات وتردد كل الحظوظ كلمة امين . ومن ثم بعد ان تفرغ ثلاث مرات تأخذه بين يديها . واذا ان ترض النساء الاقعدة الشبهة فوق المهد وتكون كديا هدية للقابلة .

وبعد هذه الحلقة تظهر جاريات ~~التي~~ يتقدمون الموسيقيات ، يحملن بيد الشموع واليد الثانية

الباقى الفاخرة والحلى او اهرامات مصنوعة بخيوط وصفائح الذهب والفضة عليها باقاع المزد .
فيضعونها امام النساء المدعوات اللاتي يحلن الى حد من اليوم التالي عندما يترك
السرا . وهؤلاء المدعوات يقمن طيلة ايام العيد الثلاثة في مساكن نساء السلطان ومساكن مدبرتي
القصر . وعند ذهابهن ، يلين ان يقدمن هدايا قيمة للنساء المولود الجديد وللنساء اللاتي اتمن
عنهن وللسلطان نفسه . وان هذه الهدايا الشكرية تكلف زوجة الصدر الاعظم ما يقارب
السيتمين الذي غره طبقة النساء كل واحدة حسب مقامها . ولا يستثنى من ذلك سوى زوجة السقي
فقا . ويضع السلطان كل سيدة حلى وماء واقامة وفراء ونقودا ايضا . ولهذا السبب ^{نرى} ان السرا
المستظيمة التي تسبب هذه الاعياد قد دعت السلطان عبد الحيد في اخر ايام ملكه ^{ان} يقصر ^{على} دعوة
الميرات من عائلته فقط .

ولكن عدا هذه الحالات النيرة لا يتبادر وعدا ايام عيد الاضحى التي تسمح بمثل هذه الافراح
فان الحرم الاسلامي هو مكان تسوده الهدوء ويدير على نمط واحد . فلا يسمح لاي امرأة الخروج
من القصر حتى انه ليس لمن الحرية في الذهاب الى الجاه الكائن في ^{منه} قصر الا في الخامس
عشر من رمضان بعد الاحتفال بباركة المياه بتفطيس البردة فيها . وبعد ان يكن وحدهن ^م اذ ذلك
في الجامع المجاور بالخصيان السود يعز من زحاحات من هذه المياه اضي يرسلها السلطان كهدايا
بمبار رجال الدولة . ولا تتمكن النساء حتى من التنزه في حدائق القصر الا باذن من السلطان .
ويحظر لهن من وقت لآخر ان يبتغية النصارى احد الاكداك او البيوت المبنية داخل الحدائق .
الا ان حفلات السرور فقط هي التي تنال دائما تاجيزات كبيرة . فقبل كل شيء " تعلى الاوامر "
" للبيتنجيه " وهم بوابو الاكداك للابتعاد عن مراكزهم . وتنسب حول المكان الاستاريحرسوا الخسبان
من الخارج . وبعد ما تقبل النساء هذا الصباح . وفي ساعة الافطار يحضر السلطان وينضم اليهن .
الا انه يتقيد بالعادة ان قلما يتناول الطعام الا وحده . وعناك عادة في هذه المناسبات وعي ^{من}
ان ^ب الصدر الاعظم ^{نظر} خضوعه لمولاه . وذلك بان يرسل له الوانا كبيرة من الطعام محنة في
مطابخه . فانه يرسل له باحتفال واحدا ^{طبخا} وثمانين ^{طبخا} عيدا مئة وخمسون صخا تقريبا . ان
الصحن التي تنطلي تسعة من هذه الاطباق والتي هي مخصصة للسلطان ونسائه هي مغطاة
بنسيج احمر مشعومة بيد " الكيفيه " بك " وزير الدولة الذي يذهب الى مطابخ الصدر الاعظم خميصا
من اجل ذلك . وعلى السونف الذي يرافق حفلة النذاه هذه ان يقدم للقلزرا رسالة من قبل الصدر

الانعام تفرير الى هذه المناسبة . وانما تناول السلطان في هذه المائدة الرئيس او ثلاثة فان ذلك يعني انه منح كبير منطوقه على وزيره الاول الذي غالباً ما يقدم من هذه التقدمة ليوافق حوادة جميله مجيئاً باثنى مئة . وعلى السلطانات المزوجات والساحات في المدينة وعلى امير البحر ولغا الاشكارية ورئيس الجمارة ان يرسلوا ايضاً للدرى وبهذه المناسبة اولي من السيني ملوثة وروداً وفاكة . ان حفلات السرور هذه السمرات بالخلوة الى جزيه تحصل ان ارغس مرات في السنة . ولكنه اسمح رسميه بوجود السلطان فيها ~~فلا يتخلل حتى يتقرب~~ من زياته ~~ان~~ من المستند ان الضرورة للحظوظ السلطانية . ولهذا فلما يفسح مجال الحرية لسدائه فانه يتدخل احياناً عن مراقبتهم .

تقضي نساء السلطان عادة قصر السيف من السلطان في قصر يسمى بشكطاش ويوقع على الضفة الأوروبية من البوسفور . وتؤخذ عندما يذهب جميع الاحبيبات الى لايشاه وهي احد را . فيخرجن قبل بزوغ الشمس ويجتن الغار في عريات محجوبة بالشمريات وتنصب الاستار من دائرة الحرم حتى " يلقى كدها " حيث يبعدن الى القوارب المعلقة لهن . وعندما يدنن يضعن شالاً يحجب كل جسمهن . اما الخيمة التي تجلس فيها كمن فاعرن من ارادها وحاميتها فانه مغلفة بشميرة ويجرسها خضيان سود من الخارج . وعندما ياتين في القوارب يخفهن رجال الحرس حيث يقفون على قوارب بسيطة كل منهم يمسك عصاه بيضاء وذلك ليبعدوا سراكب النار .

لا يمكن لحد من الرجال الدخول على الحرم عند الاعباء ومع ذلك فهم لا يدخلون الا بالمرحاض من السلطان عندها يرافقه رئيس الخضيان السود . وتكون المريضة وكل النساء اللائي يحضن بهما محجوبتين بالشال . واذا اراد الطبيب حش نبضها فما يدما تكون منطاة . واذا اراد النظر الى لسانها او عينيهما يحب ان يكون باقي وجهها محجوباً . فالقزلهما نفسه لا يجرب ان يلقى نظره على امرأة من الحرم . وعندما يصادف غائون او سلطانه عليه ان يقبل ثوبها .

ولا تشاهد نساء السلطان تحرباً ابداً نساء عربيات عن الحرم عندا جوارى القصر القديسات اللائي اعتقن وتوجن . وتفتح ابواب الحرم ايضاً في بعض الاوقات لنساء عجائز يقدمن انفسهن كجائعات او طرازات او مددمات برعلم الطب ويكون ذلك بتوصية من سلطنة او احدى كبار السيدات . الا انه يلزم بحب ان تقدم اسماءهن للقلراغا وان يؤذن لهن من السلطان .

وبسلطنة تتعفن النساء اللائي اوصين بدن من الاتصال بالحرم وبالخاتون التي تكون لها

أمر حاكمه عند السلطان فتعمل هذه المصالح عاكسات تلك السيدات .

إن التاريخ يعطينا بعض الأمثلة عن تأثير هذا النساء على الممارطين الضعيفي الأراذل .
فمساء السلطان إبراهيم الوركي يتداخلن في شؤون الإدارة العامة . وقد افترطن في استعمال
تأثيرهن إلى درجة أنهن كن يحملن على إدارة حكم بعض السلاطين وينحنن للناس يحكمونهما
بأسلحتهم . فإن أحدهن وهي السلطانة خاتمة التي تزوجت السلطان فكتت به إلى درجة أنه غضب
في أحد الأيام على أسطوانات شقيقاته لعدم التبرار من كفاية زوجته فأجبرهن على أن يخدمنها وهي
على الخدم . وإن بقى حتى على سب المياه على يديها تبرير يستلهم وبعدة . .

وتمكن أيضا الجارات اللزعي المعتن من الحرير بما بقي لديهن من الاتصال بالسراي من تقديم
بمساعدات غريبة للزوجة خاص الذين يستعطفون . ولذا فإنهن سعيوا في الزواج (١) ويكون زواجهن
عالميا متفقا عليه من قبل من رفيقاتهن القديسات اللزعي يكن قد تزوجن . ويكون عقدين أما بدافع
ديني أو لرفاه نذرنا أولمنا بية وضع أحدهم مساء السلطان . إذ أن ذلك يحصل غالبا عندما ينسج
يتسكن الدر السلطان جديد . إذ من التقاليد أن ينسج السلطان الجديد الحرية لغيره
النساء الجوار . وبصفة عامة لمساء السلطان المتوفي وللنساء اللزعي كان لهن حلوة عند
واللزعي لم يصحبهن أمهات .

ولكن النساء اللزعي أنجبن أطفالا من السلطان السابق هن وإن كن معتقات زانوا فإنه
لا يمكنهن الزواج والتحق بغيرتهن . إذ يحصل إبعادهن إلى السراي القديمة بعد أن يحرم
من بعد مجاورتهن ويفصلن عن أولادهن الذين لهم بحسب حاجتهم في رعاية أمهاتهم . ولكن تحظى
لهن الحرية في بعض الأوقات للذهاب ومداخلة أولادهن في السراي . وإن اللزعي لهن أولاد
من الذكور يكن موضع احترام زائد وتلك التي يكون أبدا لزعي على عرض تعامل بصورة خاصة
بشئى الاعتبار .

(١) يتمكن الإنسان بواسطة أزواج هؤلاء السيدات القديسات من معرفة الأشياء الخاصة التي تتعلق
بالحرم المصوني . وهذا العمل كلف الكتاب اعتمادا ومدايا أكثر من جميع المواد الضرورية لبقية
الكتاب .

الفصل الخامس

السلطانة الوالدة

- عندما يعتلي أحد السلاطين العرش تستقل والدته باحتفال من السراى القديمة الى القصر .
- ويخصص لها مبلغ مؤلف من (٣٠٠٠٠٠) قرش تقريبا ويدفع السلطان من ماله الخاص مضافا قسرا .
- وتتالف حاشيتها من عدة موظفين اشهرهم وكيلها ار (كخيتا) وعموالقائم على ادارة اموالها .
- ولذا اذا التزمى ائمة بما يكون للقائم على ادارة شؤون السلطانة الوالدة من تاثير اكيد على افكارها .
- وهي تتمتع دائما بحظوة عالية ^{بمعنى} في الامم الاحمر الاحمر الذي يكفه في كل سلطان عثماني لوالدته .
- ومن اجل ذلك فهي غير مضطرة للاعتدال بولدها لحل بعض الامور . ان اي كلمة او بطاقة منها تجعل المدر الاعظم ينضغ لارادتها اذا كان غير متغلب ولكنه خاضعا لهذا التأثير القوي فهو يدخل الاعمال الكبيرة الا بموافقة السلطانة الوالدة او بالاحرى حسب مهيئة وكيلها . يمكننا والحالة هذه ان نتصور كم يكن مبلغ نفوذ مثل هذا الموظف اذا كان ماعرا جريشا وان نعرف الاساليب التي يستخدمها لجمع الاموال حيث يعنى باستخدام بعضوا ليليل ذاك حظوة وذلك بتقديم الهدايا للسلطانة الوالدة وللسلطان . وهذا ذلك فانه بحكم مركزه يتقدم على كثير من وزراء الدولة .
- ان السلطانة الوالدة مراعاة للتقليد القديمة لاتتأدى ولدها ابدا الا بالسدى اوياسمر ^{بلاهة} .

الفصل السادس

السلطانات

- منذ زمن محمد الرابع كان لا يطلق اسم سلطانة الا على بنات السلاطين . وتقوم على تربية السلطانة والدتها واذا فقدتها يعين لتربيتها خاتون ليس لها اولاد او احدى عجائز النساء من رتبة محمود كئي .
- ويعين للسلطانة جناح خاص كما يخص لخدمتها النساء اللاتي كن في خدمة امها .
- وكن يتزوجن فيما مضى من امراء اسيا الصغرى المسلمين كأمراء قروانيا وقسطمونيا الخ . . . الا انه انهن لايجلبن ابدا لازواجهن كجائنة او مقاطعة او ممتلكات ما . كما انهن ايضا يتزوجن باسياد عظام او علماء . والسبب في ان محمد الثالث كان يتساهل ويتزوج السلطانات باشخاص من عامة

الموظفين وقد اجمع ان له (٢٥) اختا وكثيرا من البنات والقربيات . وله ذاقا المورخون يذمون هذه الزيجات عندما يتكلمون عنها . الا انه منذ زمن احمد الثالث ابحن يتزوجن ببنات من ذور الشاة الاطواغ اي من رجال من ارفع المراتب في الدولة .

وتتزوج هؤلاء الأميرات وعن في سن صغيرة وعلى الباشا الذي يعطى له شرف التزوج باحدا من ان يكون قادرا على اعانتها . ويقع الاختيار عادة على رجال كبار السن اغنيا . وتتزوج الاميرة غالبا وتعي في السادسة عشرة من عمرها بعد ان تكون قد خطبت مرتين او ثلاثة . ويحتفل بزواجهم في السراي بنفق ^{المبايع} التي يقيمها اساتذتنا .

ويقوم رئيس الخديان السود بتمثيل السلطنة في ااحفار اما الباشا فيمثله وكيله او احد شخصيات البلاط . وراس المفتي حفلة عقد القران هذه حيث يمين فيها المعمر الذي يترتب على الزوج ان يدفعه . ويكون من خمسين الى مئة الف ذهب ويصر احيانا الى اكثر من ذلك . ولا تحضر السلطنة ابدا حفلة عقد القران هذه . والباشا انقصه لا يحضر الا كمتفرج ليس الا . اما السلطان فانه لا يكون دائما موجودا فيها . الا انه يقدم لكل الحضور خذعة من قبل السلطان . ويقوم القزلباشا ولبس الباشا فرة ثانية من حلد السمور تكون من قبل السلطان كما يفعل ذلك مع المفتي ومعاونيه . ومع امام مسجد ايا صوفيا .

ويتقدم ويحقب حفلة عقد القران هذه اعياد فخمة يقيمها الباشا حيث يدعوا بالدور كل ممثات الدولة . ويتبعها باحتفال ارسال هدايا الباشا لزوجته وهي مؤلفة من الجواهر والخواتم والاساور والاقراط والمصابيح ومن خزائن توضع فيها اادوات التبرج ومن وشاح ونعال وبقاب ^{على اللحية} للحمام وكل هذه محارة بالحجارة الكريمة او الدرر الثمينة . كما يضاف الى ذلك خمس من الجوخ المذهب يحتور على الفين او ثلثة الاف ذهب مع اربعين سحنا من الفضة مليئة بالحلويات . وكان التاج الذهبي المرصع بالحجارة الكريمة هو فيما مضى اثنى الامراء التي تقدم للاميرة السمور . الا ان هذه العادة المأخوذة عن البزنطيين ابطلت منذ قرن تقريبا .

وبعد ارسال الهدية بيومين يعرض جهاز السلطنة في عرفة من عرف السراي حين يحضر الصدر الاعظم والمفتي وكبار رجال البلاط ويضعون هداياهم في سناديق تحوى على حواهر الاميرة . وبعد ذلك يرافقون الجهاز عندما يحمل الى القصر المنصور لها . ويرى الناظر دائما في هذا الموكب حرمين او ثلاثة من هدايا الذهب والفضة .

وفي اليوم التالي تنتقل السلطنة من السراي الى قصرها الجديد يصحبها امراء البيت المال والموظفون

ومولفو البارط وكبار رجال الدولة . وهناك يستقبله اروحدا وانزلراغا ويقودانه حتى باب الحرم ويكون كل منهما ماسكاً به امن تحت ذراعها . يتبع ذلك عادية فخمة للرجال والنساء كل على حدة . ثم بعد ان يخرج المودون وقت صلاة العشاء يحصل كل منهم هدية من الباشا فيقدم رئيس الغشيان اسود ويضع فوق الكتاف الزوج غرقة من حلد السور باسم السلطانة ويقوده الى غرفته . ويعلن مجيئه بقوله : "يتهدا الانيرة الجليلة ناك الباشا خادما" ومن ثم ينسحب . وتكون السلطانة جالسة يحجبها ستار من القماش الشبى ويحانها احدى نساء قصرها التقديمات وهي تقوم بوظيفة مدخلة كما يحصل ذلك في حفلات زواج ^{سلطان} الناس . وبعد ان يقوم الباشا بتادية صلته في احدى اركان الشرفة يتقدم ويقبل كمداء السلطانة ، ويتناظر من يدها ادارة لكما يجلس قريبا .

وبعد مضي ستة اشهر تفصل السلطانة عن زوجها الا اذا كانت قد تزوجت من الصدر الاعظم او امير البحر الكبر ونما للوحيدان من الباشوات الذين يحق لهم الإقامة في الاستانة بعد الناء وزراء القبة . (١٣٠) وان كان الزوج حاكم ولاية فانه يرجع الى ولايته بعد زواجه . وان كان موظفا كبيرا في القصر او وزيرا اعطي رتبة الباشوية قبل زواجه عليه ان يذهب لحكم ولايته الجديدة التي عين لها وبالجهد يسمح له بعد عدة سنين بالرجوع وتغنيه بعد الوقت في الاستانة واذا فعل علمه ان يعيش عادة بدون اي ابدية . ولا يسمح للسلطانة ان تلحقا بزوجهما خارج العاصمة . ويشير التاريخ الى حادثة مراد قنادرة وهي الحريم التي قد اعطي سنة ١٧٠٤ للسلطانة خديجة ابنة احمد الثاني لمرافقة زوجها وهو صدر اعظم معزول . التي يتقدمه مكان فيه . لما بعد مضي ثلث سنوات عين زوجها حاكما لمروفي الحال ارسلت سفينة لارجاع السلطانة الى الاستانة . ويمكن لهؤلاء الاميراج ايضا الذهاب الى مكة للحج وهو العمل استثنائيا في حالات .

وليس هذا الاحتراز هو الوحيد الذي تغلبه سياسة القصر الكبرية الرتب . فان هناك قانونا بربريا يقضي بقتل اولاد الاميرات الذكور ذكاه بعدم عقد ^{نكاح} سرته . وهذا التدبير المتخذ منذ حكم السلطان احمد الاول يعني مع التدبير الداخلي بانزواء ابناء السلاطين وذلك لحفظ الامبراطورية من التفرق الداخلية التي كانت تغرق دائما حركات الطمع والمنافسة بين الامراء ابناء السلطان . ويمكننا القول بان العثمان مدينون لهذه التدابير السارية القاسية في ثبات سلطانهم .

ويدفع زوج احدى السلطانات غالبا ثمن صرف اتصاله هذا وذلك بالتضحيات التي عليه ^{اعظم} ^{المنهج}

بداء . انه عليه قبل زواجه ان يطلق نسائه . وايضا فقد زواج بان . حتى انه ليست عنده الحرية في ان يبتلي عنده حاربات فتيات الابان . خارج من السلطنة . وان واجب احترام نحو بيت عثمان بنده من طلقها .

غير ان مولاه السلطنات يتمتعن بحرية اكثر من نساء السراي . انه يستقبلن في بيوتهن نساء علماء رجال الدولة وذا عين / حتى تدن الى الحرم المأهول ويروهن السلطان ولكن دائما متخفيا . وكان السلطان عبد الحميد يذهب غالبيا لزيارته كبروا شقيقاته السلطنة اسما . وقد اهدته حارية جميلة فحسب لغرضه عندما يأتي لزيارته . وبعد امد وحيز حملت منه فرجع السلطان راجعا وجهله اسباب نكاته . وتلد بابية من قدر مشيخته السلطنة الى السراي امام تعجب احمد و الزائد .

وما من واحدة من مولاه الميراث المتزوجات التي تفضل نفوذها لدى الوزراء لمساعدته فيمن الاغراض الذين يلتمسون عطفه في بواسطة من يتأهلن من السيدات او بواسطة من يخدمه من الخدمان السود او رجال الحرس او الذين يقدمون ما تحاجه قهر من . او على الاكبر بواسطة وكيل تهرمن (مخيمته) الذين من قبل السلطان . وكلما كان السلطان ضعيفا كلما اضعف بطلبان من المزجعة . وتندال بطاقتان ورسائله على موظفي الدولة ويهرمن على المقام باعمال غير عادلة وبالم فاحشة . ومن لا يقمن بذلك مدفوعات باسباب غيرية . وعالما ما يكون الجشع غير المدافع الوحيد لتصرفهم اللئيم هذا .

وفي الحقيقة فان ما يخصص له من تمويل جدا كي يتهيأ عدايف بيوتن . انه لا يتعدى ٢٥ او ٣٠ او ٤٠ الف غرش في السنة . ولا يتجاوز ٦٠٠ غرش في الشهر من بيت المال . الا ان السلطان يستحسن ما يات ثمنه في مختلف اوقات السنة . مما ذلك فان السلاطين قدما يستثنون الاول على الجوامع السلطانية بخدمة من عادة للميراث بعض موارد ها . ولذلك السلطان مصطفى ازال لما ارقب السؤال على مسجد "الليلي" الذي كان قد بناء فانه عين كمعاش شهري من موارد وقفه / ١٠٠٠ / غرش لكل واحدة من بناته ~~نحو ١٠٠٠~~ . و ١٥٠٠ لكل من ابناؤه و ٥٠٠ لكل من نساؤه امهات اولاده .

الفصل السابع

الاميرات بذات السلطانات - خانم سلطانه -

ان حال هؤلاء الاميرات اخف وطأة من حال امهاتهن . فهن احرار في انتقاء أزواجهن ويحتفظن باولادهن الذين يتخذون لقب بك . ^{بدخلوه} ويكنون في السراي ~~بمنازلهم~~ في فرقة القوجي باشي او في جملة موظفي القصر الداخلي (خامر اوضه لي) . وتتخذ الفتيات لقب خانم وهو اعلى رتبة من لقب خاتون . ويعين لهن راتب شهري يبلغ ثلاث مئة قرش ولهن امتياز خاص في كل مكان انه لا يمكن ان يطلقن بدون موافقة السلطان .

الفصل الثامن

ابناء السلطان الحاكم - شاه زاده -

يتخذ هؤلاء الامراء منذ زمن السلطان محمد الاول لقب شاه زاده وعواسم فارسي معناه ابن الملك . وفي زمن حكم الاربعة الاولين من سلاطين آل عثمان كان البكر من هؤلاء الامراء يدعى باشا ^{بمادتهم} وليقبه بك او امير وهي نفس الالقاب التي كانت تعلق على كبار رجال الدولة .

ويعين لخدمة الامير منذ ولادته عشرون فتاة تقريبا من مرتبة اسطة .

كما تكون له مائدة خاصة او على الاقل يترتب على وكيل شؤونه المطابخ ان يقدم له عددا من اللوان او ما يعادلها من النقود وذلك بموافقة والدته التي تقوم على صرفها في لوازم القصر . ويفطم الولد عادة في السنة الاولى من عمره ويكون له حاشية خاصة منذ ذلك الوقت وهي مؤلفة من ستين شخصا تقريبا . اهمهم ثلاثة من خدم القصر الداخلي (خامر اوضه لي) ويقوم اكبرهم سنا بوظيفة ترم متخذ لقب باش لا لا ويكون تحت امرته ثلاثة من الخصيان السود يدعون "لالا" . اما بقية الحاشية فانها تؤخذ من بين صفار الخدم المنتمين للثلاثة الدوائر الاخيرة .

وعندما يصبح في الرابعة او الخامسة من عمره يعين له معلم (خوجة) يقم بابنه في دائرة الامير . ويحضر الى السراي رؤساء جميع هيئات الدولة حيث يبارك المقتي بحضور السلطان كما يبارك كتاب حروف الهجاء الذي يدرس فيه ويجعله يعيد كل حرق منها . ويقدم الصدر الاعظم للامير كل ادوات الدراسة المخصصة للولاد ككتب والواح ومحافظ الخ . . . وهي محلاة

بالذهب والحجارة الكريمة . وبعد هذه الحفلة يمنح لكل من الحضور فرقة ثبينة . ويبدأ المعلم عمله فيعطي الدروس للامير في عرفة القزلرغا . وعندما ينتهي الامير من قراءة القرآن يتقبل التهناني من جميع عظماء الدولة ويقدم كل منهم جوهرة هدية له . وفي هذه المناسبة تتطلب الاصول ان يقبل يد المفتي الا ان هذا يمتنع ويضع شفتيه على كف الامير .

ويتمتع ابناؤا السلطان بحريتهم اثناء حكم ابيهم . فعندما يصبحون قادرين على ركوب الحمار يتبعونه الى المسجد محاطين بحاشيتهم الخاصة حيث يرفع واحد منهم مظلة فوق راس الامير الشاب التابع له . ولهم قوارب خاصة وهي لا تقل زينة عن قوارب السلطان انما تختلف عنها في ان المظلة مغطاة باستار زرقاء او صفراء . ويقفون في المجالس العامة وفي مجالس سفراء الدول الاجنبية على شمال العرش .

وتجرى لهم عطية الختان عندما يصبحون في السادسة او السابعة من عمرهم . ويحتفل بهذا العمل الديني بلياد فخمة تدوم في غالب الاحيان عدة اسابيع . ويعلن الخبر في كل انحاء السلطنة قبل ثلاثة او اربعة اشهر بواسطة فرمات او شائير يدعى بها حكام الولايات وكبار الموظفين لحضور هذا الاحتفال . ويقام في ساحة الميدان معسكر يمثل بلاطات السراي حيث يعامل كل رجال هيئات الدولة ومختلف اقسام الجيش بابهة مدة عدة ايام . ويزيد في رونق هذه الولائم الموسيقي العسكرية وجميع انواع الالعاب والمناظر . ويظهر السلطان جوده بهدايا الى كبار رجال الدولة وباعطياته للجيش وصدقائه على الفقراء . ويحجب في التواريخ العثمانية وصف لاعياد فخمة اقيمت لمثل هذه المناسبات من قبل مختلف السلاطين . اشهرها تلك التي اجراها محمد الثاني والسلطان سليمان الاول والسلطان مراد الثالث احتفالاً بختان ابنائهم . ودامت الاحتفالات الاولى والثانية ثلاثين يوماً اما الثالثة فقد امتدت الى شهرين . ولما يبلغ الامير الثالثة عشرة او الرابعة عشرة من عمره يقم في جناح خاص ولا يحق له مشاهدة اي امرأة من نساء الحرم عدا امه وشقيقاته .

وكان الامراء فيما مضى يحكمون الولايات . وكان العثمانيون يتعبدون بذلك على غرار الخلفاء الاقدمين الاقدمين وغيرهم من الملوك المسلمين . الا ان تجربة مؤلمة جعلتهم يقلعون عن هذه العادة وكان ذلك على اثر عصيان كبير من الامراء مثل قرقود وجم ومصطفى واحمد وسليم . وكان لهم في بلاطهم رجال من كبار الموظفين يحملون ~~فصل~~ الترتيب والالقب التي يحملها موظفو السراي في

الاستانة . ولم تكن مخصصات الامير سوى اثني وثلاثين مائتا اي ما يعادل ٢٦٦٦٦ قرشا .
الا انهم كانوا يتصرفون بحسب مشيئتهم في موارد الولاية وكانوا عدا ذلك يجدون في تعديلاتهم
مصدرا للربح . حتى انه كان يخصم لهم منذ حداثتهم ادارة احدى الولايات فكانت تحكم
باسمهم وتخصص موارد ما لعائلتهم . غير انه منذ حكم السلطان احمد الاول تقرر انه ليس فقط
لا يعطى للامراء ادارة الولايات انما يجب ان يحجز عليهم في السراى ومنذ ذاك الوقت اصبح
ابناء السلطان الحاكم فقط يتمتعون بحريتهم . ولكن على كل حال فانه يحكم عليهم بالانزواء
عند وفاة ايهم السلطان ويظلون على هذه الحال حتى الوقت الذى يدعون به الى تنصيب العرش

الفصل التاسع

امراء البيت المال - شاه زاده - (١)

ان بيوت سكن هؤلاء الامراء ملاصقة للحريم في مكان يدعى شميرك لانها محاطة بالشمسار .
وهو مؤلف من اثني عشر جناحا يتألف كل جناح من غرف كثيرة كوحاط بسور عال يغم في داخله
حديقة صغيرة . لهذا سميت هذه المساكن بالاقفاص . ويقوم على خدمة كل امير عشرا واثنا
عشرة حارية من الفتيات وعدد من العلمان يؤخذون من اقسام الثلاثة الاخيرة . وهناك عدد
من الموظفين ملحقين اسميا به الا انه لايسمح له قط بمقابلتهم . ويحرم عليه اي اتصال كان مع
بقية سكان السراى . ويستمرسل في التشدد لدرجة انه يحكم بالموت على كل من يحمل رسالة
كتبها الامير او كتب له . واذا مرض الامير لا يمكن الا باذن من السلطان ادخال الطبيب اليه
الضروري مرافقه رئيس الخصيان السود . ولايسمح للمسجين ارضا لحيشه وهو بذلك يتساوى مع
موظفي بيت السلطان .

ولايسمح لدولاء الامراء حتى مقابلة بعضهم بعضا . ولا يمكن لامهاتهم ومن يسكن في
السراى القديمة من زيارتهم الا باذن من السلطان . وهذا لايقبلهم في حضرته الا في
الاحتفالات الكبرى ويستقبلهم ان ذاك في المايين . وهم لا يظهرون قط امام الناس . وانه من

(١) نلاحظ ان دوسون يترجم في الفصل السابق كلمة شاه زاده بالامراء ابناء السلطان الحاكم وهذا هو
معناها بالفارسية . ثم نراه هنا يترجمها بامراء البيت المال . ونلاحظ من فحوى هذا الفصل ان يريد

الغربة ان يكون لهؤلاء الامراء القدر لهم يوما ما حكم امبراطورية واسعة معلمون او مدرسون من
 الأشخاص السود الذين لا يستطيعون اعطائهم من المعارف الامبادية اولية . حتى انه في بعض
 الاحيان يقوم على تدريسهم نساء جاريات اي كما هو الحال عند صغار السلطانات .
 ويتعلمون عادة لقضاء اوقات فراغهم فها يدويا ما . فيشتغلون في صناعة الحلوى والصياغة وخرافة
 ويعملون الاقواس والسهام ويشغلون الصدف والعاج وخشب الابنوس . ويوشون حلد السخجان
 ويصورون على الشاش الموصلي واخيرا ينسخون القرآن والكتب القانونية . وكثيرون منهم بعد ان
 يعتلوا العرش يتابعون ممارسة الفن الذي كانوا قد انقطعوا اليه ويبيعون باثمان عالية ما قد صنعوه
 بايديهم ويخصصون الدراهم للاعمال الخيرية .
 ولا يمكن لهؤلاء الامراء الاحتفاظ باولادهم الذين ولدوا لهم من جارياتهم . وتؤخذ الاحتياطات
 في اعطاء هؤلاء النساء شرابا مجهضا واذا حملن بالرغم من ذلك فانه يحكم على المولود بالموت بخصي
 بالطريقة التي يموت بها اولاد السلطانات .
 ان معظم هؤلاء الامراء بقصوره يامهم في هذا السجن الكئيب هذا اذا لم يذهبوا وهم في زهرة
 العمر ضحية السلطان الذي يقضي عليهم كي يؤمن الطوك لابنائهم من بعده . ولا يظهر الوصي على
 العرش الا عندما يصيب السلطان الحاكم مرضا خطرا او شيخ فتمتلئ اذ ذاك باهل السراى اوبكار
 الموظفين الذين يسرعون في اظهار وفائهم له . الا ان هذا العمل السابق لاوله يكلفهم احيانا
 كما يكلف الوصي على العرش غالبا .
 ويمكننا ان نقدر تأثير هذا الافراد المفروض على هؤلاء الامراء على حياتهم الخلقية والمقلية .
 اذ بعد ان يكونوا ^{قد} انسلوا على النعمية وفصلوا عن العالم جاهلين ما يحدث حتى في المكان الذي
 يعيشون فيه يتسمنون العرش وهم في غالب الاحيان في عمر تصعب فيه اكتساب المعارف وتغيير
 العادات . واذا اصبحوا سلاطين وكانت الطبيعة قد وهبتهم استعدادات طيبة فان هذه تماكن
 بشدة من المصطلحات والعادات والعصبيات .

بكلمة شاه زاده امراء البيست العالي مع لنا نلاحظ في اواخر الفصل السابق انه يفرق بين ابنا السلطان
 وبين بقية الامراء من ال عثمان بقوله لمن الاولين فقط يتمتعون بحريتهم بينما يحجز على افراد القسم
 الثاني .

أما الذين يموتون وهم في عزلتهم فانهم يدفنون في مقابر العائلة السلطانية ويخرج في ماتم جنازتهم عظماء رجال الدولة ولا يكون معهم قط أى شخص من حاشية السلطان . وتجوز ~~تخص~~ هذه المراسيم للسلطانة الوالدة وللأميرات أما نساء السلطان فانهم ينقلن ببساطة ويدفنون أى مراسيم إلى السراى القديمة ويدفن بعد الصلاة عليهن في مقابر مخصصة لهن . يرث السلطان الأمراء والسلطانات ونساءه وكل النساء اللاتي يقضين حياتهن في القصر أو في السراى القديمة . ولكن عندما تتوارى سلطنة ما أو ابنة سلطنة أولاداً من بعدهما فإن السلطان يرجع لهم عادة قسماً من ممتلكات أمهاتهم .

الفصل العاشر

السلطان

كانوا فيما مضى يحرسون كيمبراعلى أثناء خبر وفاة السلطان إلى وقت مجيء وصي العرش إلى الاستانة وعو يكون دائما بعيدا على رأس ولايته . وهذا الحذر اتخذ من قبل الثلاثة الموظفين الأولين في السراى ومن الصدر الأعظم كان ضروريا لتلافي عصيان الجيش أو اطماع بقية الأمراء أبناء السلطان .

إلا أنه منذ انزواء هؤلاء الأمراء فإن وفاة السلطان يعقبها في اليوم نفسه المناداة بخلفه . ولما يلفظ السلطان آخر أنفاسه يعلم القزلباغ الصدر الأعظم بذلك ويدعو هذا الأخير للاجتماع في السراى كبار رجال الدولة وهم : المفتي وأمير البحر ونقيب الأشراف ولغا الانكشارية وقاضي العسكر وقاضي الاستانة . وعندما يجتمعون في المكان المسمى "سنة اوضة" يذهب رئيس الخييان السود والسلحدار أغا ويعلمان الوصي على العرش رسميا خبر تسلمه الملك . ويذهب السلطان الجديد إلى "سنة اوضة" يساعده هذان الموظفان الكبيران ويحلس على الأريكة ليتقبل خضوع كبار الموظفين الذين يحيطونه بوضع شفاههم على رداءه ولكن الصدر الأعظم يقبل قدميه إذ يستبرانه يمثل أشد جميع الأمة .

وأول عمل ملكي يقوم به السلطان الجديد هو أمره لرئيس الخييان السود بأن يقدم لوكيله ~~والجد~~ الصدر الأعظم والمفتي فروتين من جلد السور إشارة لاثباتهما في منصبيهما . ثم يذهب بعدئذ إلى مسجد السراى ليقدم حمده لله تعالى وليتقبل خضوع كبار موظفي حاشيته . فيتقدمون كل حسب

رتبه وضحون باحترام زائد ويلمسون الارض بيدعم اليمنى ثم يرفعونها الى شفاعهم ومن ثم الى حينهم وبعد ما يقبلون ذيل ثوب السلطان . ويدعى هذا السلام سلام الخضوع (يعين بوس) . ويرتدى السلطان اذ ذاك ملابس الملاة الفخمة وهي موشقة على الاخر من عمامة محلاة بوسام من الماس (١) ومن ثوب عليه فراء ثعلب اسود مزين بشبابك تلعب ويتنطق بحزام يشع بالذهب والحجارة الكريمة .

ان اشارات الملاة كانت تتخير عند المسلمين فالنبي محمد كان يحمل عصا تسمى "مجن" وكان الخلفاء الراشدون الثلاثة الاولون يضعون خاتم النبي كرم لخلافتهم . وقد اضاعه الخليفة عثمان سنة ٦٥٢ . واول شيء فعله معاوية مؤسس الدولة الاموية ومفتصب الخلافة هو انه غير هذا الخاتم البسيط بغيره اثنى منه واتخذ شعارا له . و اضاف الى ذلك قضيبا وثوبا من ثياب النبي محمد ابتاعه بثمان فاحش من اولاد كعب ابنه زهير المشاعر الشهير الذي تغنى بانتصارات النبي الحربية . وكان معاوية يتحلى ايام الاحتفالات بشارات الملاة هذه وقد تركها لخلفائه . ولكنه ما من ملاة مسلم لبس تاجا الا السلطان محمود الفنزوى الذى وضع على راسه لما توصل الى العرش سنة ٩٩٨ تاجا ثينا مقلدا بذلك ملوك الفرس القدماء .

ويجتمع كل الموظفين على اختلاف رتبهم في القصر يامر من الصدر الاعظم ليقدموا طاعتهم للسلطان الجديد . وتسمع طلقات المدافع من مختلف انحاء المدينة . ويحيط بالمدينة ثلاثة مائة يعلنون الحادث الجديد (٢) وتعلو في الفضاء اصوات المؤذنين من على ماذن اكبر الجوامع ~~الاربع~~ في المدينة الامبعة .

وتحصل حفلة الاقتتاح في ساحة القصر الثانية . حيث يوضع امام باب السعادة عرش من الذهب

(١) ويلمع لهذا الوسام اجمل قطعة من الماس موجود بقي السراى . وقد وجدها شحات عام ١٦٧٩ بين اكوام الاقدار في محلة "اعرى قبو" . وكانت غير مصلفة واخذ في ~~نصف~~ اليوم ثلاث ملاعق من الخشب لا منها وبعد ان تبودلت من يد الى يد حصل عليها السلطان محمد الرابع . وبعد ان صالفا خرجت ماسة من اجل واصفى الماس تنزن ثمانين واربعين قيراطا .

(٢) وهذه الفنادة تكون بهذه الجملة: "بما ان الباديشاه السلطان فلان خان انتقل بمشيئة الله الى السعادة الابدية فعلى قيام السلطان العظيم القوى الرهيب على العرش السلطان فلان خان سيدنا ومولانا الذى سيكون ملكه السعيد سبب سلم العالم اجمع . فان تمنياتنا الطيبة له وصلواتنا لا تقطع بحفظ الله ايامه الخالية .

يتقدم بالاحجار الكريمة (١) وتصطف فرق الحرس عن اليمين وثلاث فرق عن الشمال . تتألف الاولى من رجال القبوجي باشي اى من رؤساء الحجاب وعلى راسهم المير علم اى حامل العلم ولما الانكسار به ورئيس التشرفات واثنان من حاملى السلاح مع الموظفين المختصين بالصيد . اما الثانية فتتألف من قواد الانكسار به وروساء السلا . اما الثالثة فمن رؤساء بقية فرق المشاة والفرسان والمدفعية ورئيس فرقة ال *Péik* مع اربعة من كبار قواده . ويحتل الحجاب والمزلفوا بلطجي الرواق ذى الاعمدة الرخامية القائم فوق طرفي باب السعادة . اما حرس مخازن القصر وموظفو المطابخ والدوائر فانهم يؤلفون ثلاث فرق تقيم تحت الرواق الجانبي ذى الاعمدة البريضاء . ويقف امام العرش مشيرا البلاط الجاوش باشي والقبوجلر كخبره سى يحمل كل منهما كما يحمل المير علم وستة من اقدم رؤساء الحجاب عصا المشيرة محلاة بصفائح الذهب . ويقف في انتظار السلطان كل من الصدر الاعظم مع اعضاء مجلس التدورى في غرفة الديوان الجديدة والمفتي مع هيئة العلماء في غرفة الديوان القديمة . وبعد ان يتم كل شيء يقبل السلطان متكئا على ^{كتفي} رئيسي الخصيان السود والبيض يتبعه كل موظفي دائرته الذين يقفون وراء العرش . وحينما يجلس السلطان يتقدم نقب الاشراف اول الجميع فيقدم له الطاعة فيرفع يديه الى السماء ويطلب من الله ان يحفظ السلطان الجديد ويديم سعادته حكمه . (٢) وفي ^{نصف} الوقت يتقدم مشيرا البلاط تاركين مركبهما لاثنيين من رؤساء الحجاب نحو مكان الصدر كما يتقدم اثنان من قواد الحجاب نحو مكان العلماء . ويعرف قدومهم بصوت عصيهم الفضية الموزون التي يضررون بها الارض فيكون ذلك اشارة لاعضاء الديوان ولرجال النسر ليتسرفوا بين يدي السلطان . فتخرج الهيئتان كل على حدة يتبع كل منهما الموظفين الذين جاؤا لخبارهم . وعلى الصدر الاعظم ان يصل امام العرش في الوقت الذي ينتهي فيه نقب الاشراف دعاءه وبعد ان يقدم خضوعه وطاعته يتقدم المفتي ويدعو كما دعا نقب الاشراف . ثم ياتي امير البحر ومن بعده قاضيا العسكر . فيقفون كلهم عن يمين العرش . وعند ذاك يتقدم رجال الدين وهم الوحيدون الذين يتلو الصدر الاعظم اسماءهم على السلطان . ثم يتقدم وزراء الدولة وروساء الدوائر وروساء الحجاب

(١) هذا العرش المصنوع من الذهب الثقيل يزن ثمانية الاف مثقال كان قد صنع في القاهرة وقدمه

ابراهيم باشا حاكم مصر للسلطان مراد الثالث سنة ١٥٨٥ .

(٢) كان معلم السلطان فيما مضى اول من يقدم الطاعة للسلطان . ثم ياتي بعده امراء من التتريقيمون في

الاستانة كرهينة من قبل خانات القرم فيقدمون متكئا كل منهم على اثنيين من رؤساء الحجاب ويقبلون طرفكم قرب السلطان

رؤساء وقواد فرسان السباه والسلحدار (١) ، وانا الانكساريه مع اركان حريمه واخيرا رؤساء بقية فرق الجيش . اما رئيس التشريفات فيتقدم اخر الجميع ويعلن بركوعه نهاية الحفلة . وعلى هذا الموزن ان يسهر يدقة على فوانين الحفلات المتبعة . ان تقصيرا بهذا الصدد كاد يؤدى بحياة عاكف باي الذي كان يقوم باعباء هذه الوظيفة زمن السلطان محمود الاول . ففي حفلة تقديم الطاعة في عبدالاضى سنة ١٧٤٣ تقدم خطأ رؤساء وقواد فرقة الجبه جية قبل قواد الانكساريه لتقبيل ثوب السلطان . وخوفا من غضب الانكساريه وقبل ان يقوموا باي تظاهر امر السلطان محمود حالا بعد انتهاء الحفلة بقطع راس رئيس التشريفات امام مدخل السراي لكي تسير جياد قواد الجيش فوق جثته عند خروجهم . وكاد الامر يتم لولا تدخل الصدر الاعظم الذي خفف من غضب السلطان ومن غيظ الانكساريه ، حتى انه دفعهم لطلب العفو عن محمد باي الذي ابدل عنه حكم الاعدام بالنفي المؤبد الى جزيرة تنيدوس .

ان طريقة تقديم الطاعة للسلطان تختلف حسب رتبة ومركز حال الدولة . فالصدر الاعظم ينحني مرتين ويقبل قدمي السلطان الذي يبدى اشارة بيده كانه يمنعه من ذلك .

اما نقيب الاشراف والمفتي فانهما يقبلان ثوبه من ناحية الصدر فيضع السلطان يديه على اكفهما مع اخاء راسه قليلا بدلا من معانقتهما . ان كثيرين من السلاطين من يفعل اكثر من ذلك فيلمسون بشفاهم عمامة رئيس الشرع . ولا ينحني امير البحر والباشوات من ذوي الاطواغ الثلاثة سوى مرة واحدة ويقبلون طرف ثوب السلطان . ويقعد العلماء ^{عنده} ولكن بدون ان ينحنيوا الا انهم عندما يقترعون يرفع كل منهم يده اليمنى الى صدره . اما الباقون اى رؤساء الجيش والوزراء والقواد فينحنون ويقبلون طرف كم السلطان الذي يقدمه لهم رئيس الخصيان البيض الواقف عن شمال العرش . وشهض السلطان قليلا لنقيب الاشراف وللصدر الاعظم والمفتي وللباشوات والعلماء الذين هم من الرتب الثلاثة الاولى .

وينحني عند مجي السلطان ووقت ذهابه جميع الحاضرين امام العرش عد العلماء وترتفع في الفضل اصوات الحجاب هائجة بحبانه (٢) وعندما يتران للسلطان المجلس يحيي الحضر بوضع يده على صدره وباحنا

(١) في هذه المناسبة فقط وفي العيدين يتقدمون على اغا الانكساريه بسبب اقدمية فرقته .

(٢) وتتلو الدوجي جاوش هذا الدعاء بصوت مرتفع " اللهم احفظ ايام مولانا السلطان " فيعيد كل الحجاب

رأسه قليلا . ويتكى حتى باب السعادة على رئيس الخييان البيض وعلى الصدر الاعظم الذي يقبل مرة اخرى قدمي السلطان ويقف بعد ان يرجع اربع خطوات الى الوراء ليقدّم مع ~~كل~~ المجلس ~~اخر~~ ^{بأمره} تحية للسلطان وذلك بالانحناء له .

وهذا الاحتفال ينصر عليه الدين نفسه تحت اسم البيعة . وعندما تقبل السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية في مثل هذه المناسبة طاعة كبار رجال دولته الذين كانوا واضعين احدى ركبهم على الارض قدم لكل منهم انا من اللبن . الا ان خلفاء عثمان وهم اسباط امبراطورية واسعة تخلوا عن هذه العادة القديمة التي كانت لقبائل الترك والتر الرحل .

ويستع حفلة المباينة هذه وفي اليوم نفسه جنازة خلفه وذلك طبقا للشرع الذي يامر بسرعة دفن الموتى ^{كذلك} فان مختلف شخصيات الدولة لا يتركون السرلى وذلك كي يقدموا اخر احتراماتهم نحو السلطان الراحل . وزالت عادة الحزن على الفقيد التي كانت تدوم في القصر فيصامض مدة ثلاثة ايام . وكان يرتدى رجال القصر ملابس قاتمة اللون او سوداء وينضعون على طرف العمامة الايمن ^{فما} قلمية سوداء . وهذه العملية وهي على كل حال غير متبعة لدى الشعوب الاسلامية تلاشت بعد نكبة السلطان عثمان الثاني وزالت رسميا بعد نكبة السلطان ابراهيم الاول .

وينقل الخييان السود يتقدمهم رؤسائهم جثة السلطان المتوفي حتى الباب المعروف بباب " حرم قبوسي " حيث يحطه الحرس الى خيمة نصبت تحت الرواق المجاور . ويتقدم الى هذا المكان ثلاثة من كبار قواد الانكشارية وهم : ^{الدفا} ~~الها~~ والسيما ^{بائشي} والقول كخية كي يفحصوا الجثة ويتأكدوا خلوها من الحياة (٩٠) وهي عادة عمل بها بعد التعدي على حياة السلطان ابراهيم الاول . ثم يتقدم ورائهم الصدر الاعظم والمفتي على راس اعضاء الديوان . وينسل اما ما القصر الميت بالصايون وينسليانه بالعنبر والعطور . ثم يوضع امام باب السعادة حيث يصلى عليه برئاسة المفتي ويحضر السلطان الصلاة حيث يكون امام باب غرفة العرش .

وبعد اتمام هذه الواجبات الدينية يحمل النعش ^{الفسوكين} وعليه عمامة محلاة بريشة سوداء .

معا دعاء . وهم يتلون هذا الدعاء نفسه كل مرة بركبة السلطان ^{فيها} جواده او عندما ينزل عنه . وهذه العادة كانت موجودة في بلاط قياصرة الروم وتسمى عندهم Polikhronissir

ومنطى بلعاش مصنوع في مكة كبت عليه ايات قرانية . ولكي يقدم الصدر الاعظم والمفتي وكبار وكبار الموظفين اخر احتراماتهم للسلطان الراحل يسبرون جانب النعش حيث يضع كل منهم يده عليه حتى يصلوا الى باب القصر الثاني حيث يركبون جيادهم . وكان السلطان الجديد فيما مضى يفعل مثلهم نحو الفقيد .

وعدا رؤساء الخصيان السود لا يخرج اى شخص من حاشية السلطان في المأتم الذى يكون فيه رؤساء الحجاب وكبار الموظفين المدنيين والعسكريين والعلماء وامير البحر ووزراء وامناء سر الدولة يتقدمون الصدر الاعظم والمفتي ثم ياتي بعدهما رئيس الخصيان السود على راس مؤنثي السراى وشيوخ جميع المساجد الهمينية وهم يسبحون باصوات حزينة . ويحيط بالنعش كما يعشى ورائه جميع افراد رجال الحرس السلطاني الذين يتداولون في حمله بايديهم وهي ممدودة الى الاعلى ويحشى امام النعش اليازجي افندى (هو كاتب فرقة الانكسارية) مع الشيخ المشرف على المسجد الذى عين ان تدفن فيه حشة السلطان وهما يحملان مبخرة من الذهب تفوح منها رائحة خشب العنبر . وحيث وفي مدة ذلك ينثر محاسب الخصيان السود نقودا فضية على الناس .

وحين وصولهم الى الجامع يترجل الموظفون المرافقون للجنائز ويقفون صفين ليحيوا ويحشد ~~محيط~~ الصدر الاعظم والمفتي اللذين يترجلان عن جواديهما امام باب الجامع ومن ثم يرجعان ماشيين حتى النعش يرافقهما امير البحر ورؤساء الخصيان السود .

ويسبق عملية الدفن صلاة قصيرة يتلوها المفتي ونقيب الاشراف كما يتلوان دعاء التلقين . وعند انتهاء المأتم (١) يدخل الصدر الاعظم قصره ليأخذ حقله تنصيب موظفي الدولة الذين يشبثهم في مراكزهم وذلك بان يخلع عليهم الخلع السنية ولا يقبل في المجلس غير كبار الشخصيات امثال المفتي وامير البحر وقاضي العسكر وقاضي الاستانة ونقيب الاشراف . ويوضع امام قاضي القضاة فروة من حلد السمور مغطاة بالحريز وتقدم لرحاله مع جواد مجهز . ويعطى لاميير البحر وقت ذهابه فروة مثلها كما يعطى للقضاة الاربعة تبعاً لمراتبهم . وبعد ذهابهم يدخل الصدر الاعظم الديوان ~~بلافة~~ يرافقه موظفو دائرته . ويجلس هناك على سدة عالية فيقدم له الوزراء والقواد وغيرهم من الموظفين بشبابهم الرسمية احتراماتهم كل بدوره حسب لائحة تكون اذ ذاك مع رئيس التشريعات . وهذا ما يسمى بحفلة التنصيب العامة (عموم خلعت) .

(١) في مأتم مراد الرابع سنة ١٦٤٠ كان ~~يخلع~~ امام التابوت جيناد ثلاثة ~~المرحوم~~ السلطان المتوفي في غزواته الى بلاد العجم . وقد ~~وضعت~~ ~~عكس~~ اتجاهها كما كانوا يفعلون في جنازة ملوان الفرس اتباع ازردشت

وفي صباح اليوم التالي يتقبل السلطان الجدي بدقمة من الصدر الاعظم مؤلفة من خمسين طبقا عليها صحاف من البلور الصيني ملوثة فاكمة ومن زجاجات من الكريستال فيها ورود . وفي منتصف النهار يقدم السلطان للصدر الاعظم اول رسالة من يده وتسمى "خطي شريف" ويجتمع كل اعضاء المجلس الاعلى عدا العلماء في مجلس الصدر الاعظم ليكونوا حاضرين عند استلام هذه الرسالة . ولدا يصل حامل الرسالة يدخله رئيس التشرفات فبدخل رافعا يده فوق راسه وبها الرسالة السلطانية ضمن شديلا حريري شفاف مختوم . عندها يقف كل من بالمجلس ويتقدم الصدر الاعظم حتى منتصف القاعة يتناول الرسالة ويقبلها ويضعها على جبينه ثم يفضها ويعطيها للرئيس القدي الذي يقرأها بصوت عال . وفيها تثبت الصدر الاعظم في منصبه مع ذكر صلاحياته وطلب القيام بواجباته بمهارة واخلاص وتتضمن عطف السلطان الدائم عليه . ويخرج الصدر الاعظم فروة من جلد السور على رسول السلطان الذي يقبل ثوبه وينتقل الى غرفة ثانية . عندئذ يخرج كل الحف ويرعدان يقدموا تهانيهم للصدر الاعظم . الذي يقدم بعد برعة وحيزة جوابه لرسول السلطان ويكون فحواه كما هي العادة في ذلك اظهار المقدرة والاخلاص والدعاء بطول بقاء السلطان . ويتناول رسول السراى قبل ذهابه ثوبا (ققطانا) ثيبا مع اربع او خمس مئة ذهب (دوقه) .

ان اول عمل يلتفت اليه السلطان الجديد هو امر وضع شعاره الذي يحوى ايضا اسم ابيه . فقرأ مثلا في شعار السلطان الحاكم الان : " السلطان سليم خان ابن السلطان مصطفى خان المنصورين على الدوام " فيصنع الصدر الاعظم اشكالا مختلفة ويرسلها للسلطان لينتقي منها ما اعجبه . وكل الاعمال او الرسائل الصادرة عن العرش تخدم بالظرف او الطغراء . وهي ترى ايضا مرسومة بالحبر على اختلاف الوانه وغالبا بما الذهب داخل الابنية العامة وعلى المراكب الحربية وعلى بيوت موظفي الدولة كما هو الحال في اوربا فندما يعرضون صورة الملك او صورة اسلحته .

وتطبع هذه الطغراء على النقود وعلى اربعة خواتم يحتفظ السلطان بواحد منها وتكون مربعة الشكل . ويعطى الخواتم الثلاثة الباقية وهي دائرية الشكل للصدر الاعظم ولقهرمادة الحريم و"للخاضعة باشي" وهو خصي ابيض اللون كان فيما مضى اول موظف لغرفة السلطان .

ويجوز بابية تسليم الخاتم الامبراطوري للصدر الاعظم في اليوم التالي من تاييده في مركبه اى بعد ان يتسلم " الخطي شريف " فيذهب الى السراى يرافقه المفتي ووزراء وانشاء سر الدولة فبدخل هو والمفتي غرفة العرش حيث يتسلم من يد السلطان الخاتم الامبراطوري فيقبله باحترام راجيا لمولاه

المز والسعادة . ويكون الخاتم بمثابة شهادة بثقة السلطان فيه وإشارة منه بتحويل وزيره القيام بأعباء
وظائفه . وهي عادة قديمة في الشرق والى التاريخ يرجع أصلها الى لاطس *Lathis* (فرعون الثامن) ~~الذي~~
وعو اول من وضع شعاره بين يدي وزيره المدعو لاحوق *Lahouc* وقلده من بعده خلفاؤه ملوك
مصر الذين قلدهم ايضا الخلفاء وغيرهم من ملوك المسلمين . ويحمل الصدر الاعظم هذا الخاتم معه
معلق بسلسلة من الذئب ضمن كمين صغير وعولا يستعمله الا في ختم البيانات التي يرسلها للسلطان .
وبعد انتهاء المجلس تقدم له فروة من حلد السمور مضطاة بالحرير الابيض حيث يقدم له عايبها خلعة
من ~~الرجوع~~ مذهب . ويُمنح للمفتي ثوب من جوخ ابيض محلى بجلد السمور . كما يُمنح لكل منهما ~~بجوك~~
حواد مجهز بافخر عدة ثم يرجع الصدر الاعظم الى قصره وعو عن يمين رئيس الشرع يرافقه ال *Peiks*
والسولك رجال حرس السلطان . وتتبعه موسيقى السراي التي تنضم الى موسيقى قصره فيدوى منهما
في الفضاء انغام عالية . بينما تظل تمنح الخلع على الوزراء وموظفي السراي . وسحرى مثل هذا
الاحتفال ~~تسلي~~ تولية صدر اعظم جديد .

وكان سلاطين ال عثمان حتى زمن عبد الحميد عندما يستولون على الملك يقدمون الاعطيات لافراد الجيش ~~التي~~ وتسمى منحة عيد الجلوس . وكان بايزيد الثاني ~~حرا~~ اول من فعل ذلك سنة ١٤٨١ وذلك كي يخفف من غضب الانكساريه الذين ثاروا عند موت ابيه السلطان محمد الثاني . فاخذ كل جندي من الانكساريه في يادى الامر الفين ثم ثلاثة الاف بارة او خمسة وعشرين غرشا واخذ القدماء منهم نصف هذا المبلغ . اما عسكر ~~سائر~~ الفرق من مشاة وفرسان فقد اخذ كل فرد منهم الف بارة . ان هذه الاعطيات التي كان يرتفع عددها الى مليوني قرش كانت توزع في السراى امام كل اعضاء الديوان ~~بجنى~~ بالاحتفالات والاصول ~~التي~~ ^{التي} ~~تجرأ~~ ^{التي} صرف الرواتب للعسكر . وكثيرون من السلاطين وبصورة خاصة سليم الثاني ^{فقد} اراد اعفاء السلطنة من هذه الفريضة المخزية بقدر ما هي باهظة . وكان يقول الجنود في سفاهتهم " ان على امراء ال عثمان عندما يتسمنون العرش ان يمشوا تحت سيوف العساكر " وكان السلطان عبد الحميد اول من قضى على مثل هذه العادة وذلك بفضل مناسبات حصلت له . وذلك انه لما تسلم الملك عام ١٧٧٤ كلمت عساكره غير موفقة في حرب ضد الروس وكانت الخويزة ايضا فارغة وقد سار خلفاؤه من بعده على هذا النوال . وكان على الامراء قبل هذه المدة لما يخلفون سلطانا مخلوعا ان يزيدها في راتب الجندي بارة او ارباريتين . وكانت العادة ايضا تقضي في ان يقدم السلطان الجديد الهدايا لكبار الموظفين . وكان المصدر الاعظم يحصل عادة على ٢٥٠٠ قرش واغا الانكسارية

علی ۸۳۳ والفتی علی ۲۵۰ / مروتیہ کل حسب رتبہ .

ويتقلد السلطان السيف الامبراطورى في اليوم الخامس من تسلمه الملك وهو احتفال يسمى " تقليد السيف " . واول من فعل ذلك السلطان محمد الثاني بعد الاكتشاف المعتقد انه خارق للعادة لقبر ابي ايوب المعتبر انه ^{مسيحي} كبير . وقد قلده بذلك خلفائه واصبحت عادة يحتفل بها بابادة .

ومنذ مطلع الفجر تجتمع كل هيئات الدولة في ساحة القصر الاولى لتؤلف موكب السلطان . ويبدأ موظفو الدولة الصير امام الصدر الاعظم والمفتي ثم تاتي وراءه عذرين الاخيرين حاشية السلطان التي يتقدمها اثنان وثلاثون من الحجاب غير مشطية عليها البرادع الجميلة وعلى اثني عشر منها التروس المحلاة بالذهب والحجارة الكريمة . ان جمال هذه الخيول وجمال ثياب الموظفين الثمينة وعلى الاخص ثياب رئيس الحجاب واثاقه زى رجال الحرس وبهاء اجهزة كل المطايا التي يركبها كبار رجال الدولة ان هذه كلها تؤلف منظرا خلابا يتفق والفكرة التي لدى الناس عن الابهة الشرقية . ويرى في هذا الموكب موظفان يحمل كل منهما بيده عمامة للسلطان مزينة باوسمة ثمينة يعيل بها كل منها بتتابع نحو الجمهور الذي يرد على هذه التحية باحترام عظيم . وهذان خادمان ثالث يحمل مفعدا مزركعا ومحلّى بهذائح الفضة يطأه السلطان بقدميه لما يعتطي صدقة جواده وعندما يشرجل عنه . وخادمان رابع يحمل ابريقا معلقا في ظرف عصا وهو محلّى بالجواهر وفيه ماء لاستعمال السلطان .

وهسير هذا الموكب بصمت مهيب بين صفين عظيمين من جنود الانكشارية . والتهتاف للسلطان
غير مسموح . انما يسمع احيانا صوت النداء " ماشاء الله " . ولا يحيى السلطان غير
الجنود الذين يؤلفون الصفين فيضع يده اليمنى على صدره ويميل قليلا براسه او الاخرى بعينه
الى اليمين والى اليسار . ان سلام الانكشارية يسترعى الانتباه فانهم يميلون راسهم على اكتافهم كأنهم
يعرضونها لسيف السلطان (١) وينثر وكيل مال السلطان ووكيل رئيس الخصيان السود نقودا فضية
على الناس (٢) .

(١) ان كلمة سلام لان التي يسمى بها موكب السلطان مشتقة من هذا السلام

(٢) وكان كثير من السلاطين وعلى الأخص سليمان الأول يشعرون الدراهم على الناس في مناسبات شبيهة بهذا ، عندما يذهبون إلى الحرب أو ~~عندما~~ يعمرون بمدينة ما .

ولما يمر السلطان امام ثكنات الانكسارية القديمة يقف برهة ليتناول كأس الشراب الذي يقدمه الرئيس الثاني (اوضه باشي) للفرقة الواحدة والستين للسلحدار اغا الذي بدوره يقدمه للسلطان فيشرب منه . وعندما يرجع السلحدار اغا الكأس يضع فيه قبضتين او ثلاثة من النقود الذهبية . ثم يقدم قائد من الانكسارية اقل رتبة من الاول كأسا من الشراب للرئيس الخصيان السود . وبعد برهة يذبح الاوضه باشي ثلاث خراف وهو يدعو بان يحفظ الله السلطان .

ولما يصل السلطان امام المسجد الذي بناه محمد الثاني يترجل عن حواده ويزور ضريح هذا الاخير ويقدم بكل ورع احتراماته لذكرى فاتح القسطنطينية وباني عظمة احتفال هذا اليوم . ويتألف قرب مسجد ايوب حاجز من رجال حاشيته يترجلون ليحسوا السلطان الذي يجتاز صحن المسجد مستندا على الصدر الاعظم واغا الانكسارية . ويكون قد تقدمه مشير البلاط وشيخ مسجد ايوب يحمل كل منهما مبخرة من الذهب تصعد منها رائحة عود اللند . ويدخل الجميع المسجد حيث يتقدم المفتي ونقيب الاشراف بعد الصلاة ويقلدان الملائكة السيف السلطاني بحضور الصدر الاعظم ورئيس الانكسارية والسلحدار اغا . وفي نفس الوقت ^{الحال} يذبح خمسون راسا من الخرفان تحت حيطان المسجد الخارجية وفي اليوم التاسع من جلوس السلطان على العرش ياتي رسول من السراى وهو " الركاب دار اغا " يحمل للصدر الاعظم رسالة ثانية من السلطان بنفسه بمعنى الاولى مع فروة من جلد السمور وخنجر ومدة مرصعين بالحجارة الكريمة . فيتقدم الرسول ولبس الفروة ويضع في وسطه الخنجر وللمدية امام هتاف جماعة من الجواشي " فيقف الصدر الاعظم ويغض الرسالة السلطانية فيقبلها ويضعها على جبينه ثم يقرؤها الرئيس اقدى ويامره الصدر الاعظم بالجواب عليها . في هذه المدة يمنح لكل واحد من العشرين شخصا الذين يرافقون الرسول خلعة وخمس مئة غرش . ثم يرجع الرئيس اقدى حاملا الجواب داخل منديل حريري فيتناوله الصدر الاعظم ويقف ويختمه بالخاتم السلطاني الذي يحمله ويقدم الرسالة لرسول السلطان مع الف ذعب (تور دوقه) . ويقدم له ايضا جواهدا مجهزا بافخر عدة يمتطيها وهو راجع الى السراى .

ومن العادة ايضا ان يذهب السلطان في الاسابيع الاولى من حكمه ليتناول الغذاء عند الصدر الاعظم . ولا تسمح الاصول ان يتقبل السلطان ايا كان على مائدة ضعامة وهو عند وزيره ثم فيتناول الطعام وحده ويخدمه بعض رجاله حتى ان الصدر الاعظم نفسه لا يكون معه ولا يقابله الا برهة

وجيزة قبل وبعد الطعام . ان ينسحب ويظل مدة هذه الزيارة في غرفة احد وزراء الدولة الذين يشتغلون بالباب العالي . وهذه الزيارة تكلفه مئة الف غرش تقريبا كهدايا يقدمها للسلطان وللرجال حاشيته .

هذه هي اهم الاحتفالات التي تحصل في عيد جلوس السلطان العثماني على العرش . ولا يظهر السلطان بابهة فدية الا في الاعياد الدينية كميدى الفطر والاضحى وعيد المولد النبوى . وسنذكر بايجاز ما يجرى من الطقوس في مثل هذه الاعياد . في منتصف ليل اليوم الذى يسبق عيد الفطر يرتدى السلطان الثياب والزينة السلطانية بعد ان يصلي طويلا في مسجد السراى ثم يخرج ليتقبل مباركة اهم موظفي حاشيته . ثم ينتقل الى غرفة العرش . وقبل بزوغ الشمس بساعتين تجتمع كل هيئات الدولة في ساحات القصر حيث يتخذ كل منها المكان المخصص لها . وعند الصباح يصلون جميعا صلاة الفجر برئاسة امام جامع اياصوفيا . وبعد هذا يجلس الصدر الاعظم في غرفة الديوان حيث يتقبل معايدة وتهانى كل الهيئات عدا هيئة العلماء ثم يذهب مختلف الموظفين الملكيين والعسكريين ويصطفون حسب الترتيب المعين من قبل في ساحة القصر الثانية مقدمون تهنيتهم وطلعتهم للسلطان الذى يكون جالسا على عرشه امام باب السعادة اى كما يحصل يوم عيد الجلوس بخلاف ملكه واحد وعوان الاحتفال بهذا العيد يجرى على انغام الموسيقى العسكرية . وهذا ما يسمى بالمعايدة او التهانى بالعيد .

ثم ينزل السلطان عن عرشه ليذهب بابهة فخمة الى احد الجوامع السلطانية وهو ينتخب عادة مسجد السلطان احمد لاساع ساحة الميدان التي بقربها تكبر لتسع جياد موكبها العديدة . ثم يجرى كل شيء كما جرى وقت حفلة تقليد السيف للسلطان انما هنا لا يحضر اى شخص من هيئة العلماء . وبعد سبعين يوما من هذا العيد يجرى الاحتفال بعيد الاضحى ~~ويختص بالطقوس~~ ^{نفرا} وبعد ان يرجع السلطان من المسجد يقوم بالعمل الدينى المفروض على كل مسلم في مثل هذا اليوم وذلك ان السلطان بعد ان يجلس في خيمة نصبت له يتقدم الخيستان البيض يجرون عشرين خراف مزينة رؤوسها بذهب وبريش محلى بالحجارة الكريمة وبينما يقبض السلحدار لثا على الاضحية يقدم الجوخذار لثا للسلطان ضيقا من الفضة عليه اربعة سواطير ملفوفة مقابضها بالحديد . فيذبح السلطان بيده اثنين من الخراف او ثلاثة . فيسلخ الاول ويؤخذ منه كليته فتشوى ويأكلها السلطان وهو يتلو الادعية . اما بقية

الخراف مع عشرين غيرها فتذبح في اليومين التاليين من قبل رجال احد حاشية السلطان وباسم السلطان لتكون له بركة هذا العمل الديني ^{والذي يسمح لاي كان من موظفي حاشية السلطان القيام} ^{وتنوع لحم الكاياك كبنزله لتفود} باى تضحية داخل السراى .

ويكون الاحتفال بعيد المولد النبوى اقل ابهة ^{وموكب} موكب السلطان لطيفه للمسجد يؤلف الا من رجال حاشيته اما كبار موظفي البلاط فيذهبون متفرقين .

وفي ايام الجمعة يذهب السلطان الى احد جوامع العاصمة ليؤدي فريضة صلاة الجمعة . وكان يرافقه فيما مضى كبار شخصيات الدولة كما هي الحال في عيدي الفطر والاضحى . وقد اعلنت هذه العادة بعد حكم السلطان ابراهيم الاول . ولا يتالف موكبه الان الا من رجال حاشيته . ويصطف جنود الانكشارية على جانبي الطرق التي سيمر بها السلطان . ويومئذ يوجهه الى الجامع يستقبله رئيس الانكشارية وشيخ الجامع ويبديهما مبخرتان من الذعوب تفوح منهما رائحة عود الورد . ثم يتقدم اغا الانكشارية من السلطان ويخلعه . نعليه امام مدخل الجامع ويمنحه السلطان في اول مرة يقوم بهذا العمل خنجرا مرصعا بالحجارة الكريمة ، فيطلع السلطان الى المرتبة المعدة له متكئا على اغا الانكشارية والسلحدار اغا . ويضع شيخ الجامع قرب المرتبة اثني عشر طبقا عليها الورود والفواكه يرسلها السلطان لنسائه وللسلطانات . ومن العادة ان يوجه السلطان حينئذ بعض العبارات لاغا الانكشارية . ولما يخرج السلطان من المسجد يتقدم هذا الاخير ويلبسه نعليه ويسير امام جواده بجانب شيخ الجامع وكل منهما يحمل مبخرة الى ان يوفرا بالوقوف . ويقبل اغا الانكشارية ثوب رئيس الخصيان السود لما يمر بقرمه متبعا السلطان . ثم يذهب الى الصدر الاعظم ويقدم له احترامه واذا اراد ان يحتفظ بشقة الوزير فيه عليه ان يطلعه على ما قاله له السلطان في الجامع ويوجد ايضا احتفالان دينيان يحتفل بهما سنويا داخل السراى الاول بمناسبة ارسال ~~السلطان~~ السلطان المال ل مكة والمدينة والثاني بباركة المياه وذلك بوضع احد اطراف بردة النبي فيها . ولا يظهر السلطان امام جميع رجال بلاطه وامام رجال الدولة الا في ايام الاحتفال بهذه الاعياد وكان فيما مضى يحضر مجلس الوزراء ويتكلم معهم ويقبلهم على مائدته ايضا في بعض المناسبات . الا انه منذ زمن سليم الثاني وهو اول سلطان عثماني انزوى داخل قصره فان جميع السلاطين عاشوا في عزلة هادئة لا يمكن الاتصال بهم زيادة في العظمة . وهذه العزلة ادت لزيادة نفوذ الصدر الاعظم الذي اصبح هو بطبيعة الحال كان يتمتع

يتمتع بسلطة واسعة، الموظف الوحيد الذي يمكنه مقابلة السلطان .

ومع هذا فان الصدر الاعظم نفسه لا يمكنه المشول بين يدي السلطان ان اراد ان يقدم له احتراماته او ان يباحثه بامور الدولة الا باذن رسمي منه . وقبوله له يسمى "ركاب" وهي تسمية تذكرنا بالزمن الذي كان فيه السلاطين يحضون قسما من حياتهم على صهوات الجباد . وهذه العبارة "الركاب السلطاني" تقابل عبارة "اعتاب العرش" حيث لا يستعمل الوزراء غيرها في معاملاتهم واليهود والنداس في عيادتهم لدى مخاطبتهم السلطان . ويقبل الصدر الاعظم للمشول في "ركاب" السلطان اي في حضرته في بعض الايام مثل اول راس السنة ويومي عيدي الفصح والاضحى وعند ذهاب السلطان الى مقره الصيفي وعند رجوعه الى السراي الخ . . . وهذا ما يسمونه "بالركاب العادي" اي التقاء المقابلات العادية ، ومع ذلك فان الصدر الاعظم لا يقابله الا بالمر سلطاني حيث يرافقه المفتي الذي يأخذه الى دائرته ويتقدمهما الوزراء وموظفو الباب العالي ثم يذهبان الى السراي ويترجلان عن جواديهما امام ساحة القصر الثانية التي يجتازانها ماشيين . ويتقدمهما امام باب السعادة رئيس الخصيان السود وحامل السيف اللذان يتبعهما رؤساء القسم الداخلي وكبار الخصيان . فيدخلان غرفة المجلس متكئين على اثنتين من هولاة الرجال . فينحني الصدر الاعظم ثلاث مرات امام السلطان ويركع ليقبل قدميه الا ان السلطان يمنعه بوضع ثوبه عليهما . وعندما يقترب المفتي منه ليقبل ثوبه ناحية الصدر يناوله السلطان راحة يده . وهذا التمييز مخصص لرئيس الشرع فقط . ثم باشارة منه يتقدم نائباه ويحلان على سجادتين صغيرتين . واذا لم يجرب بحث في اعمال الدولة فالجلسة لاتدوم سوى بضع دقائق . وينح السلطان للمفتي لقب خوجة او "ملا" وللصدر الاعظم لقب "لالا" او باشا او لقب اب اذا كان الوزير متقدما في السن .

وان كان هناك اعمال هامة تدفع السلطان لمباحثة وزيره فانه يدعو لجلسة استثنائية تتم بحضور بالطقوس التي اوردناها . وبما ان مثل هذه الدعوة تجلب انتباه الجمهور وتترك الافكار مرتبكة فالسلطان يفضل دعوة وزيره خفية . ومهما كانت الثقة التي يتمتع بها الصدر الاعظم كبيرة فهو لا يذهب لحضور مثل هذه الجلسة بدون ان يخامره القلق لان الوزراء مثله يدعون الى السراي ايضا ليتسلموا خبر تنفيذهم او ليعدموا .

وفي ايام انعقاد الديوان فقط يتقبل السلطان في حضرته اربعة من رجال الدولة عدا الصدر

الاعظم وهم ، امير البحر ، وقاضيا العسكر واعمال الانكسارية . ولا يقابل رئيس بيت المال الا في الايام التي تصرف فيها الرواتب للعسكر اي ثلاث مرات في السنة و عدا هؤلاء لا يمكن ~~لهم~~ لاى موظف ^{ان} يصل الى السلطان .

اما تقارير الدوائر فكلها ترسل للصدر الاعظم الذى وحده يطلع السلطان على مجرى الحوادث بمذكرات تسمى حسب نوعها تقارير او تلخيصات . فالاولى تبحث في الاعمال الجارية ان يعرض فيها الوزير الامور ويبين رايه فيها ويطلب الاوامر النهائية من السلطان . فاذا عُرِض هذا الامر على بساط البحث في المجلس فانه يطلع السلطان على النتيجة . اما التلخيصات فانها تبحث في امور قد سويت قبلا بواسطة الشرع او القوانين او العادة . انما يتطلب في تحقيقها موافقة السلطان عليها ولا يكون في هذه التلخيصات غالبا سوى مجرد الرأي .

ويطلق اسم تلخيص ايضا على رسائل التهاني او التعازي التي يقدمها الصدر الاعظم للسلطان في بعض المناسبات التي تقضي بداعادات البلاط . ويكون اشداؤها فخماً جداً مليئاً بالاستعارات والامثال والاقوال والحكم . وتبدأ الرسالة بهذه النعوت : للسلطان العظيم الجلال والكبر الرحمة الرقيب الكبير القوى سيد نعمتي وولي امري وسيدى . وفي نص الرسالة بنعت الصدر الاعظم السلطان بنظر الله في ارضه وخليفة النبي وسيد العالم الخ . . . وان كان هناك حادث سعيد فانه ينسبه للمصطفى الحسن طالع السلطان ، وان كانت شكاوى من مصيبة ما فانه يحزونها لاحكام القدر وينظر اليها كعقاب من السماء استحقته الامة بخطاياها وكانذار لها لتنهض من سباتها الاثيم ولتدفع بحمية اكبر لتحقيق التحالف الاسلامي .

ويشار ايضا بكلمة تلخيص التقارير التي يبعثها المفتي ووزراء المالية للصدر الاعظم عن الاعمال الجارية . وتكون تقارير المفتي داخل اكياس من الحرير الاخضر وهي وحدها التي يحق للصدر الاعظم الاطلاع عليها ^{الطالعة} وتكون مرفوقة بتقاريره ^{المنهضة} ~~مرفوقة~~ موضوعة في اكياس من الحرير الابيض ويصدر السلطان اوامره طبق بيان الصدر الاعظم وذلك برسالات خاصة تسمى " خط شريف " ويطلق عند الاسم على كل رسالات السلطان . وكما ذكرنا بانه لا يوضع توقيعهم قط عليها ان يقوم خاتمه واول حرف من اسمه مقام توقيعهم . فالبراهات والاوامر تختلف عن بقية رسائل السلطان بان يكتب السلطان بيده في اعلاها ، *Aludjibindje amél Olama*

اي فليعمل كما هو مأمور . اما اذا كانت الرسالة امر تعيين فانه يكتب عوضا عن كلمة *amiel* كلمة "توجيه" .

ويمكن الاعتقاد بان القدرة في تقديم العرائض للسلطان كما يظهر للجمهور هي عملية سهلة يتمكن بها الناس من تقديم شكاويهم للسلطان ضد المصدر الاعظم ^{وسلطان} موظفي الدولة . ولكن عدا انه لا يحق لاي شخص تقديم مثل هذه العرائض فلها فاذا ولا بد قدمها اصحابها تؤخذ شكلا فقط . ويرسلها السلطان عادة للمصدر الاعظم مع الامر بفحصها واجراء العدل . وانه من السهل على اصحاب الشكاوى ضد المصدر الاعظم او ضد مروضيه ان يعرفوا مقدما عاقبة عملهم . وكان المتظلمون فيما مضى يحملون بيد عرضتهم وباليدين الثانية حصيد ينبعث منه الدخان ، فوق رؤسهم ليثيروا بانهم ضحية الجور . الا ان الحكومة تحتاط الان في ان لا يقع نظر السلطان على مثل هذا المنظر .

وسنحاول الان الفاء نظرة على حياة السلطان الخاصة وقد عرفناه وهو داخل حرمه ولكه ^{نهر} لا يترك مكان لذاته هذا الذي يدخل مكانا لا يقترب منه الا عدد ضئيل من موظفيه . وهو جناح مؤلف من عدة غرف تتصل بالحرم من ناحية وبمكان "الخامر ماينجي اوضه" من ناحية ثانية . والذين يقومون على خدمة هذا المكان المسمى "مايين" هم (رؤساء الخصيان السود ورئيس الخصيان البيض ورئيس البكم واتعا عشر شخصا من موظفي الدائرة الاولى . وبعض الموظفين من الدوائر الثلاث الاخرى . وهم نسبة لاسم هذا المكان "مايين" فانهم يدعون "ماينجي" . اما بقية موظفي داخل القصر فانهم لا يخدمون في هذا المكان الا في ايام الاحتفالات .

عندئذ "فالسحدار لما" هو الذي يقدم القهوة للسلطان . والجوخذار اغا يقدم له الشراب في انية من الصين يحمليها على راحة يده ^{ومغطاة} بقطعة من الحرير ومزركمة بالذهب (١) وفي كل مرة يطلب السلطان فيها الشرب يهرع الخدم المصفون في اخر الغرفة والواضعين ايديهم على وسطهم كلهم دفعة واحدة وبسرعة ليحضروا له الوعاء من الغرفة المجاورة ثم يرجعون الى مراكزهم . وعندما ~~يصلون~~ ينتهي السلطان من الشرب ينحنون ويدهم اليمنى على الارض . وهو يتناول طعام الغداء في الاسعة الحادية عشرة . فيوضع امامه على طرف الاريكة مقعد صغير

(١) لهما مضي في تلك العاد التي كان يقيمها السلطان لعظماء رجال دولته الذين كانوا اذا ذاك يقبلون في حضرته على مائدة طعامه كل واحد وزراء الدولة هو الذي يقدم دائما هذا الوعاء للسلطان .

منسجى بالمخمل المطرز بالذهب يوضع عليه طبق من الفضة او الفضة المذهبة . ~~هنا~~ وهي مائدة السلطان ويضع عليها " الحوخدار اعاً " الالوان الواحد بعد الاخر في صحون من الصيني . ومن النادر استعمال الاواني الذهبية والفضية لانها مصنوعة شرعا (١) . ويقوم السلحدار اغا بقطع وتجزي . وتتييل الطعام للسلطان فتكون احدى ركبه على الارض وكم نوبه الابن مرفوعا فوق ساعده . بينما يكون " الركاب دار لعا " واقفا قرب الاريكة يروح بمروحة من الريش ليدفع الذباب . وتتابع بسرعة على المائدة خمسون او ستون صحفا وذلك خلال ثلاثة اربع الساعه ويكون اخر صحن او لون من الارزثم بعد ذلك يقدم له شراب حلوي يسمى " خشاب " معمول من عصير مختلف الفواكه . وتعزف الموسيقى طيلة وقت الطعام .

وكثيرا ما يصرف السلطان يومه في احد الاكشاك التي ~~تجمل~~ ^{ترتف} جنائن السراى او التي تقوم على خفاف البوسفور وبحر مرمرة وعددها كدها ثمانون تقريبا . واحتفظت حفلات السرور هذه باسمها القديم " بينيش " ومعناها "الركوب" بالثم من ان السلطان يرتاد هذه الامكة عابا عن طريق البحر .

عندها يرى الناظر مجموعة مؤلفة من عشرين قاربا مختلفة الحجم ولطيفة الشكل تتسابق على سطح المياه مدفوعة بحركة الجذافين الموزونة . ويسبق الموكب احد رجال الحرس ليعبد الناس ويكون مراؤه قارب ثان بسبعة ازواج من المجاذيف فيه "الدولبند لعا" يحمل يده عمه سلطانية يميل بها يمينا ويسارا كما يفعل على اليابسة لما يسير الموكب السلطاني . ثم ياتي السلاحدار الثاني ومشير البلاط كل منهما في قارب يسبقان اليختين السلطانيين (هندل) كل منهما بثلاثة عشر زوج مجذاف . تكون مقدمة اليخت الاول منحنية وتكون مقدمة الثاني على شكل منقار السنونو . وهال ستران السلطان القصر يركب الاول تحت مظلة قرمزية اللون محلاة باهداب ذهبية تعلوها كرات من الفضة المذهبة .

ويكون امامه الثلاثة الاولون من موظفي الدائرة يقبض البستنجي باشي على الدفة ويحتل رئيسا " الحوخدار " وسط اليخت ويكون الخاصكي لعا في المقدمة . ويكون في اليخت الثاني امام السراى وكثير من الموظفين ^{يحمل} واحد منهم في المقدمة يحمل ابريقا من الماء معلقا ^{فيهم}

(١) لما اراد بايزيد الثاني جلب اواني الطعام لمطبخه امر قبل ان يستعملها ان يطعم بها عدد كبير من الفقراء في ساحة القصر .

بطرف عصام . ويركب السلطان هذا اليخت في رجوعه من النزهة . ثم يأتي قارب باثني عشر زوج
مخفاف يقل رئيس الخصيان السود والخزندار اغام . اما بقية القوارب فتكون من ذوات السبعة المجاذين
الزرد ~~ويصطلحون~~ . ويجذف ~~في الكل~~ جماعة من البستنجيه عدا الستة الاخيرة التي يجذف فيها
اشخاص من المحكومين باشغال اللومان . ويكون منظرهم مناقضاً تماماً وفخامة الموكب .
فيذهب السلطان منذ الساعة العاشرة صباحاً الى القنطرة الذي اختاره لتمضية يومه فيه حيث
يظل فيه حتى غيباب الشمس . وتجرى في اثنا ذلك مناظر والاعاب مختلفة لتسلية . فيقابل احيانا
الشبان من خدمه وغلمايه في معركة بين بعضهم حاملاً كلا منهم بيده سوطاً من الجلد ينتهي
بكوة من الصوف "تومان" وحيثما اخرى يمتطون جياداً سريعة نشيطة فينقسمون الى فرقتين ويكون
على بعضهم مترامين برماح خشبية "الحريد" (١) ويقوم عدد من المصارعين "بهلوان" وعم عراة
حتى وسطهم وجسمهم مدعون بالزيت بحركات فيها قوة ومهارة . وبعد هذه التمارين تجرى سباقات
في الركض ^{الفردسية} والقفز العالي ثم يقوم مهرجون يوالثيون شبان برقعات شهوانية . وتعد
هذه الحفلات السارة منذ عهد السلطان احمد الثالث كل اثنين وخميس من ايام فصل الربيع .
وتقام حفلات مثل هذه في عيدي الفطر والاضحي وفي مناسبة الجلسة الفخمة التي يقامها
السلطان لاميير البحر عند زهابه مع الاسطول الى الجزر . وعند عودته منها . وتقام هذه الحفلة
في "بلي كمان" وهي دار واقعة قرب اول السراي . فياتي القبودان بالثا في قاربه المخصص
للحفلات فيستقبله مشيراً الككوك البلاط والبستنجي باثني على الرصيف ويقودانه الى دار رئيس
الخصيان السود حيث يجد عنده الصدر الاعظم والمفتي . وبعد ان يلبس كل من هولاء الثلاثة
جبة من حلد السمور يدخلون الى الكمان الذي يكون فيه السلطان فيكون جالسا على عرشه محاطا
برجال اشهر الخصيان السود وبموظفي الدائرة الاولى . اما بقية رجال البلاط وقسم من عسكريها

(١) فالمتمرنون منهم على رمي الجريد وعددهم مئتان تقريباً يسمون "جندى" وهم يوالفون فرقتين
ال ^{Baniadji} وال ^{Lakhanadji} يسيطر عليهما حامس شديد . ولدى الصدر الاعظم ثمانين جندياً
ولكل حاكم ولاية ايضاً عدد منهم . ورمي الجريد احب رياضة لدى الشبان . حتى ان كبار الشخصيات
ايضاً تتسلى باظهار مهارتها في هذه الاعاب التي تكون خطرة في غالب الاوقات . فان الصدر
الاعظم عزت محمد بالثا الذي مارسه سنة ١٧٩٩ لنجدة مصر لما دأبتها الجيوش الفرنسية كان
فاقداً احدى عينيه بضربة رمح .

حاشيته فانهم يصطفون على طول الحائط عن يمين وشمال دار النزعة . ثم يقف الى مسافة قريبة نائبوا مير البحر الثلاثة وهم : " القيود انا والبدرونا والريالا " كما يقف ايضا قواد سفن الاسطول . وكل واحد من هؤلاء بدمان يضع عليه رئيس التشريفات " ققطانا " اى خلعة) يتقدم بين اثنين من رجال السراى الى نقطة معينة قرب عمود الخرام فيقف هناك ثم ينحني امام السلطان وينسحب . ويكون المصدر الاعظم واقفا امام العرش بين المفتي والقبودان بالثلاث فيتلو على السلطان اسماء القواد عندما يمثلون بين يديه . وتطلق سفن الاسطول المزينة بالاعلام مدافعها تحية للسلطان .

وكثيرا ما يقوم السلطان متخفيا بنزهات في المدينة على صهوة جواده يرافقه بعض الخدم ويكونون متكرمين ايضا . فيسير اثنان امامه واثنان من على جانبي جواده وسير الباقي وراءه على مسافة قصيرة . وفي هذه التجولات التي يكون احيانا المقصد منها تفتيش الشرطة والتحقق من عدم الغش في الكهل والاوزان عند البائعين ومعرفة اسعار المأكولات واخذ المعلومات مباشرة عن كل شيء قد يحصل في ان يامر السلطان بتوقيفات واحكام بالموت تنفذ لوقتها . ان يتبع احد الجلادين دائما السلطان عن بعد . حتى انه في المرات الاولى التي يقوم بها سلطان جديد بمثل هذه التجولات لا يتاخر في اعطاء اوامره بقطع بعض الرؤوس ويكون ذلك غالبا عقابا لمخالفت بسيطة لكي يشتهر انه قاس فيرهب جانبه . لهذا فان وجود السلطان حتى ولو كان من ارق السلاطين جانبيا يلقي الرعب في قلوب الناس الذين يصادفهم في طريقه . ويقوم السلطان بواسطة هذه التجولات المتخفية بزيارات للسلطات المتزوجات وللصدر الاعظم وللمفتي وللقبودان باشا ولبعض العظماء الذين يعطف عليهم . ويتناول الطعام عندهم منفردا ~~لحمه~~ ويقوم على خدمته ابناء واقرباء من يكون عنده لانه كما ذكرنا لا يقبل على مائدته الا السلطانات .

ترتفع مدخولات السلطان المعينه والعيير المعينة الى عشرة او اثني عشر مليون قرش . وهي تاتي (١) من املاكه التي قسم منها يديره هو والقسم الآخر موزع اما سنويا او دائميا . (٢) من واردات البساتين والحدائق السلطانية الموهجرة تحت اشراف البستجي باشي بمبلغ ستة الف غرش تقريبا (٣) من احوار الاعابات والاحراج المقسمة الى سبع وعشرين اقليما يشرف عليها رئيس الحجاب وهي تدر سنويا خمسين الف غرش . (٤) من الضريبة على سواك الخيل وهي تحت ادارة رئيس الحجاب وقد يرتفع واردها الى (٢٩٠٠٠٠٠) غرش (٥) من مبلغ (٣٠٠٠٠٠٠) غرش تؤخذ من خراج

مصر .

وتألف واردات السلطان الغير المعينة اى البرائية :

(١) من واردات صك النقود . (٢) من واردات بيع المناصب العالية (٣) من الهدايا التي على كبار الدولة تقديمها للسلطان في اوقات كثيرة من السنة (٤) من حصته من واردات المناجم وغنائم الحرب والاشياء الملتقطة او التي شرع عليها . (٥) من الديارات التي يدفعها الموظفون الذين يكونون مهدين بالموت او النفي فيفدون انفسهم بدفع قسم من اموالهم . (٦) من استعفاء الاموال وهي تصيب كل من هو في خدمة الدولة .

كانت الدولة في زمن اول سلاطين ال عثمان لاتضبط سوى اموال ومشروعات من قام على الدولة وهذا موافق للقانون . الا ان هذه العملية كانت تتسع وتتداول مخالقات كل موظفي الدولة الذين توفوا وهم في الخدمة . وقد ابيحت عام ١٧٢٩ بفتوى اصدرها المفتي بهجت عبد الله ان ~~السلطان~~ اراد ان يجعل اعمال السلطان احمد الثالث الجائرة قانونية . وكان هذا السلطان بخيلا وزاد في بخله نضب بيت المال على اثر نكبات الدهر عليه . وقد استند المفتي في فتواه على المبدأ المعروف بهذا ~~عند~~ جميع المسلمين وهو ان كل موظف في الدولة هو عبد للسلطان ويجب ان يحتمل مع العبد الرق الذي يكون لشخصه وما دخره من الاموال لمولاه .

وهو بالنتيجة يعتبر السلطان الوريث الشرعي والعام لكل انسان يموت وهو في خدمة الدولة ولا يستثنى هذا القانون غير العلماء اى رجال الدين وجنود الانكساريه . حتى الامراء اى الاشراف

الذين ينتسبون لآل البيت لا يستثنون منه . وعلى هذا فبعد موت احد موظفي الدولة توضع الاختام على بيته بامر من الدفتردار . ثم يعلم الصدر الاعظم السلطان الذي لا يتاخر عن اخذ حقوقه الا اذا نظربعين الاعتبار طيلة مدة الموظف في خدمة الدولة واذا كان سلوكه لا يبار عليه . عدا هذا الحال وهي لاتحصل كثيرا يجب على العائلة لكي تحصل على بعض ارشها ان تكون لها حماية قوية . فتوضع قائمة باسماء كل مخالقات المتوفي التي تباع بالمزاد العلني في غرفة بيت المال في السراي . ويفقد دائنوه حقهم منه ~~الشرعي~~ ويعد اضعف كم من حق السلطان . او اذا توصلوا الى اخذ بعض ما يطلبونه بحق وهذا لا يكون الا بعد استعطافات وترجيات فان ما ينحويه لا ياخذونه كحق لهم ولما كمرحة من السلطان عليهم . اما في الولايات فان الحكام هم الذين يقومون بضبط الاموال التي يخلفها موظفو الدولة

ان ^{نفسه} حاكم الولاية عندما يموت او يغضب عليه فان خلفه هو المسؤول عن تقديم امواله للدولة .
فيضع القاضي الاخطام على متروكاته ثم يحضر مفتشون بسرعة من العاصمة لاستلام ممتلكاته
فيبيعونها بالمزاد العلني ويضعون الاموال في صناديق مال السلطان ٢
ومنذ عهد السلطان محمود الاول ذهبت الدولة حتى الى الاستيلاء على قسم من متروكات الاهالي
سواء اكلوا سلبين ام ذميين من الذين يتركون ثروة تفرض ادها اعظم بكثير مما تدل عليها حالتهم
فالسلطان اذاً يباشر سلطته الامارية بصورة خاصة على ارواح و اموال موظفي الدولة
وذلك بمقتضى صفته الحاكم الاعلى يحق له انزال العقوبات او ائمه يحاكم بنفسه عمال دولته .
اما فيما عدا ذلك فان الشرع يوجد من ارادته كما تحد منها العادات وتعضبات الامة . لان الشرع
الذى لا يمكن ان يحرى ^{نفسه} ~~تحت~~ ^{تحت} ~~نفسه~~ ^{نفسه} القوانين العامة للإدارة الحكومية . ولكن الشرع يترك
وهذا ^{لصاحب} ~~لصاحب~~ ^{لصاحب} السلطان امر تعديل هذه القوانين نوعاً ما وحسب المناسبات وهو مقتضى هذه
الخاصية بسن القوانين والانظمة . اما المسائل التي لم يرد ذكرها في القوانين والانظمة فانه
يقرر بشأنها حسب العادة او العرف (ارادة السلطان الاختيارية) .
وبما ان السلطان يعتبر خليفة الخلفاء فانه يجمع الى سلطته السياسية السلطة الدينية .
لهذا فله وكيلان المصدر الاعظم والمفتي .

الباب الثاني

الصدر الاعظم ودائره

يبحث هذا الباب : (١) عن الصدر الاعظم (٢) عن وزراء الدولة (٣) عن امناء حمر الدولة (٤) عن بقية موظفي هذه الدائرة (٥) عن حاشية الصدر الاعظم .

الفصل الاول

الصدر الاعظم

ان معنى كلمة وزير في اللغة العربية هو معاون او مساعد واول من اوجد هذا اللقب هو عبدالله السفاح مؤسس الدولة العباسية وقد منحه لوزيره الاول ابوسلمة الحلال عام ٧٥٠ م . وكان وزراء اول سلطانيين عثمانيين يدعون فقط وكلاء . وقد اعطى مراد الاول سنة ١٢٢٠ لقب وزير للخندري قره خليل الذي منح ولده علي باشا وخليفته من بعده لقب الوزير الاعظم سنة ١٢٨٦ ثم توصل ابن علي باشا وحفيده الواحد منهما بعدا الاخر الى اسم ^{نصفه} هذا المركز . اى ان سلالة الخندري احتلت منصب الوزارة مدة قرن من الزمن تقريبا . وبعد وفاة اخرهم خليل باشا عام ١٤٥٢ رأى السلطان محمد الثاني سوء عاقبة تركيز السلطة كلها بيد وزير واحد فامركا بازالة هذا المنصب العالي . ولكنه لم يتركه شائرا سوى ثمانية اشهر ولم يبقه السلطان سليم الاول الذى كان على راي سلفه بدون وزير سوى تسعة اشهر . وفي زمن السلطان سليمان ظل (فرنك ابراهيم) في هذا المنصب مدة ثلاثة عشر عاما . وبعد ظل رستم صهر السلطان سليمان خمسة عشر عاما في الوزارة وفي اواخر حكم هذا السلطان تربع على دست الوزارة الطويل محمد . وبقي في مركزه طيلة حكم السلطان سليم الثاني وتوفي وهو صدر اعظم في زمن السلطان مراد الثالث . وتوصل الكبريلي الاب والابن الى هذا المنصب وحكما الدولة مدة عشرين عاما قسم منها في ايام قصور محمد الرابع المظترة . ومنذ ذاك الوقت لم يبق الصدور العظام في مراكزهم اكثر من سنتين او ثلاثة . وكان عددهم منذ سنة ١٢٧٠ حتى ١٧٨٩ اى سنة جلوس السلطان سليم الثالث على العرش مئة وثمان وسبعين وزيرا .

وكان هذا المنصب الرفيع فيما مضى لا يمنح الا لاشهر اعضاء الديوان . ويكون عادة وزير القبة * الثاني هو الذي يخلف الصدر الاعظم . الا انه منذ انحلال * وزراء القبة * الذي حصل في عهد احمد الثالث اخذ السلطان يعين في هذا المركز اما حاكم احد الولايات او أحد كبار الموظفين الموجودين في الاستانة مثل امير البحر ورئيس بيت المال والكنخية بك ولدا الانكشارية والسلحدار لفا ومن النادر ان يقع الاختيار على شخص اقل مرتبة من هؤلاء . واذا ^{الاولاد} حصل ذلك فانه يمنح لقب باشا قبل ان يستلم الخاتم السلطاني . والمقربون من السلطان هم الذين يوجهون مسألة اختياره وذلك ~~لانه~~ لانزوائه في قصره فانه لا يعرف عن اشهر رجال دولته مقدرة سوى اسمهم . ولهذا فالدسائس والصدف والاهواء تغبض على عنان امور الدولة . واذا تم امر هذا التعيين فان المعائن الجديدة التي تحاك وسياسة السراي المريبة لا تسمح لمن يحتل مثل هذا المنصب الرفيع ان يظل طويلا في مركزه . فانه يرجع ويصبح في العدم منذ الوقت الذي ياتي فيه احد موظفي السراي ويطلب منه الخاتم السلطاني . واذا لم يحكم عليه بالموت فانه ينفي من البلاد . وتضبط في اغلب الاحوال احيان امواله وبعد نفسه سعيدا اذا عين حاكما لاحدى الولايات .

وكان ^{بعض} يعطى الخاتم السلطاني ^{بعض} للصدر الاعظم الجديد وهو في قصره من قبل احد موظفي السراي ولكن منذ زمن احمد الاول فانه يتناوله كما قد ذكرنا من يد السلطان ويمدها يرجع من القصر حتى مدخل السراي تحرسه فرقة من رجال الحرس . وعندما يكون الديوان منعقدا فان معظم موظفي البلاط يصطفون لاستقباله . ويأتي لزيارته لفا وقواد الانكشارية كل ^{يوم} اربعاء كما ياتون كل يوم جمعة بعد الصلاة . وفي هذا اليوم ايضا ^{يتمثل} يديه امير البحر ورئيسا فرقة السلاحدار . ورئيس الحجاب " قوجي لركخية " . وغوي عقد مطسا عاما مرة في كل شهر ويقع ^{السلطانية} حفلة في عيد الفطر والاضحى وقبلهما بيوم رجال الدولة المدنيين والعسكريين لتقديم تهنيتهم له . وعلى كبار رجال الدولة عد المفتي ان يقبلوا توبه والعائنه ~~لانه~~ لا يسمح بذلك بل يقدم لهم يده .

ويكون قاربه باني عشر زوج محذوف ويكون في موخرته مظلة من جنج اخضر (١) - وينفرد

(١) ولا امير البحر ولاغا الانكشارية وثلاثة من موظفي السراي ايضا قوارب باشي عشر زوج محذوف اما بدون مظلة . اما قوارب المفتي ووزراء الدولة وسفراء الحكومات الاجنبية فتكون بسبعة ازواج وبخمس للقاضي عسكر ولقاضي الاستانة . وباربعة لباقي موظفي الدولة اما قوارب الاعالي فتكون باشين او ثلاثة وتكون مظلة بدهان لسودا وقاتم اللون .

وحده بعزبة وهي ان يكون له ثمان من حرس الشرف "شطار" واثناعشر جوادا نقاد باليد (١) وتتألف موسيقاه العسكرية من عدد من المزامير والنقارات والذقوف والصناجات ويضاف اليها في وقت الحرب طبل كبير (٢) .

وعندما يظهر امام الجمهور يحويه حجاب به دعاء يقولونه بصوت عال . فيرفع رئيسهم الدوحي جاش " صوته قائلا : " عليكم السلام ورحمة الله " فيجيب الجواش كلهم معاً " فلتوا تيك السعادة وليماضدان الله ، وليحفظ العلي الاعلى عمر سلطاناً وعمر الصدر الاعظم مولانا ، وليهشوا طويلا سدا . " .

وعندما يذهب ليتسلم رئاسة الجيش يضعه السلطان قروة من جلد السمور لها طوق عريض ومشابك من الذهب مع سيف وخنجر وقوس وكمانه وسامين والكل مرصع بالحجارة الكريمة . فيخرج من العاصمة راكبا احدى جياد السلطان تخفق امامه الراية النبوية ويصل عدد جياده ~~حفظت~~ التي تساق باليد ^{هناك} الى ثمانية عشر . ويظل بقره عطلة مدة الحرب ستة عشر من رجال حرس السلطان . ان كل الموظفين عدالمفتي يتسلمون من الصدر الاعظم امر تنصيبهم في مراكزهم . فيمنح لهم محضرته وبحسب مراتبهم قفطانا او قروة من جلد السمور . فالصدر الاعظم والمفتي هما الوحيدان اللذان يعينهما السلطان ويعتبران كأنهما معيان مدى الحياة .

ويقوم الصدر الاعظم غالبا بتفتيشات داخل البلدة يتبعه رجال من حاشيته وذلك كي يتفقد حالة الامن وعلى الاخر لكي يتأكد من سعر المواد الغذائية ~~وهي~~ اوزان البائعين . وكان يرافقه فيما مضى اغا الانكشارية وقاضي الاستانة . اما الان فهو يخرج في غالب الاحيان متخفيا في ايام الاثنين والخميس في عطفه ديوان الباب العالي . كما انه يذهب ايضا اثناء هذه العطلة لمقابلة المفتي ليتباحث معه في اهم الامور وهذا الاعتماد في الاعمال تقضي به السياسة الرشيدة . ويقوم أمير البحار ايضا وروؤساء فرق المشاة الثلاث الاولى بدوريات تفتيشية كل ضمن دائرته ويكون ذلك غالبا في الليل .

وعندما يرفع السلطان الى منصب الصدارة احد الباشوات من حكام الولايات فانه يعين موقتا حتى مجيئه للعاصمة احد الموظفين ممن يحمل رتبة باشا من ذات الاطواغ الثلاثة لم يقوم باعمال الصدر الاعظم ويعطى لقب قائم مقام . وهذا المنصب كما هو ظاهر قصير الابد وقليل الاهمية . ~~لما~~ الامر يكون عكس ذلك في زمن الحرب عندما يقود الصدر الاعظم الجيش . فيصبح القائم مقام ~~للمر~~

(١) ويكتب الباشا ان الاطواغ الثلاثة مع جياد . ستة جياد باشوات الطرنية ومائة لبقة الباشاوات واثنين فقط لوزراء الدولة وروؤساء الجيوش الثلاثة الخفية

(٢) "لباشاوات ايضا حسب درجاتهم تسعة او ستة او ثمانية من الموسيقى

انذاك وهو يمثل الصدر الاعظم لدى السلطان^١ ذو شخصية وعالة في الدولة . وتخلق المنافسة^٢ الم
فصله بين هذين الوزيرين وتقربا دائما نزاعا شديدا .

وظل الصدر اعظم يسكن مدة طويلة في بيوتهم الخاصة الا انهم منذ سنة ١٦٥٤ اخذوا
يقعون في قصر واسع لا يبعد كثيرا عن السراي ويسمى " باب الباشا " باشا قبوسي^٣ ومنه اشتقت
كلمة " الباب العثماني " او الباب العالي .

وعندما يقال الصدر الاعظم من منصبه يذهب احد موظفي السراي متخفيا ويكون عادة
" القبو جلر كخده سي " الى الباب العالي ومعه امر خطي من السلطان . فيقدمه للصدر الاعظم
الذي يقبل باحترام " الخطي شريف " ويرد له توا الخاتم السلطاني ثم يقوم عن اريكته ويخرج
من القصر بدون ان يسمح له حتى رؤية عائلته ويذهب تحت امرة رسول السلطان الى المكان الذي
نفي اليه . اذ انه لا يحق للصدر الاعظم المعزول الاقامة في الاستانة . اما اذا جاء الامر بتوقيفه
فان البستنجي باشي^٤ هو الذي يوقفه .

وسوف نعرض نظام هذه الوزارة العظيمة التي تقسم الى ثلاث دوائر يكون على راسها :
الكخيم او الكخده بان والرئيس افندي والجاوش باشي .

الفصل الثاني

وزراء الدولة

- (١) - الكخية بان (١) . هم نواب الصدر اعظم يقوم بصورة خاصة باعمال الشؤون
الداخلية والعسكرية ويحمل رتبة باشا من ذات الثلاثة^٥ اللواغ .
- (٢) الرئيس افندي (٢) . هو ~~موظف~~^{نفسه} بالوقت وزير الشؤون الخارجية وامين سر الدولة
والمستشار او المهردار (اي حامل خاتم السلطان) . وامين سر للدولة فانه يدون التلخيصات

(١) كخية محرفة عن الكلمة الفارسية كخدا ومعناها عامل او وكيل .
(٢) لقيه الاصلي هو رئيس الكتاب

والتقارير التي يرسلها الصدر الاعظم للسلطان . وكمستشار او مهردار فهو رئيس الدائرة المسماة بالديوان السلطاني " ديوان هميون قلعي " .
ان هذه المستشارية منقسمة الى ثلاثة مكاتب وهي مكتب البيليك (البيليك املاك يعين ريعها لقواد الانكشارية الكبرى السن وتكون لهم بمناسبة معاش تقاعدي) ومكتب التحويل ومكتب "الرووس" .

فالمكتب الاول هو مستودع اوراق القوانين المدنية والعسكرية والمعاهدات المعقودة مع الحكومات الاخوية . ومنه تصدر كل المراسيم والقرارات غير التي تتعلق بدائرة المالية . ويحرر في المكتب الثاني براءات حكام الولايات وتقارير جماعه الملا او قضاة مدن الدرجة الاولى وتقارير (ضبط فرماني) من يقتنون الاقطاعات العسكرية . اما المكتب الثالث فانه يرسل تقارير رؤوسا وكتاب كل الدوائر ورؤوسا القبوحي باشي واساتذة المدارس الحكومية ورجال الدين والمشرفين على الاوقاف الدينية كما يفعل ايضا في اجازات الرواتب على الخزينة وعلى الممتلكات الدينية . ويعمل في هذه الدوائر مئة وخمسون كاتباً تقريبا يقسمون الى ثلاث درجات : الكتاب *Schahmush* والكتاب *Scharhilius* ويتناولون كراتب لهم اقطاعات عسكرية (الذعامة والتمار) . ويعطى لاصحاب الدرجتين الاولى والثانية لقب *guedel* اي اصحاب الرواتب . ولا يحق لهم ان يتبعوا الجيوش الا اذا كان يقودها السلطان او الصدر الاعظم . ولكل مكتب رئيس يدعى *Kesmeder* ففي المكتب الاول ثلاثة كتاب رئيسيين يدعى الاول القانونجي وعليه ان يستخلص من كتاب القوانين العامة او قانون نامه الحكم الموافق لمسألة ما وان ينسخه بجانب السؤال الذي وجهه له الرئيس افندي عن هذا الموضوع . والثاني هو *Hamidji* يقوم بكتابة التقارير عن الاعمال المتعلقة بدائره . اما الثالث فهو المميز يخص ويصحح الاوراق التي دونها الكتاب .

ويجب ان يكون على نسخة كل امر او قانون توقيع الصدر الاعظم الذي يخطبده عليها الكلمة العربية "صح" وتكتب الاوامر دائما باحرف كبيرة وعلى قرطاس كبير مصقول طبعت عليه صور ورود بالذهب والفضة وتكون اكثر الاسطر مكتوبة بماء الذهب . ويضع الكاتب اسمه على ظهر النسخة التي يرسلها والتي يوقع عليها كل من المميز ونائب المستشار والرئيس افندي . فاذا كانت مرسلة الى احدى الولايات فان " النيشنجي " يوشح اعلاها بالطغراء السلطانية ويسمى الامر اذا كان فرمان . اما الاوامر التي تصدر للموظفين الموجودين في العاصمة فانها تسمى "بيورلدو" ولا يكون

عليها سوى توقيع الصدر الاعظم . وهذه الكلمة " بيوردو " تركية الاصل اما كلمة فرمان فهي فارسية ويراد بكتيمهما الامر . اما الاعلانات الرسمية فيعلن عنها بواسطة المنادين .

ويتخذ السلطان في اوراق الاوامر السلطانية القابا فخمة . مثل فاتح العالم ومكافح الدنيا وبطل عصره وخليفة الله وملك المسلمين والسلطان العام اقوى ملك ملوك الارض والمتسلط على بلاد فارس والعين وتركستان وطبرستان وایران وطوران . فهو برهان الخواصين وملك القياصرة وسلطان البرين وخاقان البحرين . ملك الشرق والغرب وسلطان الاقاليم السبعة سيد العالم ومفوق العروش والتيجان وملك اكبر ملوك الارض والمفتي لخاتم سليمان العظيم . فهو اسكندر العصر والملك العظيم الذي يكون داريوس كحاجب له وهو العادل والمحاط بالعز والجلال وخادم الحرمين الشريفين مكة والمدينة والقاضي على الكثرة والملحددين امام المسلمين الاكبر وظل الله على ارضه الخ . . . الا انه لم يحصل قط مجموعة لهذه النعوت . وفي كل مرة يراد تدوينها ترسل لموظفي المستشارية الذين يقتنون بترتيب الالفاظ والمقاطع والقافية لتكون منسجمة وذات وقع حسن .

ويلقب السلطان وزيره الصدر الاعظم بمنظم الدولة وحاكم السلطنة العام . والوزير الكامل بها الامة وضرعام ساحات الوغى الذي لا يقهر . وسيف النصر القاطع وعساف (١) عصره وشبيهه باسمهم وزراء المشرق .

اما المفتي فيدعوه بعلامة العلماء بين اهل السنة ومفتاح كوز الحقائق الدينية ومشعل اعمده الاسرار والفسر الحكيم للقوانين الدينية والمنبع الزاخر لكل الفضائل . الذي علمه كالبهر والذي ببصيرته وحذاقته يحل اكبر المسائل المعوية .

اما امير البحر فانه يُنعت بهذه الاوصاف : " السباح الماهر بين الجزر والصخور وبطل البحار من الافق الى الافق الخ . . .

ولكل موظف لقب يوافق رتبته . واول الالقاب هو : الماهر جدا بين اقرانه .

وعلى كل فمن المعتاد في كل الاحيان التي يدعى فيها شخص الى مكان رسمي ما ان يقن اسمه بدعا . يوافق مركزه وحالته . مثلا : اسماعيل باشا : زاد الله تعالى في عظمته . على اقدى زاد الله في معرفته على الدوام . عمرافا قوى الله مقدرته . وعندما ياتي ذكر احد السفراء

أو أحد الملوك المسيحيين يقن اسمه بهذا التمني ، " اسعد الله آخرته " أي ليسعده الله بفتح عينيه لأنوار القرآن . وتستعمل عند ذكر أحد الملوك الخاضعين للسلطان هذه الجملة " ادأم الله في خضوعه وطاعته " ويزاد عليها غالبا هذا الدعاء : " اذار الله بصيرته بمعرفة احسن الاديان " ويقال عندما يأتي ذكر السلطان : " ادأم الله تعالى عزه وعظمته " . اما اسم الدولة فهو مقرون دائما بهذه الكلمات : " ادأم الله وجودها " . ولا يمنح السلطان القاب شرف ولكم في بعض الاحيان يعطي لاحد الموظفين لقب الوظيفة التي هي اعلى من التي هو فيها . وهكذا فان " البكرى " وهم باشاوات من ذوى الطوفين يحصلون على رتبة وزير أي باشا من ذوى الاطواغ الثلاثة . الا ان الشخص يخسر لقبه عندما يقال من وظيفته . وليس هناك لقب يمكن وراثته غير لقب بك الذي يخسر ابتداء الباشاوات بتأورثونه ابتداءهم وسلالتهم من بعدهم .

ولدائرة الرئيس ائدى ثلاثة رؤساء مساعدين وهم : ترجمان الباب العالي والامدجي والييلجي .

ترجمان الباب العالي او ترجمان الديوان يترجم الاوراق التي يرسلها سفراء الدول الاجنبية للدولة . وهو يحضر مجالس هؤلاء مع الرئيس ائدى . وترجم اقوالهم في الجلسات التي يعقدها لهم السلطان والصدر الاعظم وهو يلعب دورا كبيرا في ادارة شؤون السياسة الخارجية فيمدي يارائه الرئيس ائدى الذي لا يتكون عنده غالبا غير معلومات مبهمة عن كل ما يتعلق بالحكومات الاوروبية وعن مراكزها الجغرافية ان الذين يشغلون وظيفة ترجمان كانوا عادة فيما مضى من المرتدين . ولكن منذ قرن ونصف أصبحت منحصرة باليونانيين المتحدرين من اشهر عائلون الاستانة والذين يرتفعون من هذا المركز الى منصب هسبودار (حاكم) ولاية الافلاق والبغداد اما عمل الامدجي فيكون بصورة خاصة بتبليغ تقارير ومذكرات الصدر الاعظم المرسلة

للسلطان والتي تكون دائما مسجلة لدى الرئيس ائدى . ويحضر مقابلات رئيسه مع سفراء الدول الاجنبية ويقوم باجراء المراسيم المعتادة في مثل هذه المناسبة . ولكونه مسؤولا عن جباية الضرائب التي يجب ان يدفعها للرئيس ائدى اصحاب الاقطاعات العسكرية (الدعامة والتمار) فانه يوقع على اوراق الجباية بوضعه الكلمة الفارسية *Améd* ومعناها : استلم ، دفع / ومنها جاء اسم

منصبه : *Amédji*

اما البيلقجي فانه يدير اعمال مكاتب المستشارية الثلاثة .

وللرئيس احدى نوع من التصرف او الاشراف على كل الكتاب او رجال القلم . وقد كان فيما

مضى الوكيل الاول لخدمات القرم .

(٢) الجاوش باشي : وهو يقوم بعدة مناصب مختلفة . فهو نائب الرئيس في مجلس عدل

الصدر الاعظم . ووزير الامن العام وهو الذي يدخل سفراء الدول الاجنبية الى السراي وهو منير

البلاط ورئيس فرقة من الجنود الاقطاعيين .

وكاتب رئيس فانه يتقبل الشكايات المتعلقة بالسائل المدنية والجنائية . وانه قبل اجتماع

مجلس الباب العالي يعقد مجلسا عاما . وهو يجلس عن شمال الصدر الاعظم وبذلك فانه يتمكن

من اخذ معلومات اولية عن كل الدعاوى التي ستعرض في ذلك اليوم للصدر الاعظم ويدونها باختصار

كلها لكي لا يطول الشرح وقت عرضها للصدر الاعظم وهو يفعل ذلك سواء اندها الوزير او ارسلت

الى المحاكم الخاصة بها . وله تحت امرته فرقة مؤلفة من ست مئة وثلاثين حاجبا يخدمون في

المحاكم .

وكوزير للامن العام فانه ينفذ احكام القضاة واوامر الصدر الاعظم . يساعده في دائرته

هذه ثلاثة موظفين يقومون باعمال الحكام وهم : المحضراعا والعماس باشي والضويباشي .

وكمدخل للسفراء فانه يذهب لاستقبالهم من المكان الذي ينزلون فيه من قواربهم ويرافقهم

ماشيا عن يمينهم حتى السراي او قصر الصدر الاعظم (١) .

وهو يقوم ايضا باعمال مشير للبلاط في السراي في ايام انعقاد الديوان والاحتفالات الكبرى

معاً مع " القبوجر كخيمه سي " اي رئيس حجاب القصر . وكلاهما يرتدي ملابس الحجاب ويقبض

بيده على عصا المشيرة . وهما يستقبلان الصدر الاعظم عند باب السراي الثاني ويتبعانه حتى

قاعة الديوان ويضربان الارض الواحد تلو الاخر بعضهما لهما المكموتين بصفائح الفضة . ويقومان ~~بفتح~~

بعد الاستقبال التشریفى لسفراء الدول الاجنبية عندما يكون عندهم اجتماع في السراي .

واخيرا فانه قائد فرقة مؤلفة من مشيخي : *Guediklis Zaime*

يقومون بايصال الاوامر الى الولايات . وهو الناظر على الضرائب الاميرية المؤجزة اجارا

دائما . فاذا اراد احدهم اخلاء التزامه الذي هو مستاجره للشخص اخر فانه على الجاوش باشي

(١) في زمن الامبراطورية البيزنطية كان مدخل السفراء يحمل ايضا لقب *Grand-Chiaours*

ان يرسل الطلب على عريضة المستأجر الاول نفسها لتعرض على موافقة الصدر الاعظم .
هذه هي اهم اعمال وزراء الدولة الثلاث الذين يشتغلون تحت اشراف الصدر الاعظم
التابع لهم بصورة اكثر او اقل مباشرة امراء سر الدولة الستة ~~الذين يتبعونهم~~ ايضا جائر موظفي ~~الحكومة~~
الدائرة نفسها .

الفصل الثالث

امانة سر الدولة

- (١) البيوك تذكرجي " الرئيس الاول الناظر في المعراض المقدمة للدولة .
(٢) " الكوجوك تذكرجي " - الثاني - - - - -
يقومان ايام انعقاد الديوان بجانبى الصدر الاعظم فيقرآن الواحد تلو الاخر العرائش
المقدمة للوزير ويدونان اوامره عليها .
ويقومان بنفس العمل عند " الجاوش باشي " حيث يظنان اكر ساعات النهار . وبحرمان
الاورامر المسلة من الصدر الاعظم الى مختلف الدوائر التي في العاصمة .
(٣) " المكتوبجي " اى امين سر الصدر الاعظم الاول وهو المشرف على رسائله العامة تحت
رئاسة الكيخيه بك . ويتالف مكتبه من ثلاثين كاتباً تقريباً . ومراكز هؤلاء مرغوب فيها بسبب الترقى
الذى يلاقونه .
(٤) " التشرفتجي " اى الرئيس الاول للحفلات . يحتفظ بسجل حفلات البلاط وبالامتيا
وبالامتيازات التي تتمتع بها مختلف هيئات موظفي الدولة : وله كثير من المساعدين .
(٥) " البكلقجي " اى نائب مستشار البلاط وهو على راس المكاتب الثلاثة التي تؤلف المستشارية
السلطانية .
(٦) " الكيخيه كاتبي " اى امين سر الكيخيه الاول وهو المشرف على رسائله وعليه تحصيل
الضرائب العائدة لهذا الوزير وللصدر الاعظم . وعويامر على عشرين او خمس وعشرين كاتباً .

ان امنا سر الدولة هولاء (١) مع وزراء الدولة الثلاث هم موظفو هذه الدائرة الوحيدة الذين تكون مناصبهم سنوية . ويعينون من قبل السلطان بعد ان يكون قد اخذ رأى وزيره الصدر الاعظم . ويعرفون بلقب " قبورجالي " اى اسباب الباب العالي . وكانوا فيما مضى امنا سر الصدر الاعظم الخصوصيين اى انهم متساوون مع اولئك الذين لا يزالون الى يومنا هذا يلتحقون بخدمة حكام الولايات ويحملون ~~اللقب~~ ^{عنه} . الا انهم بعد زوال وزراء القبة اصبحوا يعتبرون نهائيا من عداد موظفي الدولة . وبالرغم من هذا الانقلاب الذى هو في مصلحتهم ومن اهمية المناصب التي يحتلونها فانهم لا يتمتعون بكل الميزات التي للمناصب ذات النظام القديم ، اى ليس ~~واحد~~ منهم محموا في الديوان .

يسمح الكيخية بك والهاوش لقب اعا وهو مخصص لرؤساء الجيش . وذلك لانها نائباً الصدر الاعظم في دائرتي الامن العام والحرية ، ويعتبر الرئيس افندى وامنا سر الدولة الستة من هيئة " الخوجوات " ويلبسون مثلهم العمامة الخرسانية . ولكن لا يحق لاحد من امنا السر هولاء عدا رئيس التشرفات لبس الزى المسمى بـ *Lat. Kurki* لانه لا يمكنهم مثل بقية " الخوجوات " تقبيل ثوب السلطان في احتفالات عيدى الفطر والاضحى .

الفصل الرابع

بقية موظفي هذه الدائرة

للصدر الاعظم مساعدون يُنتقى كل واحد منهم من احدى فرق الجيش ويكونون الممثلين لقوادهم لدى الباب العالي . فمثل الانكشارية هو " المخطراغاچي " ملانم الاورطة الثامنة والعشرين وهي فرقة تقوم دائما بحراسة قصر الصدر الاعظم ويعني اتصال دائما من هولاء ^{نفسه} ~~المساعدين~~ هذا ، " التفنكجي باشي " و " المنطره جي باشي " بجانب جواد الصدر الاعظم . اما مثل البستنجيه وهو الاوض باشي فانه يقبض على دفة القارب . ويتخذ مثلاً رئيسي فرقة

(١) ان الثلاثة الاولين مع امين سر الكيخية بك يقومون ~~بالوقت~~ ^{نفسه} بوظيفة رؤساء قلم دائرة المالية التي تدر عليهم مالا كثيرا .

الفرسان (السباى والسلحدار) لقب كتخده برى * اما لقب مثلي فوككيكي فرق المنااة الثلاثة (الحجة جية والطوبجية والطوب عرجية) فهو " قبوشاوشي " وهناك عدا هولاء العسكريين مثل لاجير الامراء يحمل لقب " قبوشاوشي " ايضا وعلى جميع هولاء المساعدين ان يحضروا مجلس الصدر الاعظم اما لياخذواوامره المتعلقة بروؤسائهم . او لسماع الاحكام الصادرة على المتهمين المتهمين لفرقهم وحيث لايمكن تنفيذ الاحكام عليهم الا باذن من رؤؤسائهم .

عدا هولاء ينتسب ايضا لدائرة الصدر الاعظم :

- (١) " المتفرقة باشي " رئيس فرقة مؤلفة من مثلي جدى من ذوى الاقطاعات .
- (٢) " التلخيصجي " ليس له من عمل سوى اعطاء التلخيصات المرسلة من الصدر الاعظم للسلطان لرئيس الخصيان السود .
- (٣) " الوزير قرقه قوله غي " هو مساعد للتلخيصجي .
- (٤) " التتر اغا " رئيس مائتي تترى هم سعاة بريد الحكومة .
- (٥) " الجوقولولر اغا " رئيس خمسين عسكرى (جنولو) لا يخدمون الا في ايام الاحتفالات .
- (٦) " الدليلر اغا " رئيس خمسين " دليا " .
- (٧) " الققطانجي باشي " يقوم بتقديم الفراء والقفاطين التي يمنحها الصدر الاعظم لكل من يعين في منصب جديد .

(٨) رجال " البلاء باشي " وهم قواد خمس عشرة فرقة من الشاوشيه او الحجاب مؤلفة من ست مئة وثلاثين رجلا قسم منهم يحرس قصر الصدر الاعظم والقسم الاخر يحرس السراى . وهم تحت امرة قائدين : الاول " الشاوشلر ايني " يرسل الشاوش باشي بواسطته كل اوامره . والثاني هو " الشاوشلر كاتبي " يحمل لائحة باسماء الدعاوى المزمدة الى المحاكم ^{بامر} من الصدر الاعظم مع لائحة باسماء الحجاب الذين يلاحقونها . ويسجن هذان الموظفان عندهما المديونين من لهم مكانة وخصوصا العلماء منهم .

ان مكتب او مسكن هولاء الموظفين يكون في قصر الصدر الاعظم حيث يحتلون الطابق السفلي والطابق الاول منه . اما الطابق الثاني فمخصص للصدر الاعظم ولنسائه ولحاشيته . فيسكن هذا القصر اذا عدد كبير من الاشخاص وبما ان مركز الحكومة فيه فان جمهورا كبيرا من الموظفين من

جميع الدرجات يأثم لقضاء الاعمال او لتقديم الواجبات للوزراء . ومن عداد هؤلاء الموظفين وكلاشر
بصفة الدوائر وكلاء كبار موظفي السراى وحكام الولايات وتراجمة البعثات الاجنبية .

مهما كان نوع القضية يجب ان تمر على احد وزراء الدولة الثلاثة وهم الموظفون الأوحدون
الذين يشتغلون مع الصدر الاعظم . فانهم يقابلونه صباح كل يوم لتقديم تقاريرهم ولاخذ الاوامر
منه . ولا يقابلونه بقية النهار الا اذا جد امر هام . ولكن لكل واحد منهم سكرتير يرسله لصداى
الصدر الاعظم ليطلعهم على مجرى الامور ولاخذ اوامره في الاعمال الاقل اعمية (١) .

وعلى كل المشتغلين في الباب العالي ان يكونوا فيه كل يوم من بزوغ الشمس الى قبيل
غياها بساعة ولا يمكنهم مغادرة اعمالهم قبل الاستئذان من الصدر الاعظم فيتقدم احد موظفيه
امام مكتب كل واحد من وزراء الدولة ويقول بصوت عال ويخضعي احتراماً "اذن " اى فرصة .
عندها يطلبون خيولهم للانصراف . وليس هناك تعطيل سوى في ايام عيدى الفطر والاضحى
وعلى الوزراء واما السراى فيقيموا ايضا في مكاتبهم صباح ايام العيد هذه . ولا يمكن للكخيزه بك
ترك قصر الوزراء اذ ^{في مدة تغيب} يملأ الصدر الاعظم ~~حبيب~~ عليه ان يبقى ليقوم مقامه عند الحاجة وليسهر
على الامن في العاصمة .

ويتناول " الرئيس افندى " والشاوش باشي " رئيسا الاستدعاءات " طعام الغذاء على
مائدة الصدر الاعظم ولكن في ايام الاربعاء اى ايام لعقاد الديوان يتناول الطعام مكانهم
قضاة العاصمة الاربعة وفي ايام الجمعة ياخذ القاضيا عسكر مكاني "رئيسي الاستدعاءات" على مائدة
الصدر الاعظم لانهما يحضران الديوان في ذلك اليوم . ويقدم دائما للكخيزه بك وهو في دائرته
الطعام من مطبخ الصدر الاعظم ويقبل على مائدته امين سره " المكوبجي " ورئيس التشرفات
وهو يدعى ذوى المكانة من الموظفين الذين يوجدون عنده وقت الغذاء . اما بقية موظفي الدائرة
فيجلب لهم طعامهم من بيوتهم .

انه من السهل دائما مقابلة الوزراء واما سر الدولة وبقية الموظفين الذين يستقبلون
كل الناس بدون تمييز . ويمكن لاي شخص من عامة الناس مقابلةهم بكل حرية والتكلم معهم عن
اعماله . وتكون احيانا قاعة احد الوزراء عاصة بكبار الشخصيات عندها يكون الوزير مشغولا

(١) يسمى مساعد " الكخيزه بك " قره قولك " وحمل الاثنان الاخران لقب Kisse'dan ويترتب عليهما
تحصيل الضرائب العائدة للرئيس افندى وللشاوش باشي .

غالبا في قضاء الشؤون التي تكون على غاية الاهمية . فينتظر الناس اغتنام الفرصة للاقتراب منه والتكلم معه . ويظل الاشخاص الذين هم من مقام بسيط واقفين . وانه غير مفروض على اي كان الانتظار في غرفة ثانية الا اذا كان عند الوزير مقابلة سرية .

اما الوصول الى الصدر الاعظم فليس سهلا بهذا المقدار اذ لا يراه الناس الا في مجلسه ولا يمكن لكبار الدولة مقابلاته الا في الايام المخصصة لزياراتهم الا اذا طلبوا منه مقابلة خاصة . عبرانه يعتقد في كل شهر مجلسا عاما يمكن ان يحضره او شخص ^{سواء} عوسوظف ^{كان} كان موظفا في خدمة الدولة .

الفصل الخامس

حاشية الصدر الاعظم

ان حاشية الصدر الاعظم منظمة حسب حاشية السلطان ويتخذ اكثر موظفيه ^{من} القاب ^{التي} خدم السلطان . وهم ايضا مثلهم ينقسمون الى قسمين : قسم للداخل وقسم للخارج .
فرجال الفرع الثاني يطلقون لحاهم اما رجال الفرع الاول فلا يتركون سوى شواربهم .
ربما يدفعنا الفضول لمعرفة اعمال هؤلاء الموظفين . فاشهر موظفي القسم الاول هم :
(١) وكيل الخزانة او الوكيل العام . (٢) "رئيس الحجاب" يقوم بوظيفة ادخال الذين يريدون مقابلة الوزير . (٣) رئيس السلحدارية . (٤) رئيس اربعين من السلحدارية الفرسان .
(٥) امام القصر . (٦) ثلاثة من المؤذنين يعلنون اوقات الصلوات الخمس في ثلاثة محلات مختلفة من القصر (١) (٧) وكيل الحرم . (٨) رئيس الطباخين وبقية القائمين على تهيئة طعام الصدر الاعظم الخ ويلحق بهذا القسم الاول اربعون موظفا تقريبا يدعون "لغات" الوزير يقومون بايصال رسائله واوامره الى الولايات . ويقوم اثنا عشر "الاي شاون" بتنظيم السير لما يخرج الصدر الاعظم وهم يلبسون ثيابا من القطيفة الحمراء ويحملون بايديهم عصيا محلات بصفائح الفضة .

(١) ان الاذان خارج الجوامع لا يكون الا في السراي وفي قصر الصدر الاعظم وفي قصور الباشوات من ذوي الثلاثة الطوائف . ويحتشد الصدر الاعظم اذا كان متدينا او حاول ان يظهر نفسه كذلك ان يصلي اماما مرتين او ثلاثة في اليوم .

فيها بسنة

ثمان من حراس الشرف " الشطار " يمشون قرب حواد الوزير . ومثنا خادم من الشاة " جوخدار " يضعون في وسطهم سباطاً محفلة بملاسل من الفضة ، يقوم أقدمهم في الخدمة بوظيفة جواسيس يقدمون تقاريرهم للكخينة باء . واخيرا اربعون بوابا .

اما اشهر موظفي القسم الثاني وعددهم اربع وعشرون هم : (١) السلحدار لفا . (٢) الجوخدار لفا او المشرف على ملابس الصدر الاعظم - (٣) المهردار لفا يختم رسائل الوزير الخاصة - (٤) امين السر او الدودار لفا " يقوم بتهيئ كل لوازم الكتابة (٥) الجوخدار لفا الثاني وهو " القفطان لفا " (٦) " المفداح لفا " او الناظر على اثاث القصر . (٧) الناظر على اجهزة خيل الوزير " الرختوان لفا " (٨) وكيل غرفة الاسلحة " الجبخنجي باشي " (٩) الناظر الثاني على اثاث القصر . (١٠) رئيس ثمانين غلاما تقريبا " جندى " مبرنون على رمي الجريد . (١١) رئيس الخدم الفلماني " باش شاور " (١٢) " البشكير لفا " او رئيس خدم مائدة طعام الوزير . (١٣) " التوتنجي باشي " (١٤) " القهوه جي باشي " (١٥) " القلرجي باشي " اى رئيس الشراب (١٦) رئيس خزانة الثياب (١٧) " السفرجي باشي " او المشرف على اواني الطعام والشراب (١٨) المشرف على مناشف وغسل الوزير " محرمجي باشي " (١٩) المشرف على طناقص صلاة الوزير " احرامجي باشي " (٢٠) المشرف على البخور وما الورق " بخوردنجي باشي " (٢١) الحلواني او ضامع الحلوى " معجونجي باشي " (٢٢) الموظف الذى يقوم بلف وترتيب عائم الوزير (٢٣) الحلاق (٢٤) حامل الابريق " ابرقدار لفا " .

ويرأس هؤلاء الموظفين على ثلاث مئة خادم (يدهن وارقداش) ويقوم على خدمة الحرم ثلاثة او اربعة من الخصيان وهناك عدد معادل من الخرسان في حاشية الصدر الاعظم يقفون على باب غرفته عندما يكون في جلسة سرية ليظلوا قريبين منه لاخذ اوامره .

في كل مرة يخرج الصدر الاعظم من قصره يصطف خدمه على جانبي طريقه . وعندما يزور المفتي يذهب رجال هذا الاخير لاستقباله حتى الباب الخارجى ويتقدمه اثنان منهم يحملان مبخرتين تصعد منهما رائحة البخور . ثم يخرج المفتي ويلاقوه من اسفل الدرج ويجرى مثل هذا التعظيم عندما يستقبل الصدر الاعظم المفتي بدوره . وهناك اصول موضوعة في كيفية معاملة الموظفين بعضهم بعضا . فاذا زار موظف كبير موظفا اخر كان رتبة منه يذهب

هذا الاخير لاستقباله فيقبل ثوبه ويضي امامه ليدخله الى بيته .

في اول ايام الدولة كان راتب الصدر الاعظم لا يتعدى العشرة الاف غرش . وقد رفعه السلطان سليمان الاول الى خمس وعشرين الفا لوزيره الفزك ابراهيم باشا على اثر انتصارات هذا الاخير في بلاد المجر . ولكن الصدر الاعظم يستفيد كثيرا في تعيين الموظفين . وله ايضا حكم ولاية يديرها باسمه وكل من قبله يدعي "مسلم" . وبعد فتح جزيرة قبرص في زمن السلطان سليم الثاني خصصت موارد هذه الجزيرة للصندوق العظام الذين يوكفونهم - يوجرونهم النائب عنهم بمبلغ سنوي قدره (٢٢٥٠٠٠) غرش يدفعون للدولة من اصلها (١٧٠٠٠٠) غرش . وكلما كبرت تغييرات الموظفين كلما زادت منافع الصدر الاعظم . فان المبلغ "جايزه" الذي يدفع ثما لكل وظيفة ، عدا وظائف وزراء الباب العالي وامناء سر الدولة الستة وَاخِرُ الثلاثة عشر الخوجه من موظفي الدفتردارية ، يتراوح بين الفين وثمانية الاف غرش بحسب اهمية المنصب . ف رئيس الخزينة واغا الانكشارية يدفعان عشرين الفا ويدفع رئيس الجمارك ثلاثين الفا . واكبر مبلغ يطلب من حاكم ولاية وقت تعيينه هو عشرة الاف غرش . وهناك ضريبة على رتبة الباشاوية تسمى ضريبة الطوغ وهي عشرون الفا للباشاوات من ذوى الثلاثة لاطواغ وخمسة الاف لذوى الطوغين . وكل هذه المبالغ التي تدفع للصدر الاعظم تؤمن له موردا سنويا يزيد عن اربع مئة الف غرش . وله علاوة على ذلك ضريبة قدرها عشرون بالمئة على الاموال التي يدفعها الذين يلتزمون من الدولة التزاما دائما حق جباية الضرائب . ويصل مورد هذه الضريبة الى المليون ياخذ ثلثيه الصدر الاعظم وياخذ رئيس الخزينة الثلث الاخر (.

كان يقبض الصدر الاعظم فيما مضى (٢٢٥٠٠٠) غرش من الذين يلتزمون قبض اموال الجزية . فياخذ لنفسه الثلث ويعطى الباقي للوزراء وامناء سر الدولة ولرؤساء كتاب دائرته ولقدما الموظفين الفقراء . ولكن مصطفى الثالث ضم هذا المبلغ لخزينته عام ١٧٢١ عندما اغزوه المال . انما بعد بضعة اشهر على اثر ضجة قام بها من كان ينتفع بهذه الاموال قرر السلطان اعطائهم من اصل المبلغ (٢٢٠٠٠٠) غرش فرقها هو بنفسه عليهم تحت اسم "منحة سلطانية" . عين منها سنويا للصدر الاعظم (٤٥٠٠٠) غرش و (٣٠٠٠٠) للكخنة بك (٢٠٠٠٠) للرئيس اقدى و (١٥٠٠٠) للشاوش باشي و (٥٥٠٠٠) لامناء سر الدولة الستة . و (٣٥٠٠٠) لكبار كتاب المستشارية و (١٢٠٠٠٠) للصنف

للمستخدمين من الموظفين المسنين .

ان موارد الصدر الاعظم اذا اضفنا على رواتبه كل الهدايا التي تاتي من كبار موظفي الدولة

ولا سيما من حكام الولايات تصل الى اربعة او خمسة ملايين قرش .

انما يجب الاعتراف بان حاشيته تكلفه مبالغ عظيمة وان عليه تبعا للعادات الشرقية ان

يقدم في بعض المناسبات هدايا ثمينة للسلطان وللموظفي بلا طه ولكبار موظفي الدولة . وكان على

الصدر الاعظم زمن حكم اول السلاطين ان لا يقدم هدايا للسلطان الا في ايام عيدي الفطر

والاضحى ثم فيما بعد صار عليه ان يجدد تقدماته في عيدي ابتداء الربيع والخريف واوقات انقلاب

الشمس (ميلها الاكبر) . ولخيرا في عيد المولد النبوي . على بصيرة ان عدد هداياه

يصل الى سبع مرات في السنة . وكانت هدايا الصدر الاعظم كوبريلي زاده مصطفى ثمينة لدرجة انها

دفعت السلطان سليمان الثاني عام ١٦٩٠ الى الغناء هذه العادة الباهظة التكاليف . الا ان

خليفته السلطان احمد رجع وعمل بها . الا ان السلطانين محمد الاول ومصطفى الثالث قد اعدوا

الهدايا . فعلا فانه كان على الصدر الاعظم منذ حكم السلطان الثاني ^(عنه) الا يقدم هداياه لمليكه

سوى اربع مرات في السنة وذلك في عيدي الفطر والاضحى وفي عيد الربيع (النيروز) وفي عيد المولد

النبوي . الا ان تقدماته هذه لا تقتصر فقط على السلطان ان عليه ان يقدم ايضا الهدايا لكل الامراء

ابناء السلطان وللسلطانة الوالدة ولنساء السلطان وكبار موظفي السراي وتكون مؤلفة على الاكثر من

جواهر وصناديق وسلطات وشال واقمشة عديدة وما الورود وخشب الكيك الندى والبخور الخ

وتكون في بعض الاحيان من اكياس الحرير مليئة بالقطع الذهبية .

وعلى كل حال يجب على الصدر الاعظم ان يغتنم كل القصر المناسبة للتجيب من السلطان

بتقديم هدية ما له . فتارة يقدم له جوازا مجهزا باثمن عدة وتارة اخرى ساعة مرصعة بالماص

او جارية شابة مزينة بافخر الثياب والحلي . وقد قضت العادة طيلة قرن ونصف اى منذ حكم

السلطان مراد الثالث حتى حكم السلطان احمد الثالث بان يقدم الصدر الاعظم هدية للسلطان في

كل مرة يقابله فيها . فيقدم له عادة جوهرة ثمينة واحيانا يضع على عتبات العرش كسا يحوى الوفا

كبيرة من الذهب . وفي هذه المناسبة كان يقدم ايضا الهدايا لكبار موظفي القصر ويامر بتفريق خمسة

او ستة الاف ذهب على بقية الموظفين . وقد ارجع السلطان احمد الثالث هذه العادة بطلب من الصدر

الاعظم الداماد علي باشا . ومنذ ذاك الحين اخذ الصدر الاعظم لا يفرق على رجال السراي في

مناسبه مقابلته للسلطان سوى الفين او ثلاثة الاف ذهب .

عدا هذا فاذا اعلم السلطان عليه نعمة او عذبة فانها تكلفه دائما مبلغا جسيما ^{يقدره} ~~بمكافاة~~ للموظفين الذين قدموا له . ان خلعة السلطان او منحته لوزيره تقبل بضمته الاحترام فاذا كانت جوادا مجهزا باثمن عدة فان وزراء الدولة الثلاثة يستقبلونه من على باب القصر ، بعدها يأتي الصدر الاعظم فيقبل عنده ويضعه على جبينه ثم يركبه ويدور به عدة مرات ساحة القصر وعندما ينزل عن صهوة يقبل باحترام العنان مرة ثانية قبل ان يعطيه لسائده . ويكافي الصدر الاعظم الموظف رسول السلطان الذي قدم له الهدية بغفوة وحوادث ثلاثين كيسا من المال . فيرجع الى السراي يتقدمه خدمه حاملين على اكفهم هذه الاكياس .

ومن المعتاد ان يقدم الوزير في عدى الفطر والاضحى الهدايا لكبار الموظفين . فيناول كل واحد منهم رزمة فيها فراء واقمشة ومنسوجات حريرية وغيرها ويحصل كل رجال الدولة الذين يدعوه الى تناول طعام الافطار عنده في ايام شهر رمضان على عذبة منه ايضا . وبعد وفاة الصدر الاعظم تضبط امواله وتضبط عادة ايضا بعد عزله وهكذا فان الاموال

التي يجمعها مدة وزارته لا تنتقل لعائلته ويمكننا اخذ فكرة عن الثروات التي يمكن للصدر جمعها اذا عرفنا تلك التي تركها رستم باثما صدر السلطان سليمان الاول عندما توفي عام ١٥٦٦ بعد ان حكم ظل على راس ادارة الدولة مدة خمس عشرة سنة . يقول المؤرخ حسن بك زادة عنه انه كان يملك

في مختلف الولايات (٨١٥) مزرعة فيها (٤٧٦) طاحونا و (٢٩٠٠) حصان و (١١٦٥) جملا و ١٧٥٠٠ عبدا وجارية . وقد وجد في خزينته (٧٨٠٠٠٠) ذهب وكثير من سبائك الذهب والفضة و (٣٢) جوهرة ثمينة . وفي خزائن نيابه (٤٨٨٠) كساء تاما وفي قلعة سلاحه (٢٠٠٠) درع تقريبا

و (١١٥٠) خوذة من الفضة و (١٠٦٠) من الفضة المذهبة او من الذهب الخالص (٧٦) سيفا محلاة بالحجارة الكريمة و (١٠١٥) مرصعة بالذهب والفضة . وكان عنده (١١٣٠) سرجا . و جللا مزرعة بالفضة والذهب والجواهر . وكانت مكتبته مؤلفة من (٥٠٠٠) مخطوطة في التاريخ وتد والفلسفة والاخلاق ومن (٦٥٠٠) نسخة من القرآن محلى بجلد (١٣٠) منها بالذهب والجواهر . ويقول المؤرخ حسن بك زادة ان هذه الموجودات التي ادعشت الناس في كل انحاء الدولة دلت على الاختلاسات الهائلة التي قام بها هذا الوزير مستفيدا من الثقة التامة التي اولاه اياها

الله عنه السلطان .

ان واردات وزراء الدولة العادية و " البرانية " هي شبيهة بواردات الصدر الاعظم . فالكيفية بان يتناول من كل الموظفين الجدد عند تعيينهم مبلغا يتراوح بين ربع وثلث او نصف ما كانوا قد دفعوه للصدر الاعظم . فباشاوات الطوغين يقدمون له ٢٥٠٠ غرش ١ ويدفع له باشاوات الثلاثة اطواغ ٧٥٠٠ غرش . وياخذ من الصدر الاعظم عشرة بالمئة من وارد جزيرة قبرص الصافي . ولا يتناول الرئيس افندى مالا الا من حكام الولايات الجدد فيدفع له الباشاوات ثلاثة الاف غرش والميرميرانيين خمس مئة . الا ان حقوق المستشارية وغيرها تجلب له منافع كثيرة . ان واردات الشاوش باشي ليست اقل من واردات زميله . ياتي قسم من هذه الواردات من الضرائب النسبية التي له على الاموال التي تفرضها المحاكم على اصحاب الدعاوى مع العلم بان امر تحصيلها راجع لدائرته . وعمد يتناول الف غرش من الباشاوات المحدثين ومشتين وخمسين من " الميرميرانيين " . ان هذه الرسوم المفروضة على الوظائف جارية ايضا لدى رؤساء الدوائر الذين يتناولونها من اصحاب الوظائف المتعلقين بدوائرعهم . من كل هذا يمكننا تصور هذه الرشوة التي تسيطر على كل دوائر الحكومة .

الباب الثالث

الوظائف السنوية

هناك ثلاثة اقسام من الموظفين : رجال الشرع والعلماء واهل السيف واهل العلم .
القسم الاول منوط امره بالمقتي والقسمان الاخران رئيسهما الصدر الاعظم وموئلفان من خمسة
وثمانين موظفا ينقسمون الى ثلاثة فروع .

الفرع الاول : مؤلف من ثلاثة وزراء وستة امداء سريديون (قبورجالي) اى كبار موظفي
الباب الدمالى وقد تكلفنا عنهم في الباب السابق .

اما الفرع الثانى فانه مؤلف من اثنين وخمسين موظفا يشار اليهم باسم (خوجوات) (١)
وينقسمون الى اربع طبقات :

الطبقة الاولى و هي مؤلفة من خمسة من كبار الموظفين :

(١) - الدفتردار الاول وهو وزير المالية وسنعرض لعمال وظيفته في الفصل الذى
يبحث عن دائرة المالية .

(٢) - الدفتردار الثانى ليس له من عمل سوى الاشراف على ادارة جباية الرسوم الجديدة
التي وضعها السلطان سليم الثالث والمسماة " النظام الجديد " .

(٣) - الدفتردار الثالث مناظر شؤون اعاشة العاصمة ولهذا فانه يسمى " حبوبة ناظرى " .

(٤) - " النيشنجى " وهو مخصص لوضع شارة السلطان على الرسائل واوراق الاعمال والوامر

المصادرة عن العرش . وهذه الشارة تسمى نيشان او توقيع او طغرة ومنها يشتق اسمه ويلقب
بالاسماء الثلاثة . كان يحق له فيما مضى فحص ومراقبة كل الاوراق التي تمر عليه ليضع عليها رمز
السلطان . وهذا العمل يعطيه نوعا ما حقاً في تفتيش الدوائر التي تصدر عنها هذه الرسائل

والاوراق . الا انه فقد هذا الامتياز في زمن السلطان احمد الثالث . ورتبته متساوية ورتبة
الدفتردار الاول بالرغم من ان هذا الاخير كان فيما مضى ارفع شأنا منه وقد حصل هذا التعادل
في زمن السلطان سليمان الاول بمناسبة الحادثة التالية (وهي انه كان يخدم عند النيشنجى

مصطفى احدى رجل يدعى نوبهارزاده بك بوظيفة امين سر او مساعد ثم بواسطته تعيين هذا

الاخير في دائرة المالية وترقى من درجة الى اعلى حتى وصل الى رتبة دفتردار اول . الا انه رقى ان يتخلى والاصول المرعية في ان يتقدم على الترشح وقال له بانه يفضل ترك منصبه من ان يفعل ذلك نحو محسنه وسيد القديم . فطرب السلطان سليمان لهذه البادرة وامر ان الاقدم من هذين الوزيرين خدمة يتقدم على زميله .

هـ - "الدفتراميني" رئيس الدائرة المسماة بالدفترخانه وهو مستودع عام للسجلات القديمة ولقائعات اسما املاك الدولة . وينقسم الى ثلاثة مكاتب تسمى اجمال ومفصل وروزنامجي ففي الاول سجل الولاية وتقسيماتها وحدودها مع سجل الاراضي المستملكة امامك سلطاني او تلك اقطاعي من قبل الباشوات او تلك اقطاع عسكري . وفي الثاني السجلات المتعلقة باراضي الاهالي وتنقسم الى قسمين الاولى تدفع العشر والثانية تدفع الضريبة . وتحفظ في الثالث سجل التعيينات التي تحصل بين ملاكي الاقطاعات العسكرية . ويشتغل في هذه المكاتب مئة كاتب تقريبا . ان رؤساء هذه الدوائر الخمس هم مستشارو الدولة ويرتدون في الايام الرسمية كما يرتدي الرئيس اقدى (الذي لا يتقدم عليه سوى الدفتردار الاول) ثيابا حمراء من الحرير الاطلس . اما بقية موظفي هذه الدائرة فتكون ثيابهم بنفسجية اللون . ويتمتع هؤلاء الرؤساء بائتيار تقديم احتراماتهم للسلطان في اول يوم لانعقاد الديوان بعد تعيينهم . ويكون ذلك بالانحناء امام باب قاعة العرش .

اما موظفو الطبقة الثانية فعددهم ثلاثة وهم :

- (١) البيوان روزنامجي * رئيس مكتب الدفتردارية الاول .
- (٢) * الباش محاسبجي رئيس مكتب الدفتردارية الثاني . وهي الرتبة التي يعطيها السلطان عادة لوزرائه المفوضين في بلاطات الحكومات الاجنبية .
- (٣) * الاناضولي محاسبجي * رئيس المكتب الثالث .

اه هؤلاء الموظفين الثلاثة هم ايضا مستشارو الدولة ويسمح للاول منهم بتقديم احتراماته للسلطان بعد انعقاد الديوان الاول مرة والذي رجلا جرى فيه امر تعيينه .

اما الطبقة الثالثة فمؤلفة من ستة موظفين : الاول هو " الترانة اميني " وكيل اماره البحر يقوم بموظيفة وزير للبحرية . اما الخمسة الآخرون فهم موظفي السراي وهم " الجهر اميني " .

" والزرايع خلد اميني " والمطبخ اميني " والعريه اميني " والمصرف شهري .

واخيرا فالطبقة الرابعة مؤلفة من ثمانية وثلاثين موظفا . منهم اثنان وعشرون رئيس مكتب
في دائرة المالية . وثمانية رؤساء مكاتب الذين يقومون على مراقبة فرق المشاة الاربع ومكاتب

الخيالة الاربع المضمومة الى السباحية والسلاحدارية . واربعه موظفين في اماره البحر وهم :

" قليون لركاني " وعبرلر اميني " وعبرلر ناغري " وترسانة رئيسي " . واربعه وكلاء وهم :

" الطويخانه ناغري " المفتش على المركز الرئيسي لصب المدافع . والي السرجي ناغري .

مراقب ما يدفع وما يقبض من الاموال في الخزينه . " والكياغيد اندرون اميني " يقوم بتامين

كل ما يلزم من اوراق واقلام وغيرها لمكاتب الموظفين . " والكياغيد بيرون اميني " جابي الضرائب

الضرائب التي يجب ان يدفعها الملاكون الجدد للاقطاعات العسكرية .

اما الفرع الثالث فانه مؤلف من عشرة عسكريين واربعه عشر موظفا مدنيا يدعون الاغاوات

من القسم الاول الرؤساء الاربعه لجيش المشاة ورئيسا الفرسان وقواد الاربع فرق المضمومة

الى السباحية والسلاحدارية . ثم يأتي بعد هؤلاء لغاوات البلاط الخمسة الاولين ثم المير علم

اي رئيس الحجاب والبستنجي باشي وعمو باي واحد موظف عسكري ومدني . ثم مشير البلاط

واقنان من حاملتي السلاح وبعدهم اثنان من الموظفين يجمعون اموال واردات الدولة ثم

وكيل الخزينه العام والرؤساء الثلاثة لمعامل المبارود في الاستانة وسالونيك وغليبولي .

ولقبهم " بارودخانه اميني " واخيرا يدخل في هذه الطبقة معهم ايضا وكيل التعيرات

العام " معماراغا " ووكيل جمرات الاستانة . " جمرات اميني " ووكيل المصالح " قصاب باشي " .

وهو يقوم بتامين اللحم لمطابخ القصر ومطابخ الانتداب الخ

ان هذه المناصب الخمسة والثمانين هي الوحيدة في العاصمة التي تقلد بفرمان سلطاني

وهي تُغير كل سنة وبإرادة الصدر الاعظم الذر يثبت الموظفين او يرفقهم او يعزلهم . فتوضع

لائحة " توجيهات دفترى " باسماء كل الوظائف مع اسماء الذين ثبتوا في مراكزهم او الذين ~~غير~~

عينوا من جديد . وعندما يريد الصدر الاعظم خلع احد كبار الموظفين يضع لائحة فيها

ثلاثة اسماء يدل الاخير منهم ^{على} اسم الشخص الذي يفضل . وبوافق السلطان عادة على هذا

الانتقاء بان يشطب على الاسمين الاولين ويخط في اعلى الورقة ما يلي : " مجنبجي توجيه ~~ال~~

اولونا " اى فليولى اذا .

ان وضع هذه اللائحة يسبب دائما مشاويرا شديدة في الدس والكمد والطمع وعندما يخط
السلطان كلمته عليها يعين يوم التخصيب ويكون عادة اليوم الثالث او الرابع من عيد الفطر .
وبما انه على كل شخص يعين في منصب ما ان يتبلغ التعيين من الصدر الاعظم ذلك بان
يخلع عليه هذا الاخير خلعة سنية فان الكيخية بك يدعو الاشخاص الذين وقع الاختيار عليهم
للذهاب الى قاعة الصدر الاعظم الذى يكون حالما في ركن الاريكة محاطا باضاء سر المستشارة
وبكار موظفي حاشيته وعن يمينه الرئيس افندى ورئيس التشرىفات ويكون الكل وقوفا . وتوضع
على يساره على الاريكة رزمة الفرمانات ثم على بعد قريب منها الخلع متراسة يقف قريبا منها
" القفطانجى باشي " فيدخل الموظفون الجدد كل بدوره حسبما هو مرتب على اللائحة فيعلن
الرئيس افندى لكل واحد منهم المنصب الذى راق للسلطان تعيينه فيه . فيقبل التعيين مع
الخلعة ثم يذهب ليقبل ثوب الصدر الاعظم الذى يناوله امر التعيين ويعددها ينسحب من
المكان . ان اول شخص يتقدم هو الكيخية بك وهو الوحيد الذى تمنح له فروة من جلد السمور
اما البقية ومن بينهم الرئيس افندى فلا يضحون غير الخلعة اى " القفطان " . ويكون موظفو
السراى موحدين ايضا ليتبلنوا تشييتهم عدا البستنتجى باشي الذى بسبب طبيعة اعماله
كما اننا ذكرنا لا يظدر امام الناس ، الا ان " القفطان " الذى يمنح له يعطى لوكيله . وهناك
ثلاثة عشر موظفا رواتبهم ضئيلة لذلك فانه يحق لهم اذا ارادوا عدم الحضور لاختد الخلعة
هذه لا يعفيهم من دفع المال لروؤسائهم بسبب تعيينهم . وبما انه على كل موظف ان يضع
عندما يتبلغ امر تعيينه العمامة الخاصة بخصمه فانه يوجد في قصر الصدر الاعظم اناس مميون
خصيصا لتقديم مثل هذه العمامات .

ان ثياب الشرف هذه المسماة باللغة العربية خلعة كانت مستعملة لدى الخلفاء سابقا
وفي بلاطات البنزطين حيث كان هذا الاسم يلفظ *kalma* ومن هذه الكلمة مشتقة بدون شك
كلمة *gala* الى احتفال او عيد . وعند العشمايين اربعة انواع من الخلع وهي : " خاص الخاص " و
" قوجكان " " والاعلى " والسادة " اما الفراء التي استعملت منذ حكم السلطان محمد الثاني
فلا تمنح لغير كبار الموظفين . وتكون من جلد السمور او من جلد الثعلب الابيض او جلد الفهد او

او السنجاب الخ . . . تبعا لرتبة الذين تمنح لهم . وتخصص الفراء من جلد السنور لكبار الموظفين امثال الصدر الاعظم والمفتي والباشاوات والعلماء من الرتب الثلاث الاولى . ان قماش فراء الصدر الاعظم والباشاوات ~~وكذلك~~ تكون من الحرير الابيض . ومن القماش الازرق للمفتي ومن الاخضر للعلماء . وهناك نوع من الفراء من درجة ممتازة لا يمنحها السلطان الا لثلاثة اشخاص : للصدر الاعظم وللقائم مقام ولاعا الانكشارية الذين يرتدونها في مناسبات خاصة . وتسمى *Cafianitza* وتختلف عن بقية الفراء بان يكون لها طوق عريض من الفرو يتدلى على الظهر ومحلة بمشاياك من الذهب . فالتى للصدر الاعظم تكون من الجوخ الاحمر والتي لدائبه من الجوخ الاخضر اما فروة اعا الانكشارية فتكون من الجوخ القرمزي وعليها جلد فهد . وتعطى الفراء والخلع ايضا لمن يمتاز بتفوق . وتشبهها بالخلفاء العرب منح كثير من سلاطين آل عثمان الموظفين الذين يريدون مكافاتهم بيدها خمس او ست خلع الواحدة فوق الاخرى . وكان من عادة السلطان عثمان الاول منح عمالة او ثوب ما كان قد لبسها هو كاشارة لعطفه . وبعد حفلة التعيين او التنصيب يمنح الصدر الاعظم وبحضوره وحسب لائحة اخرى اكليليا تحوى خمس مئة او الفا او القى ذهب على الاكثر لقدماء الموظفين الفقراء من الذين ابين شمرهم وهم في الخدمة . ويرتفع مجموع هذه المنح كما لاحظنا سابقا الى مئة وعشرين الف غروش .

ان حكام الولايات لا يعينون ايضا الا لمدة سنة ويجرى تعيينهم ~~بهم~~ ^{نفس} بالمراسيم ولكن بعد عيد الاضحى ويقوم وكلاؤهم بتقبلهم لدى الباب العالي . واذا كان احد هؤلاء الوكلاء يمثل ~~بغض~~ ^{بغضه} بالوقت عددا من الباشاوات فانه ياخذ خلعة لكل واحد يشله . ولا يفقد الموظفون عادة مراكزهم اى ان يعزلوا في الوقت المخصص لتعيين الموظفين الجدد ان الذين يتناولون من الموظفين مالا وقت تعيينهم يحاولون ان يشبوا القدماء في مراكزهم وقت التعيين فياخذوا منهم المترتب عليهم دفعه . وقد يهدف ويعزل هذا الموظف القديم فيرخلال السنة ويعين اخربدا منه ~~المنع~~ ^{المنع} عليه ان يدفع كما ذكرنا مالا لروؤسائه . ~~بمكافاة~~ ^{بمكافاة} وان هؤلاء يتمكنون من اخذ خريبة المال مرتين بدلا من مرة واحدة . ان معظم الموظفين الذين يدفعون ثمن تعيينهم لا يتناولون راتبا محددًا عند تنصيبهم

او اذا ثبتوا في مراكزهم . بينما ان امير البحر وروثاء الجيش وروثاء الدوائر وحكام الولايات
يوكدون بطلب مال التعمين من مروثسيهم . ان هذه الطريقة في بيع المناصب ادخلها على
الدولة الصدر الاعظم الجندري زادة علي باشا زمن حكم السلطان بايزيد الاول واثبتها رسميا
رستم باشا وزير السلطان سليمان الاول . وعلاوة على هذا الدخل الذي ياخذها الروثاء وقت ~~تكميل~~
تعيين الموظفين فانهم يتداولون ايضا مالا اضافيا اذا ارادوا منح المناصب الكبيرة للرج .
وان اذا صدف وخلص الروثاء من مناصبهم فانه على الموظفين ايضا ارضاء الروثاء الجدد بدفع مبلغ
من المال . ان الرشوة في سبيل المناصب وعدم ثبات من يكون فيها تسبب دائما كثيرا من
الدسائس والمؤامرات التي تقلق دوما السراى والباب العالي . وبما ان الاستحقاق الشخصي ليس
له اعتبار زاعمة امام الطماعين من الروثاء فان المناصب المهمة تمنح لاشخاص غير اهل لها .
وتستقر بهم ~~الموظفين الرسميين~~ الاستفادة مدة توليهم فيحصلون المال بسرعة مفتنمين كل الفرص والمناسبات
التي تهى لهم من جراء الظلم والفسوس .

ان تواريخ الدولة تشير الى حصول ارتشاء كبير يستحق الذكر زمن مراد الثالث ^{بني}
كان والحق/سلطانا طمعا وفاسقا . وذلك ان الدولة ارادت عام ١٥٩٢ عزل ^{بني} غرابلس الشاب بسبب
اختلاسائه فاخذت جموع المتقدمين لهذا المركز تسعى للحصول عليه وتدفع الاموال الطائلة .
فوجد واحد منهم ويسمى حسن باشا الوسيلة الناجعة بان وضع في قاعة الديوان عشرة آلاف
فندقلي (سيكان) كعانة اولى يقدمها لمساعدة الدولة . فامر مراد الثالث بدون تردد اعطاء هذه
النقود لموظفي مائتته من اصل المبلغ الذي لهم عنده وان يذهب حسن باشا لاستلام مهام
وظيفته في غرابلس .

ان الموظفين المدنيين والعسكريين يعتبرون معا حسب العادات الشرقية عبدا للسلطان
ويلقبون بهذا الاسم "قول" اي عبد في جميع اوراق الدولة . وان اذا اراد الصدر الاعظم في تقاريره
للسلطان التكلم عن شخص ما فانه لا يستعمل ابدا غير هذه الكلمات (فلان عبدكم) والسلطان
نفسه عندما يتكلم عن كبار موظفيه بدعوتهم عبيده . وكان سفراء ملوك اوربا ينعتون بهذا الاسم ايضا
ولم يبطل استعماله نحوهم الا زمن السلطان محمد الرابع . وقبل هذا الزمن كان وزراء الباب
العالي يكتبون في تقاريرهم للسلطان : " سفير الدولة الغلاتية عبدكم " وهذا الاصطلاح مستعمل
بصورة عامة بين العثمانيين . ان ليس من قولهم الادب عندما يتكلم احد الناس شخصا ارفع منه

مقاما ان يخاطبه بصيغة المفرد انما يقول : "عبدكم وخادمكم" .

عدا هذا فان كل رعايا السلطان متساوون عنده . وكلهم مقبول لتسلم مناصب الدولة . وقد حصل في احيان كثيرة ان يترقى احد الاشخاص بمدة قصيرة الى ارفع المراكز ويكون من اصل وضيع . كما يحصل ايضا ان يتاخر كبار الكوالموظفين الى مراكز ضيعة ويجدون انفسهم مجبورين على تقبيل شوب من كانوا في اليوم السابق من عداد مروسيهم . وان امير بحر معزول لا يتردد بقبول احدي السفن كما يذهب انا الانكشارية المغضوب عليه الى قيادة حامية احدي مراكز الحدود . ويعتبر الصدر الاعظم العقال من منصبه نفسه سعيدا اذا حصل على حكم احدي الولايات . ان عدم استقرار الموظفين في مناصبهم يقتل مواهبهم فتراهم ينقلون من مراكز الى اخرى كأنه بمقدورهم العمل في كل المناصب . الا ان العلماء وحدهم يشذون عن ذلك ولا تتبدل مناصبهم .

ان المعاملات الشائنة التي يعامل بها الموظفون حتى الذين هم من اعلى المراتب منهم عندما يغضب عليهم السلطان اوروساؤهم تدل على خشونة عادات اهل البلاد . فكثير من السلاطين وبصفة خاصة محمد الثاني وسليم الاول تعودوا اذا كانوا في حرب وغضبوا على الصدر الاعظم ان يهدموا على حين غرة خريسته وهو موجود فيها . واذا غضبوا على احد الباشاوات او احد القواد فانهم يامرون بقطع اثار ^{بردة} جوله . وقد حدث في احدي غزوات محمد الثاني على بلاد قزمانيا ان اظهر جنود الانكشارية حركة يريدون بها طلب مكافاة على اعمالهم فامر رئيس الانكشارية بوضع كل قائد "اورطة" في الفلقة وجلده على رحليه . وفي عام ١٦٢٣ امر الصدر الاعظم حسين باشا بجلد احد ^{للمل} الامراء (بيكلربك) على رحليه وقضى هذا نجبه وهو يجلد . وامر بعد بضعة ايام بجلد احد كبار القضاة

وكان من الاشرف من سلالة النبي . وفي سنة ١٦٤٨ زمن السلطان ابراهيم الاول امر الصدر الاعظم احمد باشا بجلد احد اخوته وكان كخيته مثني جلدة وامام كل رجال حاشيته . وفي سنة ١٦٤٨ اساء كبير من قواد السفن التصرف امام اسطول البندقية فغضب امير البحر ونزل في جزيرة "شيو" وجمع كل قواد اسطوله وعجم عليهم وبيده عصا وارهقهم ضربا . ثم امر بوضع كبير منهم في الفلقة وجلدهم مئة وخمسين جلدة . وكان من عادة الصدر الاعظم محمد باشا انزال مثل هذه العقوبة في قاعة ديوانه ^{على} جميع الموظفين بدون استثناء . وتذكر التواريخ ان ^{احد} وكلاء الخزانة البحرية مات سنة ١٧٠١ وهو يعاقب بهذه الطريقة وان احد مفتشي الانكشارية غل مريضا

بعد عادة اشهر .

وانا اراد احد السلاطين ارشاد عماله للقيام بوظائفهم خير قيام يكون ذلك بتهديدهم
 شر تهديد . وان رسائل النصع التي يبعثها السلطان لكبار موظفي الدولة تنتهي عادة بمثل هذه
 الكلمات : " سيماقب كل منكم بشدة حسب مركزه وحسب حالته اقسم على ذلك بروح اجدادى ؟
 وعندما رفع السلطان محمد الثالث سنة ١٥٩٨ جراح محمد باشا الى رتبة الصدارة نصحه برسالته ان
 يخدم مصالح الدين والدولة خير خدمة ثم قال : " اعلم بانني لم اقسمت بارواح اجدادى بان لا اغفو
 عنه عن صدر اعظم بل اعاقبه شر عقاب لاي مخالفة يرتكبها وسوف يعدم ويقطع جسده ويلعن اسمه .
 وكتب السلطان احمد الاول سنة ١٦٠٣ للقائم مقام الذى عين مكان الصدر الاعظم وكان اتيا من مصر
 ما يلي : " اعلم يا قاسم باشا بان والدى السلطان قضى نحبه بمشيئته تعالى وقد اقامت مكانه على
 العرش السلطاني . اجتهد بان تكون العاصمة هادئة ولا تهمل شيئا بهذا الخصوص . وانا حصل اى
 خلل لا يكون الموت غداك " وعندما كان محمد الرابع قاصرا والت اليه السلطنة وعمره سبع سنوات
 كان يقول في كل مناسبة لوزرائه وكبار موظفيه بانه سوف يقطع رؤوسهم ويصحب انذاره هذا
 بحركة من يده تشير الى ذلك .

ان حياة ومال الموظفين هما تحت رحمة السلطة . فان اموالهم باستثناء العلماء تستغنى
 عند موتهم ان لم تستصف وهم احرأ . لذلك فهم يستعملون جميع الطرق لانقاذ بعضها . فينتحلون
 على انفسهم الديون لكيما يقسموا عند الحاجة بانهم مدينون . ويطمرون جواهرهم والذهب الذى عندهم
 ويحتاطون دائما بحمل بعض الاشياء الثمينة وذلك خوفا من ان ينقوا على حين غرة . وهم يوقفون الاموال
 على الجوامع ليؤمنوا دخلا للاسخاص الذين يريدونهم ويعينونهم بنفس الوقت وكلا على هذه الاموال
 الموقوفة . وهم يوقفون عقاراتهم على هذه الاماكن الدينية لكي يؤمنوا ايرادها لاولادهم وهذه العملية
 تنتهي بتحويل كل املاكهم الى وقف . وهم يضعون الاموال او يكتبون العقارات باسماء اقرب
 اهلهم اليهم او باسم اصدقائهم المخلصين . وفي حال عدم وجود براهين قانونية تظل اموالهم
 هذه بعيدة عن اى ضبط او حجر . ولكن عندما يصدر الامر بضبط املاك موظف كبير توفي او غضب
 عليه فان الدولة تستعمل احيانا طرقا قاسية جدا وذلك ان رجاله مثل نائبه ووكيل ماله وامين
 خزينته يعذبون بشدة الا اذا اقروا بما يمرقون عن ثروة رئيسهم . وهكذا فان استصفاة الاموال

يمنع العائلات من ان تصبح قوية بفضل ثرواتها . وهذا العمل يدر المال على الخزينة ويساعد
في تطبيق سياسة حذرة تمنع في ان يحصل الافراد على مكانة سامية . ولهذا السبب فان الله
الجلالين لم يعطوا قط ارضا ما لشخص بصورة دائمة بل تكون ^{لوقت} مؤقتة معين . والقانون المدني
يرمي الى ^{نفسه} تغيير الناحية وذلك انه لا يعترف بحقوق البكر من الابناء ويامر بتقسيم الارث بين الورثة
من الجنسين .

وتبلغ كبار الموظفين اقلتهم من منصبهم بامر يوجهه لهم مساء الصدر الاعظم يطلب منهم
عدم الذهاب في اليوم التالي الى دوائرهم ، والذين يعينون في احدى المناصب يتبلغون امر المثل
امام الباب العالي . وتكون رتبة الرسول الذي يحمل امر العزل والتعيين مناسبة دائما ورتبة الشخص
الذي يذهب لتبليغه . والرئيس اقنودى هو الذي يذهب ويبلغ احد العلماء خبر تعيينه مفتيا
ويبلغ المفتي المعزول خبر عزله بواسطة الشاوش باشي . ويوكل للباشي باشي كما لاحظنا سابقا
امرتوقيف الصدر الاعظم المعزول . ويذهب احد كبار موظفي السراي ليقدّم لخلفه الخاتم الممايوني
وتمتاز كل طبقة من الموظفين عن غيرها بنوع خاص من اللباس يختلف عن غيره بالتفصيل
ونوع القماش ولونه ونوع الفراء . فيلبس الموظف حسب مركزه اما القطيفة او الديباج او الجوخ او الوبر
واما فراء السور او الثعلب الابيض او السنجاب او الفهد . وهناك اسماء خاصة لمختلف انواع الثياب
كما هناك اسماء خاصة ايضا لانواع العمام .

الباب الرابع

الديوان

ان كلمة ديوان معناها باللغة العربية مجلس وجمعية ومجمع وهذا ان اصلها الخليفة معاوية على مجلس شورى دولته ^{نفسه} وكان بنفس الوقت محكمة للمعدل اصبحت تشير الى اجتماع الحكام الاداريين والقضاة للشورى . وقد انشا قاع القسطنطينية ديوانين احدهما في السراى والاخر في قصر الصدر الاعظم . وكان الاول بنفس الوقت مجلس شورى الدولة ومحكمة عليا ومركز الادارة الحكومية حيث ترسل اليه اهم شؤون الدولة . ولهذا السبب كان "الخوجوات الاوليين" اى رؤساء دوائر المستشارية والدفتردارية ودائرة المستندات القديمة كانوا يشتغلون في عرف مجاورة لقاعة الديوان . وكان السلطان يجلس على مرتبة عالية ويرأس المجلس .

كانت قاعة الديوان ^{مجلسه} في بادىء الامر في باحة السراى الاولى . ثم شيد سليمان الاول في الباحة الثانية قاعة ذات قبة مزخرفة باثمن الزخارف جعلها مركزا للديوان . ووضعت المستندات القديمة في بنائين محاورين لايزالان حتى الان يخدمهما الصدر الاعظم بخاتمه . وقد خصص هذا السلطان للديوان امر النظر في كل الشؤون السياسية . وكان يحضر المجلس ويقعد وراء نافذة محجوبة كائنة فوق مقعد الصدر الاعظم فيكون بذلك مشاهدا غير منظور لاحكام ومناقشات لعضاء المجلس .

ظل الديوان مدة طويلة يتألف بصورة خاصة من وزراء يطلق عليهم لقب وزراء القبة نسبة الى شكل قاعة المجلس . ولم يكن هناك حتى زمن سليمان الاول سوى ثلاثة وزراء ثم زاد عددهم ووصل الى تسعة ومن ضمنهم الصدر الاعظم (١) . ويدعون الوزير الاول والثاني والثالث الخ . . . ويعملون في اوقات الحرب كمواد للجيش تحت امرة السلطان او الصدر الاعظم ويرأسون احيانا قيادة الجيش مباشرة اى لا يعملون تحت امرة السلطان او الصدر الاعظم فيحملون ان ذاك لقب "سرعسكر" . ان الاضرار التي نتجت عن تنافس هذا العدد الكبير من الوزراء ادى في بادىء الامر الى تقليل عددهم ثم بعد ذلك الى ازالته جميعا ^{وقد حصل ذلك في عام ١٥٤٤} وحصل ذلك في عام ١٥٤٤ ثم جاء بعده السلطان سليم الثاني وعين

(١) وقد عين هذا السلطان وزيرا رابع عام ١٥٣٩ وخامسا عام ١٥٤٤ ثم جاء بعده السلطان سليم الثاني وعين وزيرا سادسا ثم سابعا سنة ١٥٦٧ ثم عين مرارا للربع الاثني الاخيرين عام ١٦٢٦ و١٦٢٩ و١٦٢٢ اما لباسهم فهو كلباس باشاوات الاطواغ الثلاثة اى كساء من الحرير الاخضر عليه فراء من جلد السمور .

ضبط الصدر الاعظم * الشهيد علي باشا * . ومنذ ذلك الوقت أصبح لا يحضر الديوان سوى باشا واحد يحمل لقب وزير وهو امير البحر .

كان يجتمع الديوان حتى ذلك الوقت عدة مرات في الاسبوع الا ان السلطان احمد الثالث امر الا يجتمع الا كل يوم ثلاثا . ثم اخذ خلفاؤه من بعده يقللون من اوقات اجتماعه الى ان أصبح في وقتنا هذا لا يلتئم الا مرة واحدة كل ستة اسابيع . وبالرغم مما كان يصحب هذه الاجتماعات من الابهة والاحتفالات مع مراعاة شديدة للتقاليد المرعبة فانها ليست سوى صورة لاغير لتلك الاجتماعات القديمة .

وهناك نوعان من الدواوين . الديوان العادي وهو بمثابة محكمة للعدل في ايامنا هذه . وعلى رؤساء الادارة ان يقدموا في غرقت متصلة بقاعة الديوان لكي يكونوا قريبين لاعطاء المعلومات ولتلقى الاوامر اي كما كان ذلك يحصل سابقا . ويوجد في قاعة الديوان من جهاتها الثلاث اريكة منطاة بالجوخ المذهب . يحتل الصدر الاعظم اوسطها ويجلس عن يمينه امير البحر وعن يساره القاضيا عسكر . اما النيشنجي فانه يجلس على الاريكة التي الى جهة اليمين . والتي الى جهة اليسار يجلس عليها الدفترداريون الثلاثة . ولا يتألف المجلس الا من هؤلاء الموظفين الثمانية الا اذا كان هناك في المدينة باشاوات من ذوي الاطوار الثلاثة اذ يمكنهم حضوره لانهم حسب رتبهم يعتبرون من اعضاءه مذ ولدوا . ويكون جلوسهم قرب امير البحر . ويكون الجميع بالملابس الرسمية ويجلسون على الطريقة الاوربية . ويلبسون في ارحلهم الجزمات طبعا للمادة العسكرية القديمة التي تقضي بلبسها عند المشول في حضرة السلطان . وعندما يحضر السلطان المجلس فانه يقف وراء نافذة محجوبة بشعيرة مذهب كائنة فوق مقعد الصدر الاعظم كبت فوقها باحرف ككبيرة ايات قرآنية تنصح باتباع الفضائل التي تؤدي الى الحكم العادل . ويكب على جالبي النافذة شعار السلطان باحرف ذهبية .

ويقف رؤساء الجيش واشهر قواد الانكسارية جهة اليمين تحت الروايات الداخلية التي تحيط بالباحة الثانية . ويكون على مسافة قصيرة منهم الف ومئتان من عساكر الانكسارية . ويقف الى جهة اليسار رؤساء وقواد فرق الخيالة كما يقف عدد من الـ *Péris* والشوالم والقبوجية وحاملي السلاح . ويصطف المم باب السعادة ثلاثون من رؤساء الحجاب ويركب اثنا عشر من السلاحدارية الخيل المجهزة باثمن عدة ويصطفون على شكل دائرة . ويختم اثنا ذلك على القصر سكون عميق .

وهناك طقوس مخصوصة تتعلق في الاحوال المتعلقة باجتماع اعضاء المجلس الذين عليهم ان يحضروا بتتابع مبتدئين باقلهم رتبة . فاذا جاء احدهم متاخرا عليه ان يقف امام باب القصر الثاني الى ان يسمح له رئيس التشرفات بالدخول . ويقف مهيأا القصر امام باب القصر الثاني لاستقبال الدفتردار الاول والرتب افندي والقاضي عسكر وامير البحر . ثم يتقدمانهم وهما يضربان بعصاهما على الارض الواحد ^{بعده} الاخر . وعندهم وصولهم يقف كل منهم حسب رتبته على ابعاد مختلفة من باب الديوان الذي يتميز عن غيره بوجود ثلاثة عواميد صغيرة من الرخام . ويجب ان يقف الاعضاء امام السمود الثالث وان يلتفتوا نحو باب السعادة وينحنوا ويجبروا باحترام نزاد مكان سكن السلطان .

وعندما يحضر امير البحر يدع رسول بسرعة حاثا حواء نحو قصر الصدر الاعظم ليخبره بحضور جميع اعضاء الديوان . وعندما يصل يصبح عالبا " استعدادا " عندها يتحرك مكب الصدر الاعظم المؤلف تقريبا من جميع موظفيه . ويرافقه الكخبة باحتياق باب السراى الثاني ثم يرجع بسرعة الى الباب العالي ليقوم مقام رئيسه أثناء غيابه . فيجتاز الصدر الاعظم باحة القصر الثانية ماشيا لانه لا يسمح لاي كان عد السلطان من اجتيازها راكبا (١) . فيتقدمه مشيرا القصر ويخطي عو بخطى وثيدة يحده القواد والحنود ثم ينحني بكل اجلال نحو باب السعادة ويدخل قاعة الديوان فيستقبله الاعضاء ^{بأسلحة} الموظفين وهم مصطفون على جانبي المدخل . تبدأ بعدها الجلسة ويكون واقفا في اخر القاعة اربعة من الموظفين وهم رئيس التشرفات ووكيل الخيم ونائباهما .

تبتدى الجلسة عند بذوغ الشمس بفحصر الاختام الموضوعة على المستودعين اللذين تحفظ فيهما المستندات القديمة ، فيفرض الشاوش باشي الاختام باعتداهما للصدر الاعظم ليراهما . وفي اخر الجلسة يقدم له غذا خاتمه ليعيد الاختام . بعد ذلك يدخل اصحاب الشكاوى اللذين اخذوا الاذن من الشاوش باشي للمشول امام مجلس العدل هذا . فيقوم رئيسا الاستدعاءات ويقرآن بصورة متتابعة دعاويهم ويكتبان اوامر الصدر الاعظم عليهما ثم يوقع عليهما هذا الاخير بيده . فالمسائل المدنية يقضي بها القاضيا عسكر ولكن شكلا فقط ان عليهما بعد انقضاء المجلس ان يفحصاها في دوائرهما الخاصة . ويكون عمل النيشنجي في وضع شعار السلطان على اوراق الاوامر الجديدة . ويحضر امير البحر والدفترداريون ^{والثلاثة} كمتتبعين فقط الا اذا وجه لهم

(١) ولم يشذ عن هذه الاصول المرمية سوى الصدر الاعظم الحاج محمد باشا لما كان راجعا سنة ١٢٢٩ من الحدود بعد صلح بلخراذ اذن له السلطان محمود الاول كدليل على عطفه عليه بالتقدم راكبا حتى باب القصر

الصدر الاعظم بعد الاستئذان المتعلقة بدوائرهم . ولا تدوم هذه الجلسة عادة غير ساعة واحدة . اما اصحاب الشكايات الذين لم ينظر في امورهم فانهم يحولون الى ديوان الباب العالي .

ثم يحضر الطعام وتنصب ثلاث موائد صغيرة واحدة امام الصدر الاعظم الذي يكون معه النيشنجي والدفتر دار الاول . والثانية امام امير البحر والدفتر الثاني والثالث . والثالثة امام قاضي العسكر . اما الخوجوات فانهم يتناولون الطعام في عرفتهم التي يشتغلون فيها . وياكل لغايات الانكسارية والسباهية والسلاحدارية مع قوادهم تحت الرواق . ويقدم الطعام ايضا لجنود الانكسارية ولكن بصورة غريبة اذ يضع خدام المطابخ في وسط الباحة ست مئة وعاء من النحاس مطوية بالشوربا . وامام كل وعاء ثلاث قطع كبيرة من الخبز . وعندما تعطى لهم الاشارة يهجمون على الطعام فيحملونه ويرجعون به الى مراكزهم لتناولهم ويكون ذلك بمعلق خشبية يضعونها داخل الانبوب النحاسي الموجود في قلائسهم المخصصة للحفلات وهم يرفضون وعندما يكونون ستائين من السلطان تناول الطعام المقدم لهم . وهذه الاشارة السابقة للعصيان تنشر الذعر في القلوب .

وبعد ان ينتهي الصدر الاعظم من تناول الطعام يطلب خطيبا الاذن للمشول بين يدي السلطان وهو يستعمل دائما من اجل ذلك هذه السبابة : " على اعضاء الديوان ان يبتغوا سعادة وضع جباههم فوق عيار قدمي السلطان المعظم سيدهم ورئيسهم " ثم يتقدم بكل رصانة الرئيس افندي الذي خط هذه العبارة فيناولها للصدر الاعظم الذي يلقي نظرة عليها ويضعها داخل منديل حريري ثم يقف هو واهل المجلس ويتناول الخاتم الهمايوني من صدره فيقبله ويضعه على راسه ثم يختم الرسالة التي يحملها الرئيس افندي ويعطيها لمشير السراي الذي يكون مع الشاوش بانسي امام مدخل القاعة . فيذهبان معا ويقدمانها للسلاحدار اغا اول رئيس الخصيان السود وهما الوحيدان اللذان يمكنهما اعطاءها للسلطان الذي يكتب في اعلاها موافقته لطلب الصدر الاعظم . ثم يرجع الرسولان ويعلنان قدومهما بضرهما الارض بعصيهما . فيخرج الصدر الاعظم لملاقاتهما حتى باب القاعة ويتناول الرسالة التي تسمى وقت ذاك " خطي شريف " بالاحترام المعهود .

فيخبر الصدر الاعظم اغا الانكسارية بأنه مسموح له تقديم خضوعه للسلطان . فيدخل اول واحد الا انه لا يمكن عادة سوى برهة وجيزة . ثم يدخل بعده القاضي عسكر ولا يمكن اكثر منه . الا اذا اراد اعلام السلطان باسماء القضاة العظماء عنها في اخر اجتماع للديوان . في هذه

الحالة يقرأ كل منهما لائحة بأسماء الذين عينوا في دائرته . وعندما يخرجوا يترك الصدر الأعظم قاعة الديوان ومعه أمير البحر ويدخلون على السلطان فيدعيان ثلاث مرات ثم يقتربان من العرش . ولا يتناول الحديث سوى أشياء غير مهمة بسبب وجود أربعة من موظفي السراي إذ تقضي الأصول المتبعة بذلك وهم : المير علم ويقوم بوظيفة حاجب . وثلاثة من رؤساء الخيصة البيضاء (القبواغا والخزنك باشي والقلججي باشي) يقفون على يسار السلطان ووجودهم نحو الحائط .

إن الأرض من باحة القصر حتى قاعة العرش هي على مستوى واحد ويحتاز الإنسان قبل وصوله العرش بمرقعة يقف فيها موظفو الدائرة الأولى . أما العرش فهو أريكة مغطاة بالديبيلج يرتفع درجتين عن الأرض تعلوه مظلة محمولة على أربعة عواميد معلق فيها قطع كبيرة من اللؤلؤ الصافي . إن قاعة العرش متوسطة الحجم يدخلها الدور من نافذة واحدة . فيها مدفأة شرقية الشكل وكوتان يوضع فيهما عمامتان مزينتان بأوسمة براقية . وللقاعة أربعة مداخل واحد مخصص للسلطان والثاني هو المدخل العادي أما الثالث فلا يفتح إلا لأدخال الهدايا المقدمة من سفراء الدول الأجنبية من قبل حكوماتهم وتعرض أمام هذا الباب عندما يمثلون بين يدي السلطان . ويبقى الباب الرابع مغلق وهو مقابل للثاني ويسمى باب القصاص وسبب ذلك أنه قبض سابقا داخل السراي فجاء على أحد الصدر الأعظم وحكم عليه بالإعدام . فجيء به إلى ما وراء هذا الباب حيث وجد بحرة ومكانا للصلاة ليتوضأ ويصلي آخر صلواته قبل أن يسلم لحلاذيه .

ويجتمع الديوان عدا ذلك في حالتين استثنائيتين : أما لدفع مرتبات الجنود ^{فيكون} في ثلاث مرات في السنة وأما لمقابلة أحد سفراء الدول الأجنبية . ويطلق عليهما اسم " علية ديوان (١) " لأنه يجتمع فيهما عدد كبير من الموظفين والجنود . فيسمح بالدخول لثلاث مئة أنكشاري يقدم لهم ست مئة صحن من الرز وشلهما من " الزرد " وهي شوربة باردة مصنوعة من الرز والعسل والزعفران ثم يدخل الفرسان ولكن بدون جيادهم كما يدخل أيضا رجال فرق العداة الثلاثة البجيه جيه والطوبه جيه (البجيه والطوب عريضة) الذين يمسحون في باحة القصر جهة اليسار مقابل الانكشارية .

وبعد أن ينتهي هؤلاء من تناول طعامهم تغرق المرتبات على الجنود . ويكون قد قدم رؤوساؤهم قبل بضعة أيام لوزير المالية قيمة المال اللازم ويكون ذلك حسب عدد الجنود . وبالرغم من أن الرؤوساء يضاعفون عدد الجنود الذين هم في الخدمة فإن الدولة تغض النظر عن ذلك

(١) غلبة معناها في التركيبة جمهرة من الناس .

وهذه الزيادة التي ياخذها القواد هي اهم ما يرحونه . ويقدم وزير المالية بدوره للصدر الاعظم لائحة بقيمة المال اللازم فيرسلها هذا ليوافق عليها السلطان الذي يامره بدفع المرتبات حسب المراسيم المتبعة . وقبل الابتداء بتوزيع المال يرسل الصدر الاعظم مذكرة ثانية للسلطان يطلب منه اوامره الاخيرة وعندما يصله " الخطي الشريف " الجديد يامر بصرف الرواتب .

فتوضع خارج قلعة العرش وامام الباب مقابل مقعد الصدر الاعظم اكراس من الجلد السخيتار الاحمر يحوى كل منها خمس مئة قرش (هو مبلغ الكيس) . واول ما يفرق المال على فرق الانكشارية فتتناول كل فرقة " ما يخصها " وبدورها مبتدئين بتلك التي يكون قوادها اقدم من غيرهم . فياتي موظف وينادى اسماء هؤلاء فيتقدم الفائذ نحو باب الديوان قابضا بيده اليمنى طرف كم ثوبه الفاني . فيحي الصدر الاعظم لامسا الارض بيده ثم يرفعها الى فمه ثم الى راسه وبعد ما ينسحب وهو ينحني مرتين ووجهه ناحية الصدر الاعظم . عندها ياخذ العساكر الاكراس المخصصة لهم فياتي بعد الانكشارية السباهية ثم السلاحدارية ثم الجيحية الخ وتتسحب كل فرقة لوحدها يحمل رطلها الاكراس على اكتافهم . ويذهب قواد الجيش بعد ذلك الى مراكزهم ويشرفون على توزيع المرتبات المنصوص وتقدم اربعة او خمسة ايام . الا ان صرف راتب فرق الخيالة يحصل امام الصدر الاعظم وبحضور رؤساء الفرق . وبعد الانتهاء من ذلك يعلم الصدر الاعظم السلطان الذي يعرب له عن رضاه ^{نحوه} ~~بمنحه~~ بواسطة احد كبار موظفي البلاط فروة من جلد السمور وخنجرا مرصعا بالحجارة الكريمة . ويبلغ المال الذي يدفع لمرتبات اربعة اشهر عادة مليون ونصف المليون او مليونين قرش من ضمنها مرتبات موظفي السراي وحرس السلطان والعساكر البحرية والانكشارية وفرقة حرس ادرنه .

يجتمع المجلس بعد دفع مرتبات الجنود وينتهي بحفلة طعام . وبهذه المناسبة فان اعضاء الديوان الذين يقبلون لحضور مجلس السلطان يدخلون سيرا قدامهم مع اغا الانكشارية والدفتردار الاول ليخبروه بانتهاء امر الدفع الذي يشتمه وزير المالية بعقد بقراءه على الحضور ثم يوقع عليه القاضيا عسكرو يصدق اغا الانكشارية باسمه واسم بقية رؤساء الجيش . ويعرب السلطان ^{عن} رضاه نحو الدفتردار الاول بمنحه خلعة ثمينة .

ان هؤلاء الموظفين هم الوحيدون الذين يقبلونه في مجلس السلطان الا انه يسمح لخمس عشرة شخصا يحتلون مناصب عالية بتقديم احتراماتهم له يوم انعقاد المجلس لأول مرة وبعد ان يعينوا في مناصبهم . (١)

(١) وهم الرئيس افندي والخوجوات الستة الاولو واحكام السلطان .
وقائدا فرق الخيالة " الجيحية " بانسي ووكيل اغا الانكشارية

فان الواحد منهم بعد ان يلبس الخلع (القبطان) ويكون واقفا بين اثنين من رؤوسا الحجاب يتقدم نحو مدخل قلعة العرش وينحني على عتبة الباب ثم ينسحب في الحال .

ان الديوان الذي ينعقد في السراي ليس مأهولا ~~بشخص~~ صورة باطلة لمحكمة عدل .

الا ان ذلك الذي يعقده الصدر الاعظم في قصره ظل محافظا على وضعه . فهو محكمة عليا تعقد خمس مرات في الاسبوع . ويكون الصدر الاعظم جالسا على مقعد مرتفع ثلاث درجات عن الارض و مكتوب فوقه بما : الذعيب شعار السلطان مع هذه العبارة : " ان ساعة عدل لا فضل من صلاة سبعين سنة . " كما كتب ايضا فوق باب القلعة الكبرى التي تؤدي الى مكان الصدر الاعظم ما يلي : " ان الانسان الذي يحميم الله لا يجيد عن العدل في ادارة الاعمال . " وكتب على باب مقابل للاول ويؤدي الى غرفة الرئيس افندي (" ان العز الذي يحيطه القلم للذين يستعملونه يدوم ابد الدهر . حقا ان الله حلف بالقلم ") وتتخذ قاضي عسكر الروملي مكانه عن يمين الصدر الاعظم وقاضي عسكر الانكسول عن يساره ويقف قربه " رئيسا الاستدعاءات " كما يقف امامه الشاوش بانسي واشهر رجاله الذين يوافقون صفين مائتين يمتدان من مقعد الصدر الاعظم حتى اخر القاعة حيث يقف صف من الانكسارية وامامهم رؤوساؤهم . اما وكلاء بقية فرق الجيش فيقومون قرب الباب وراء الحرس . ويصطف عن يسار الصدر الاعظم رجال حاشيته . ويؤلف اصحاب الدعاوى عدة حملات : يقف الرجال بعبيدين عن النساء واهل الذمة وراء المسلمين .

وعندما ينظر بامر قضية ما يقرأ رئيسا الاستدعاءات عرائض المشتكين الذين يعرضون بعد ذلك بانفسهم قضاياهم وذلك لانه ليس هناك محامون . وتأخذهم غالبا رهبة مجلس العدل هذا واحكامه الجازمة . فكلبك ~~فما~~ يسمع الانسان اصواتهم ^{الاضلعة} التي لا يجراون على رفعها . واذا حصلت احيانا بعض التشمكات استياء من حكم ظهر انه غير عادل فان ذلك لا يكون قط الا من النساء

المسلات اللائي يظهن في كل مناسبة جرأة تستحق الاعجاب اذا اعتبرنا حالة الاستعباد التي تحولن اليها . ان احكام الصدر الاعظم تكتب في الحال على العرائض ذاتها من قبل رئيسي الاستدعاء ويوقع عليها الوزير . وهو يرسل الى الدوائر والمحاكم الخاصة القضايا العادية وتلك التي تتطلب فحصا دقيقا . ويحضر هذا الديوان في ايام الجمعة القاضيا عسكرو في ايام الاربعاء قاضي الاستانة مع قضاة غلطة وايوب واسكدار . فيجزم كل منهم بالقضايا المتعلقة به ثم يتابع بحثه فيها في محكمته . واذا كان الحكم على المجرم ضرب الفلقة فان المقاب ينزل حالا عليه في ساحة القصر . واحيانا في قاعة

الديوان نفسها . ان رجال الحرس هم الذين يعلنون في كل مرة انعقاد او انفضاض الديوان الذي يدوم ساعتين او ثلاثة وذلك بان يرفعوا اصواتهم داعين بان يديم الله عز السلطان وعز نائبه الصدر الاعظم .

منذ ان اصبح الديوان الذي انعقد في السراي صورة ~~لجس~~ لذلك الذي كان انعقد في الماضي فان شئون الدولة اصبح ينظر فيها في مجالس شورى يعقدها الصدر الاعظم عندما يريد . وهو يدعو اليها عادة الوزراء ورؤساء الادارة واهيانا المفتي . ويرسل الصدر الاعظم مذكرة للسلطان يذكر فيها نتيجة الشورى لمعطي حكما فيها . هذه هي المجالس العادية . وهناك مجالس فوق العادة يعين دستور الدولة اعضاءها . وهم رؤساء هيئات الدولة الثلاث اي القضائية والمدنية والسكرية يضم اليهم الصدر الاعظم الوزراء السابقين والخوحواء المشهورين باختباراتهم . ان مجالس الشورى هذه المؤلفة من اربعين شخصا تقريبا انعقد في قاعة جلسات الصدر الاعظم . ويسهر رئيس التشرفات في ان يحل كل من الاعضاء على اريكة التي تحيط بالقاعة حسب درجته . اما هو فانه ينسحب وقت ابتداء المجلس تاركا حراسة مدخل القاعة المحجوب بستائر من الجوخ لاجل الرجال الخرس . ان الكخبة بك والرئيس اقدي ليسا من اعضاء هذا المجلس . ان بما انهما لم يكونا سابقا من اعضائه نظرا لكونهما فقط ابناء سر الصدر الاعظم الخصوصيين فانه روعي عدم الاخلال بالمراسيم المنصوصة بالرغم من انهما اصبحا الان وزراء الدولة . ومع هذا فانهما يحضرا في هذه الجلسات ولكن بكتاب او شراح يجلسان على السجادة الا ان معلوماتهم عن الاعمال الجارية تجعلهما يومئذيان في مجرى الاحكام . ويقوم الرئيس اقدي بقراءة اوراق الدعاوى .

يعرض الصدر الاعظم القضية المطروحة على بساط البحث فياخذ بادي الامر راى شيخ الاسلام الا ان هذا يعبر عن افكاره عادة بصورة مبهمه لكي لا يضايق حرية الاراء . اما اعضاء المجلس فانهم لا يبدون رايهم خوفا من معاكسة اراء الصدر الاعظم الذي يطلب نصيحتهم ويستحسنهم على الكلام ومنع . ويستمد حيثهم لمنفعة الدين والدولة ولكن بدون فائدة ان يجيبونه بانه كله معارف وانه محتفظ بثقة وصلاحيات السلطان فعليه هو ان يتكلم ويامر وعليهم هم الطاعة . واذا الخ عليهم يهزون مرة اخرى رؤوسهم ويرفعون ايديهم الى فيهم ثم الى راسهم . ويكون هذا الصمت اكثر عتقا اذا كان البحث يتناول مسألة اعلان الحرب او السلم . الا ان النقطة التي تبدو اكثر اهمية من غيرها هي تلك التي تتعلق فيما اذا كان العمل او الشئ اللذان يبحثون فيهما صحيحين شرعا . ان هذه النقطة وحدها

هي التي تقلق في بعض الاحيان اعضاء المجلس وتقسهم على بعضهم البعض . وكثيرا ما حارب العلماء بهذا الخصوص راء الصدر الاعظم او المفتي . الا ان ذلك لا ينتهي بدون قصاص اذ يرسلون في اليوم الثاني الى المنفى .

ان هذه المجالس التي لا تكون الاصوات فيها سوى استشارية يكون هدفها بصورة خاصة جعل المقررات شرعية امام عين الناس وذلك باذخال المفتي وكبار اعضاء الحكومة فيها . والغاية من ذلك هي جعل السلطان او بالاحرى نائبه الصدر الاعظم بعبدين عن كل ملامة في حال حصول عاقبة سيئة . وفي احيان كثيرة ايضا عندما تقضي الحاجة بوضع قرار يحط من عظمة الدولة او يصير بمصالحها فان الصدر الاعظم اذا كان حكما يوجه امر التشاور بصورة يجعلها لا تتخذ نتيجة ايجابية . فيتراخى للسلطان نفسه امر البت في النقطة العويصة التي يمكن ان تعرض رؤوسا الديوان للخطر . في هذا الحال يظهر التعليق في تعابير تشيد بمعرفة السلطان وخصاله الخارقة ، فيقرأ فيقال له بمانه رئيس المسلمين الاعلى فهو هدف التوفيق الرباني والالهامات السماوية هو الوحيد الذي يمكنه التعمق في القضايا والحكم على المناسبات فيجمع كل هذه ويستخلص منها الراي السديد الذي يكون موافقا اكثر من غيره لمصالح الدين والدولة . عندها تحصل مصادقة بين السلطان والصدر الاعظم في الطريقة التي يجب العمل فيها واخيرا ينتهي الصدر الاعظم باخذ الامر اللازم ويعلنه كانه حكم صادر فقط عن الارادة السلطانية . ولاعم من كل ذلك فان عمله لا يقيه ضجة الشعب ضده او سخط السلطان عليه اذ اجاءت النتيجة سيئة .

ان مجالس الشورى هذه كانت تتعقد سابقا في السراي يرأسها السلطان ويجلس حوله اعضاء الديوان على طنافس صغيرة ويشكلون نصف دائرة . الا انها منذ حكم السلطان احمد الثالث لم تتعقد في السراي الا نادرا . وفي الحالات الشديدة الخطر تتعقد مجالس فوق العادة تسمى " مجالس واقفة " لان جميع اهل المجلس يظلون واقفين .

الباب الخامس

مالية الدولة

سوف نعرض في بادئ الامر نظام المالية ثم بعد ذلك نتكلم عن ترتيب هذه الدائرة .

الفصل الاول

نظام المالية

ان الرسوم المفروضة في الدولة العثمانية بمقتضى الشرع والسماة لهذا السبب بالرسوم الشرعية

هي :

(١) الضريبة المفروضة على اراضي الخراج اي تلك التي تركت وقت الفتح لاصحابها المسيحيين على ان يدفعوا الخراج . فمن هذه الاراضي ما يدفع ضريبة محددة ومنها ما يدفع بحسب المحصول السنوى . فالقسم الثاني يدفع على الاقل عشر المحصول ، وعلى الاكثر النصف . وهذا الاختلاف يكون بحسب خصب الارض وموقعها ونوع المحصول وتبعاً للاحوال الخاصة التي طرأت وقت استلام او فتح البلاد . والرسوم التي وضعها السلطان على الاراضي التي فتحها هو وضمها الى الدولة العلية يتمتع بموجبه ولا تتغير . ^{وتتغير هذه المقتضى لظلمهم بغيرهم} انما اذا اهلوا زرع اراضيهم ولم يدفعوا الضرائب مدة ثلاث سنوات فانهم يخسروا هذه الحقوق . ويمكنهم التصرف كما يشاؤون في اراضيهم لان خزانة الدولة لا تغسر شيئاً بهذا الخصوص فمثلاً لو تحولت هذه الاراضي الى وقف فانها تظل خاضعة ^{نفساً} للضرائب ~~نفساً~~ اذا انحالتها تظل هي هي لا تتغير .

(٢) العشر المفروض على اراضي المسلمين ~~التي تسمى بالأراضي العشرية~~ . ان هذه الاراضي منحت للعثمانيين مكافأة لهم على اشراف فتح البلاد . ويمكن لغير المسلمين ان يملكوا هذه الاراضي ولكن لا تتغير وتصبح ارض خراج . فاذا رجعت ثانياً الى ايدي المسلمين تعود وتصبح ارضاً عشرية .

(٣) الرسوم الجمركية وهي على المسلمين اربعة بالمئة من ثمن البضائع وخمسة بالمئة على اهل الذمة الا ان الاوروبيين لا يدفعون سوى ثلاثة بالمئة وذلك بموجب معاهدات عقدت مع دولهم .

(٤) الخراج والجزية ، المفروضة على الرعايا الغير المسلمين الذين ينقسمون الى ثلاث طبقات حسب حالتهم المادية . فالاولى تدفع احدى عشر قرشا والثانية خمسة ونصف والثالثة ثلاثة وثلاثة ارباع ويجب ان تدفع هذه الضريبة في اول السنة . ويكتب على الوصل الذي يالخذها الشخص بعد ان يدفع ما عليه : " جزية الكفار " ويكون على الوصل خمس اشارات تدل على الطبقة التي ينتمي اليها الشخص والسنة الهجرية واسم رئيس الخزينة واسم رئيس مكتب المالية الثامن حيث يخرج منه الوصل واسم الملتزم العام لقبض الجزية . ويكتب الحابي اسم واوصاف الشخص الذي دفع الجزية . ويطلع مكتب المالية الثامن في كل سنة مليوناً وست مئة الف وصل تجعل في مئة ومائتين اضرارة يتساوى توزيعها بين الجباة ولا يمكن فتحها الا امام القضاة في اول السنة الهجرية في شهر محرم . وقد جرى هذا التدبير لمنع قبض الجزية قبل المدة المعينة لها كما كان يحصل في الولايات . والطريقة التي تجبى بها هذه الضريبة تظهر بوضوح واكثر من غيرها الحالة الدائمة التي هم عليها اهل الذمة .

ان يوقف الجباة في الاشهر الاولى للسنة المسيحية واليهودية في كل الاماكن التي يحتلونها فيها ويسألونهم اذا كانوا قد دفعوا الجزية او لقبضها منهم اذا لم يفعلوا ذلك . ^{غالبا} والى ادهم لا يحترمون القانون الذي يسمح القصر والطاعنين في السن ورجال الدين . فيستعملون كل الوسائل لجمع قيمة الوصولات التي معهم والتي تختلف قيمتها حسب المناطق بدون اي مراعاة وذلك اذا حصل نقص بين السكان وبذهبون حتى الى منع المستحقين من ترك مساكنهم قبل خمسة اوسنة اسابيع قبل وقت الدفع اى قبل ابتداء السنة . ويضايقون حتى رؤساء رجال الدين من اهل الذمة لتأمين قيمة الوصولات الباقية ولكن الرؤساء لا يدفعون شيئا اذا يدفع عنهم اهل ملتهم . ويخصص للعاصمة مئة وستون الف وصل ان مورد الجزية الان هو اثنا عشر مليون قرش وقد كان حوالي السبعة عشر مليوناً زمن السلطان سليمان الاول .

ان الجزية الخاصة المفروضة على الجماعات المتنقلة من يوهيميين ومصريين (النور والاقباط) التي تتنقل بصورة خاصة في بلاد الشام والعراق واسيا الصغرى هي موقعة بمبلغ ٢٦٠٠٠٠ / غرش يتصرف الملتزم بالتصرف المولى على هذه الشعوب التي تعد تقريبا خمسا واربعين الف مكلف . ويدفع المسلمون منهم الجزية ايضا ~~لا~~ لا يستأجرهم بالاحاد . وهم في الحقيقة يجهدون عن قوانين الشرع في عدة نقاط تتعلق بالطقوس الدينية وبالاعدادات . ولكن بحسب قانون عام ١٦٩٤ اصبح لا يدفع الفرد منهم سوى خمسة قروش بينما غيرهم يدفع ستة .

بما ان مورد هذه الضرائب الثلاث التي ينح عليها الشرع غير كافية لتأمين مصاريف الدولة فقد وضعت ضرائب غيرها في اوقات عديدة وهي :

٥) رسوم مختلفة وضعت على اصناف تجارية عديدة تدفع عند دخولها البلاد وخروجها منها وتسمى " مسطرة " الميزان " وبدعة القهوة " وبدعة الزمبر " والنظام الجديد " وغيرها .
١ - " المسطرة " لا تجبي الا من الاستانة وهي نصف ضريبة الجمر العادية وتفرض على كل البضائع التي تباع بالوزن . اما بقية الاصناف فيؤخذ عنها علاوة على ضريبة الجمر ثلث هذه الضريبة .

٢) " الميزان " وهي ضريبة قيمتها ست وثلاثون بارة على ستة الحبر واربعين على اقة صباغ دودة القرمز .

٣) " بدعة القهوة " وهي ضريبة قيمتها خمس عشرة بارة على اقة قهوة " مخا " وتسعة على قهوة *Fonante* .

٤) " بدعة الزمبر " وهي ضريبة على الشمع وعلى القطن الخام والممزول ولا تجبي الا من هذه المدينة . فعلى اقة الشمع عشر بارات . وبارة واحدة على اقة القطن الخام وتسعون على قنطار النزل .

٥) *Améd* وهي ضريبة على البضائع التي من صنع البلاد تدفع وقت وصولها الى المرفأ الذي ستصدر منه . وتكون قيمتها نصف الضريبة الحمركية التي فرضت عليها وقت خروجها من البلاد .
٦) " البج " وهي ضريبة المرور " ترانزيت " تجبي عن كل البضائع التي تنقل من محل الى اخر . وقيمتها تختلف بحسب الولايات . فتكون اواحدة او مئة او مئة وعشرين او مئة وثمانين بارة على الحمل بكف النظر عن جنس وقيمة البضاعة .

٧) النظام الجديد " اي الضرائب التي وضعت زمن السلطان سليم الثالث على بضائع مختلفة مثلا على العنب والخمور والسوائل والصبوف والقطن الخ . . . ومن هذه الضرائب الغير المباشرة لا يعفى العثمانيون الا من ضريبة العنب . كما عفي منها كثير من الشعوب الاوروبية .
فالفرنسيون اعنوا منها منذ معاهدة بلعراء والروس والنمساويون منذ سنة ١٧٧٦ . والارويون لا يدفعون في الحقيقة بقيمة الضرائب الا بتعرفة خاصة تضع هذه الحاجيات اقل بكثير من قيمتها الحقيقية .

(٦) ضريبة الاعنام . يعفى منها العلماء والانكسارية والاشراف اذا كان عندهم اقل من مئة

وخمسين رأسا . ويسمى ملتزمو هذه الضريبة : *Iljelab. Késchan*

(٧) *Avaziz* وهي ضريبة قيمتها اربعة غروش وخمس الخرش تدفعها كل مدينة من مدن

الدولة .

(٨) بدل النزول " ضريبة قيمتها من ثلاث مئة الى ست مئة بارة تفرض على كل حي من احياء المدن . وكان يخص سابقا قسم من واردها لحكام الولايات والقسم الاخر لفشتي الدولة كمصروف سفر . ولكن المبلغ ضم الى خزانة الدولة في زمن السلطان احمد الثالث .

(٩) وراثة الاشخاص من المسلمين واهل الذمة الذين ماتوا بدون ان يكون لهم وريث شرعي . وعلى ملتزمي هذه الضريبة ان يتخلوا للدولة عن كل ارض يتعدى العشرة الاف قرش .
(١٠) الخراج المفروض على البلاد الاقطاعية مثل : الافلاق والبغدان وجمهورية رافوزا .

كانت الافلاق والبغدان تدفعان في بادى الامر مبلغا زهيدا انما بعد ذلك اخذ يزداد فوصل خراج الاولى الى (٣١٠٠٠٠) غرش وخراج الثانية الى (١٧٠٠٠٠) في السنة عند الضريبة التي على الحبوب والملح والشمع والعمل والماشية الخ وعدا العدايا الثمينة التي على امراء هاتين الولاياتين تقديمها لكبار موظفي الدولة . ولكن تقرر اخيرا عام ١٢٩١ بين الباب العالي وبين بلاط بطرسبرج بان تدفع الافلاق سنويا (٧٥٠٠٠٠) غرش والبغدان نصف هذا المبلغ على ان تكونا معفيتين من دفع اي شيء اخر . اما رافوزا فتدفع كل ثلاث سنوات (٢٨١٢٥) مع اربعة اطباق من الفضة المذهبة .

(١١) خراج مختلف الولايات . كان وارد مصر (٧٤٤٠٠٠) غرش (١) يذهب منها (٣٠٠٠٠٠) الى خزانة السلطان الخاصة ووارد بغداد (٢٧٥٠٠٠ / غرش وجزيرة كادييا (١٦٠٠٠٠ / والبوسنة (٥٢٥٠٠ / وديار بكر (٤٦٥٠٠ / ومقاطعة بلعمران (٢٧٠٠٠ / الخ وتحمل هذه الولايات قسما كبيرا من نفقاتها المحلية . فعلى مصر ان تقدم الرز والقموة لمدينتي مكة والمدينة . وان تقدم للسراى الرز وخمسة الاف اقة من السكر . وكبة من الشمع لامارة البحر في الاسطانة الخ هذه هي موارد الدولة العادية . وسوف نعرض الان الطريقة المتبعة في ادارة الشؤون المالية .

(١٢) ما يعادل ١٢٠٠٠ كمن مصرى . وحسب كبير من المؤرخين وصل مورد هذه الدولة زمن احمد بن طولون المتوفى ٨٨٤ الى اربعة ملايين ونصف فندقلي (سيكان)

في اول ايام الدولة كانت السلطة نفسها تقوم بجميع مواردها . الا انها استعطت عبر هذه الطريقة عندما رأت خيانة وسرقات الجباة . ففي زمن محمد الثاني اعطيت موارد الدولة لاشخاص يلتزمونها . الامر الذي امن سلامتها انما اصبحت الناس بنفس الوقت معرضين لطمع الكثيرين من العمال الذين كانت جرائتهم في تعدياتهم اكثر من جرأة الملتزمين الذين كانوا من كبار رجال البلاط ووزراء الدولة وحكام الولايات . وكان هؤلاء الذين يشترون التزامات الدولة يبيعونها بدورهم ايضا فكانت بذلك تتجزأ وتنقل من شخص الى اخر وبما ان هذا التنقل في البيع يؤمن دائما ربحا جديدا للشخص الذي باعها فان اخر واحد يدفع ثمنها غالبا ولكي يربح بدوره ويعوض ما قد دفعه كان يذهب الناس بوسائل على غاية فظيعة من الطمع .

وظل هذا الحال حتى اول حكم مصطفى الثاني عندما رأت الدولة ، امام صخب الناس وحاجات السلطة ، ضرورة ايجاد طريقة جديدة لجباية الضرائب فصدر مرسوم بتاريخ ثلاثين كانون الثاني سنة ١٦٩٥ ينص بحمل الالتزامات السنوية (المقطعة) التزامات دائمية (مالكة) . وهذا الاسلوب الجديد كان قد ارتأه وزير المالية خليل اقدى الذي اخذه عن الاسلوب المتبع في مصر زمن المماليك . وكان من المعتقد بان الاشخاص الملتزمين التزامات دائمية يكونون ارحم من غيرهم نحو السكان . وقد وجدت الدولة افضلية هذا الاسلوب اذ اتمتع لها موارد ^{تفند} عن قيمة التأجير (مال ميرى) التي كانت محددة كان الملتزم يدفع عندما يكتب عقد التكفل مبلغا من المال (حلوان) تختلف كميته حسب قيمة المزاد . وعليه ان يدفع ايضا ضريبة تسمى " رسم القلم " وقيمتها عشر قيمة الالتزام ياخذ ثلثها الصدر الاعظم وياخذ الدفتردار الباقي .

وتعني الدولة بان يحتفظ الملتزمون بمراكزهم طيلة حياتهم ولزيادة اطمئنانهم فان السلطان يامر بصورة رسمية رؤساء هيئة العلماء الاربعة اى العتيقي والقاضي عسكرونيقباشاشراف بالسهر على حفظ حقوق الملتزمين القانونية وان يخبروه راسا فيما اذا حاولت الوزارة مخالفتهم . وقد اعطى السلطان وعده بانه بعد وفاة الملتزم يكون ابنه احيى من ار شخص ^{كثير} لتابعة اعمال ابيه على شرط ان يكون عيب السمعة وان يدفع المبلغ الذي يكون قد عرضه اخر المتزايدين . ونلاحظ من مقدمة المرسوم الذي اصدره السلطان احمد الثاني الدوافع التي ادت لترك الاسلوب القديم في جباية الضرائب . فهو يعرض بجمال ^{ناجزة} كيف ان اكثر الولايات افقرت من السكان وتهدمت والسبب في ذلك جور اولئك الذين يلتزمون الضرائب لمدة سنة وبين المنفعة في جعل الالتزام

دائما "طريقة ناحية لازالة آلام الناس وحصر طمع العمال الزائد ولازدهار البلاد الاسلامية التي تستحق ان تتمتع تحت ظل العناية الالهية بكل منافع حكم هادي عادل . واخيرا لتامين نفع الخزينة بالاموال التي على كل ملتزم جديد دفعها" . وقد اعلن بان هذا الاسلوب الجديد قد طبق بعد ان اجعت عليه اراء لفهاء مجلس الدولة بكونه نافعا ^{نفسه} ~~بالحق بالوقت~~ للامة وللدولة وللعمال .

ان فحوى هذا المرسوم يكون كمقدمة للبرامج المعطاة للملتزم وذلك كي تبقى هذه التنظيمات الاولى محفوظة من قبل كل سلطان . الا انها نقضت زمن السلطان احمد الثالث عندما كانت الدولة في حروب غير موفقة مع النمسا وروسيا والعجم . فان هذا السلطان اكد على كل ملتزم دفع زيادة من المال قدرها عشر المال الذي قد دفعه . وظلت هذه الضريبة تجبي عطلة مدة الحرب .

ولكي لا يكون هناك مجال للمحسوبية في اخذ هذه الالتزامات فانه تقرر منذ الاساس بان تباع بالمزاد العلني وان يتم البيع في كل ولاية من ولايات الدولة الا انه حصل تلاعب في تطبيق ذلك عندها تقرر اصلاحها زمن السلطان احمد الثالث اذ صدر امر بان لا يحصل البيع الا في العاصمة .

ويكون ذلك بان يعلن موظف من المالية بصوت عال في قصر الدفتردارية اسم ونوع الالتزام الشاغر كما يعلن قيمة الاجار ومبلغ المال الذي دفعه الملتزم السابق . ويقيد يوميا المبالغ المعطاة من قبل المتزايدين . وفي نهاية المدة يعطى الالتزام لآخر المتزايدين . فيوقع وزير المالية كلمة " تقرر ذلك " جانب قيمة الالتزام ثم يعرض للصدر الاعظم نتيجة الزيادة ثم هذا بدوره يقدم تقريره للسلطان ويعرفه بالامر . عندها يصدر السلطان "الخط الشريف" امرا باعطاء الصلاحيات اللازمة للملتزم . الا ان كل هذه الترتيبات لاتمنع دائما حصول بعض الخيانات فمثلا اذا كان احد الدفتردارية على اتفاق مع الصدر الاعظم فانه يجد دائما الوسيلة ليتصرف كما يشاء بها . بالالتزامات الشاعرة . وضد زمن ~~الملك~~ السلطان مصطفى الثالث لايتم بيع الالتزامات الا مرتين في السنة . التزامات الاملاك في شهر اذار والبقية في شهر محرم .

ولكيما تسهل السلطة بيع هذه الالتزامات فانها تقسمها الى اسهم تباع منفردة الا انها تحتم الا يكون غير مدير واحد لكل التزام . فيترتب على صاحبي الاسهم ان ذاك اما ادارة

الالتزام كل بدوره . واما تعيين عامل يديرها باسمهم . ويمكن لصاحبي الاسهم التخلي عن اسمهم لغيرهم . لهذا فان الطاعنين في السن منهم يتكون اذا شاؤوا الحقوق التي يتمتعون بها لاولادهم او اهلهم واصدقائهم . ويحصل هذا التخلي بموجب حجة يوقع عليها القاضيا عسكرو مصحوبة بمذكرة من الشاوش باشي للصدر الاعظم . ويدفع المتخلي للدولة لقاء ذلك عشرة بالمئة من قيمة المال الذي دفعه اخر مشتر كما يدفع ايضا علاوة على ذلك اثنين بالمئة للشاوش باشي واثنين ونصف لقاضي عسكر الروملي وثلاثة ارباع لقاضي عسكر الاناضول . ولا يسمح لاي امرأة ان يكون لها اي شيء من هذه الاسهم عدا السلطات والنساء القبطيات اللاتي تكون املاكهن ضمنه كافية عند الحاجة . ان لا تريد الدولة ان تتعرض وتكون على ملاحقتهم اذا لم يقم بواجباتهم نحو الخزنة .

ان اكثر هذه الالتزامات لم تتعرض للقسمة ويمكن القول بان اهلها هي من حصة كبار الشخصيات الذين يشترونها ويهتمون بان تبقى في حوزتهم لكي لا يكون عدد مضافيهم كبيرا . وهم يضعون كل اموالهم في هذه الالتزامات حيث تكون اكثر سلامة واعظم ربحا مما لو وضعوها في غير ذلك . وبعد مضي ثلاث او اربع سنين يستردون اموالهم من ايراد التزاماتهم ويعدونها يتمتعون بقدرة اياهم بما قدره عليهم هذه الاموال الكثيرة . فجمرك سالونيك مثلا الذي يدرك كل سنة اكثر من (١٦٠٠٠٠٠) غرش لايومجر الا (١٨٥٠٠) غرش وترتفع قيمة الاموال المعجلة احيانا الى (٣٠٠٠٠٠) غرش . الان المشتري يوجرها بمئة واربعين الفا . وهكذا فانه بعدة اقل من ثلاث سنين ونصف يسترد ما قد دفعه ويحتفظ بمورد سنوي قدره (٩٢٥٠٠) غرش . ان التزام جمرك سالونيك بعد من ارجع الالتزامات الا ان هناك كثيرا غيرها مربحة على نفس النسبة . فان الضرائب ^{نفسها} والاملاك الدينية الموقوفة توجر كلها وتلزم . وبهذه الوسيلة يشغل الراسماليون من جميع الطبقات اموالهم في بلاد لا تكفي الصناعة والتجارة فيها لاشغال الاموال . وهذه الوسيلة ليس فيها من خطر سوى التعرض لخسارة بعض المال اذا صدف ومات احد المطرزين في اول السنتين او الثلاث من تاريخ شرائه الالتزام . وليس من الممكن ان يفقدوا التزاماتهم مدة حياتهم الا اذا صدر امر سلطاني يقضي باستعفاء كل اموالهم . وعند حصول مثل هذه الحالة فان السلطان وحده يتصرف كما يشاء بالالتزام المحجوز . فيمكنه ان يوجرها ^{نفسها} او ان يديره على حسابه الخاص او تحويله الى وقف . وبما ان اهل الذمة لا يمكنهم اخذ الالتزامات فانهم لا يدخلون في هذه الاعمال

الا كمستاجرين للاملاك المطرقة ويرحون بسهولة فائدة شهرية تبلى واحدا ونصفا واحدا اثنين بالمئة .

فاذا كانت اموال الدولة يفسحى بها من جهة لارضاء كبار الاسياد الذين لا يزالون ياخذون الالتزامات الكبيرة بالشروط القديمة فان الدولة من جهة اخرى تحاول ان تعوض هذه الخسارة برفعه قدر الامكان اجازقة الالتزامات . الا ان هذه العملية تجبر المطرئين للحدود وتخريب الولايات لكي يستردوا الايجارات الباهظة التي دفعوها . فالالتزامات التي كانت لا تدر من احد الثالث سوى ثلاثين او خمس وثلاثين الف عرش توغر الان باكثر من مئة وخمسين الفا . فمثلا كان يدفع حاكم غلطة سنويا وفي ذلك الوقت (٤٠٠٠٠) قرش كقيمة التزام غذا الحي من الاستانة اما الان فالقيمة هي (٢٠٠٠٠٠) قرش . وبما ان هناك عددا كبيرا من المقاطعات لا تسكنها حالتها المالية من تحمل عبء الضرائب المفروضة عليها فان الدولة لكي لا تخسر شيئا من مواردها العادية اخذت منذ عدة اعوام تضم هذه الالتزامات الباهظة الى غيرها التي تكون مريحة وتوثرها مع بعض . ان هذه الطريقة في اجراء الالتزامات تناول ولايات بكاملها . وفعلما يوجد اثنان وعشرون لواء وسنجا توغر مدى الحياة لحكام يورثونها بدورهم او جودهم يديرها باسمهم موظفون يتخذون لقب *Vogvode* اي ناظر او محصل او اغا الخ يقومون بجباية ضرائب الدولة والضرائب الخاصة للحاكم . ويطلق على هذه السناجق الاثني والعشرين اسم " مالكنه ميرى " كما ان ثلاث ايلات توغر ايضا لباشاوات يحكمونها ويتخذون اسم " ميرى منصبي " اما الايرادات البرانية ا و " الظهورات " فهي :

(١) " الاموال المعجلة " التي يدفعها المشترون الجدد للالتزامات الدائمة . وموردها

ثلاثة ملايين في السنة .

(٢) ضريبة عشر الاموال المعجلة التي يدفعها من يشتري احد اسهم الالتزامات والتي

تدفع في كل مرة ينتقل السهم فيها الى شخص اخر . ومورد هذه الضريبة مليون ونصف في السنة .

(٣) المال الذي يدفعه كل باشا من باشاوات الاطواغ الثلاثة يوم اعطائه هذا اللقب

وتسمى ضريبة الطوغ وتصل ~~الى~~ قيمتها الى (٢٢٥٠٠) قرش .

زيادة على ذلك فان السلطان يهب في غالب الاحيان لخزينة الدولة ضرائبه الخاصة

التي يأخذها من ارباح بيت ضرب النقود ومن الاموال المحجوزة ومن الجزاءات النقدية المفروضة على المحكومين لتخفيف عقابهم .

وبما ان حق ضرب النقود هو احد الحقوق السلطانية ^{وخليفة} اللذين هما من صفات الملك عند المسلمين فان اورخان ابن ^{الخلافة} مؤسس السلطنة العثمانية / امر سنة ١٣٢٨ بضرب النقود الذعبية والفضية . اما قبل ذلك فان النقود كانت تتداول في الدولة كانت نقود سلاطين السلاجقة ونقود خانات تبريز المنحوليين . وكان على النقود الجديدة شعار السلطان اورخان مع آية من القرآن . وزاد عليها السلطان محمد الثاني بعد فتح القسطنطينية اللقبين العظيمين : سلطان البرين وخاتان البحرين . اى الروم ابللي والانضول والبحر الابيض والاسود . وقد سار خلفاؤه من بعده على نهجه وتسموا بهما .

وكانت الدولة سابقا تضرب النقود في عدة مدن مثل ادرنه والقاهرة وازمير وارضروم وغيرها . وان وجود هذه الامكة لضرب النقود لتأمين الدراهم اللازمة للمداولة في ارجاء البلاد تعفي الدولة من مصاريف نقلات السبائك وقطع النقود . حتى انه كان يسمح للقواد وروساء الجيوش وخصوصا في الحروب ضد بلاد العجم بضرب النقود في المدن التي يجعلونها مركز القيادة العامة وذلك لتأمين دفع رواتب الجند وتأمين مصاريف الحملة . الا ان هذا سبب غشا كبيرا اذ زيفت النقود في كل الجهات مما ادى الى حصول اضطرابات سيئة في اوقات كثيرة . ولهذا فانه منذ زمن السلطان محمود الاول لم يبق في كل الدولة سوى مركز واحد

لضرب النقود كائن في السراي السلطانية . ويقوم المكلفون باستخراج المعادن بتقديم الذهب والفضة اللازمين لذلك لرفع عليهم ان يقدموا للدولة كل المعادن الثمينة التي يستخرجونها مقابل اسعار اقل بكثير مما تبطلوى الامر الذي يؤمن للسلطان ربح اكثر من ثلاثين بالمئة . الا انهم يجدون الوسيلة لتعويض ما خسروه بسبب هذه الشروط المجحقة . وذلك بان يخفوا قسما من المعادن الثمينة التي يستخرجونها ، ويعلم مراقبي المناجم الذين تعينهم الدولة لاستلام الذهب والفضة ان يرضون النظر لقاء اجر معلوم . ولغنى المناجم هي خاجم " ارغاني غيبان " في ولاية ديار بكر ومناجم " غوموش خاتنة " قرب طربزون . ويؤلف المكان الذي يوجد فيه المنجمان الاولان لواء خاصا يرأسه مدير المعادن " المعدن ايشي " الا ان الباب العالي وضعهما

حديثا تحت ادارة باشا سيولس ، اما مناجم الفضة في " غوموش خانة " ومناجم النحاس في Kure في ولاية طريزون فانهما تحت اشراف مدير خاص . ويشغل ملتزمو مناجم النحاس ضمن شروط افضل من غيرهم . ان يمكنهم بعد تقديم النحاس اللازم للدولة (ويكون ذلك بسعر محدود وقيمة ضئيلة جدا) بيع ما يزيد عندهم . ولهذا فان مناجم النحاس تعدن اكثر من مناجم الذهب والفضة . وان هذه الطريقة في وضع الضرائب تعوق استخراج الثروات من بطن الارض وتجعل سكان الولايات التي توجد فيها هذه المعادن يحجمون عن استخراج شي منها بسبب الضرائب التي تفرض عليهم من جراء ذلك .

ويشرف على ضرب النقود وكيل عام يسمى " ضرب خانة اميني " يشغل تحت امرته اثنا عشر رئيسا وخمس مئة عامل تقريبا . ويراقب هذه الاعمال كاتب من دائرة المالية الثانية " بلكس محاسبة " يحفظ معه دفتر حسابات يقيدها ما ضرب من النقود . ويرجع السلطان سنويا من دار ضرب النقود ما يقارب المليون يهب منه العشر للوكيل . الا ان النقود التي ضربت منذ حكم مصطفى الثالث هي ضئيلة القيمة . والكمية قليلة في الدولة بسبب المبالغ العظيمة التي تصرف كل سنة على الحج وعلى البضائع الهندية وعلى تجارة الفراء الروسية . ويدعي الاقتصاديون العثمانيون ان هذه المصاريف الثلاثة تسحب من البلاد سنويا عشرين مليون غرش تقريبا معظمها من العملة الذهبية . والفندقلي هو النوع الذي يفضل على غيره ويسمى " زرمجوب " ين ٢ Hekle وكان يساوي في الاصل قرشين وثلاثة ارباع اما الان فيساوي خمسة قروش .

ان واردات الدولة العادية والبرانية تصل سنويا الى خمس وثلاثين مليون قرش يذهب نصفها تقريبا الى الخزينة اما النصف الاخر المخصص لتغطية المصاريف المحلية والجارية فانه يقسم الى حوالات ويوضع على مختلف فروع الواردات . فوكيل السراي يتناول مبلغا محدودا قيمته (٥٠٠٠٠٠)

(٨٥٠٠٠٠) غرش في السنة لمصاريف قسم من حاشية السلطان . ومبلغا اخر قدره - (٩٠٠٠٠٠) غرش لتأمين مصاريف السراي القديمة ومبلغا ثالثا قدره (٢٥٠٠٠٠٠) غرش لمصاريف قصر الخدم والخلمان في غلطة . ويعين لوكيل مطابخ السراي مبلغ (٩٠٠٠٠٠٠) غرش . ولوكيل الاسطبلات (٣٠٠٠٠٠٠) ومثلها لوكيل لحوم المسالخ . ويعين مثل هذا المبلغ لوكيل امانة البحر ويعين لمدير البريد الذي يسير على الجياد (٤٢٨٠٠٠٠) غرش وتخصص دائرة جمرات

الاستانة الكبرى سنويا لرئيس الخصيان السود مبلغ (٦٦٠٠٠٠) غرش لمصاريف الحرم السلطاني وميلنا ~~البحر~~ ثانيا قدره (١٥٤٥٠٠) غرش تخصص لدفع المصلدات الممنوحة للموظفين الطائفين في السن وللازامل والايام الخ ٠٠٠٠ وتعين له امانة حصر الدخان ~~للكل~~ ^{عينه} ~~للسبب~~ (٣٢٥٠٠٠) غرش . مع العلم بان كل ولاية تدفع منها مباشرة مصاريفها الخاصة .

ان مصاريف الدولة العادية لا تتعدى قط في اوقات السلم الثلاثين مليون قرش التي تصرف كرواتب للعساكر البرية والبحرية ولمصاريف البلاط السلطاني . اما بقية مصاريف الدولة فانها تغطي بمسائل مختلفة . فيخصص ربح الاملاك للسلطانة الوالدة وللأمراء والاميرات اولاد السلطان . ويسحب المصدر الاعظم وامير البحر وحكام الولايات وارادات الاراضي المخصصة لهم . اما الاقطاعات العسكرية (الزعامة والتمار) فانها تخصص لمصاريف الخيالة . وتعطى هذه الاقطاعات لعدد كبير من الموظفين بدلا من الرواتب . ولا تصرف الدولة شيئا على رجال الدين وعلى القضاة . اذ ان اموال الاوقاف تخصص لمصاريف المساجد والشيخ القائمين عليها . وبما ان القضاة محرومون من اي راتب محدد فان لهم حقوقا شرعية على الاعمال القضائية يسمح لهم بتناولها . ولا يتناول الموظفون المدنيين من رتبة وزير حتى ايسر كاتب دائرة راتبا معينا . انما يعيشون ما ينتفعون به من مدخول منصبهم ولا يشذ عن ذلك سوى اعضاء الديوان الثلاثة لان وظيفتهم قليلة الربح ومع ذلك فان رواتبهم ضئيلة جدا . فالنیشنجي يتناول / ٦٦٢٠ / قرشا والدفتردار الثاني ~~الفرانج~~ / ٢٣٣٣ / والدفتردار الثالث / ١٦٦٦ / . اما المساعدات المالية فانها لا تكلف الدولة كثيرا اذ لا يعطى منها شيء الا لقسم قليل من الموظفين القدماء الفقير الحال . فالوزير المعزول لا يتناول في السنة غير خمسة او ستة الاف غرش . والمفتي المعزول (٣٠٤٢) والقاضي عسكري خمس مئة .

ان الواردات والمصاريف تنظم حسب السنة القمرية الا في حالتين وهما (١) الاعشار المفروضة على ثمار الارض (٢) ودفع رواتب العساكر البحرية والحاميات التي ترابط في الولايات . وبما ان الاعشار تؤخذ تؤجر من شهر اذار الى شهر اذار ويخصص مورها لرواتب الجند فان الدولة بدأت في سنة ١٧٤١ اعطاء رواتب قسم من العساكر حسب السنة الشمسية . وتابعت هذه العملية بصورة غير محسوسة الى ان اصبحت اليوم تدفع رواتب الجنود البحرية والحاميات ~~كلها~~ تقريبا الموجودة ~~في~~ خارج العاصمة حسب السنة الشمسية . الامر الذي يوفر عليها راتب احد عشر

يوما في السنة لكل شخص مع العلم بانها تستوفي الضرائب حسب السنة القمرية .
 جاءت واردات الدولة في زمن السلطان محمد الثاني تكاد تصل الى عشرة ملايين غرش .
 وبلغت في زمن سليمان الاول ستاوعشرين مليونا ولم تكن زمن محمد الرابع سوا عشرين مليونا .
 وهذه الواردات ضئيلة في ايام الحرب لتغطية المصاريف الباهظة . اما الامدادات
 التي ترجع لها في مثل هذه الحال هي : (١) التعويض او البديل المالي الذي يدفعه
 اصحاب الاقطاعات العسكرية الذين يستثنون من دفع بدل الطريق (٢) ضريبة عشر الاموال المعجلة
 التي يدفعها اصحاب الالتزامات (٣) الاموال التي تستدينها من الولايات . وجعلت الدولة لها
 الحق في شراء المواد اللازمة للجيش باسعار ضئيلة جدا وقد دعت هذه الاسعار سابقا
 باسم : * اسعار اميرية * .

للعجز الذي يملكها

وبما ان الامة ترفض دفع اية ضريبة مباشرة عبر التي يسمح بها الشرع فان الحكومة لا يمكنها
 الا استدانة او اخراج اوراق مالية لذاتها فانها تستعمل الدولة عندما تفتقر الى المال لتحصيل ما
 يعوزها منه . وتسمح الدولة وقت ذاك بفرض ضرائب على المدن والاراضي تسمى ضريبة الحرب
 تجبى بقوة السلاح . وتفرض على اصحاب البيوتات المالية وعلى الملاكين والموظفين على اختلاف
 طبقاتهم دفع مبالغ حسب حالتهم المالية او الاخرى حسب اهواء رجال السلطة وتفرض عقوبات
 صارمة على او مخالفة بسيطة . واذا احتاجت الدولة للمال بصورة مستعجلة فانهما تنزع ملتزمي
 الضرائب فوائد حمة ليتقدموا لها المال قبل الاوقات المعينة .

ان حروبها عديدة منعت السلاطين تقريبا دائما من ادخار الاموال في الخزانة . ولقد قبل
 بان كل حرب تكلف من عشرة ملايين الى اثني عشر مليون قرش . وعلى اثر سلم دام عدة سنين
 استطاع السلطان محمود الاول قبل وفاته ان يترك في الخزانة خمسة عشر مليونا . وضاعف
 مصطفى الثالث وعمر سلطان مقتصد هذا المبلغ الا انه صرفه على اثر حرب خاسرة مع الروس .
 ولما اعوزته الحاجة استعمل عرقا معيبة منها تزوير النقود مما ادى عام ١٧٧١ الى ان تتدنس
 اثنين وعشرين بالمئة تقريبا قيمتها الاصلية . وقد اعيدت هذه العملية الشائنة مرتين او ثلاث
 من قبل خلفائه الى ان اصبحت النقود الان بلا قيمة تساوي نصف ما كانت عليه تقريبا
 ان خزانة الدولة تسمى ايضا اموال المسلمين حسب القول القديم المذكور في الشرع وهي

منفصلة عن خزينة السلطان الخاصة الا ان حساب هاتين الخزنتين مفتوح عند الحاجة منذ اكر من قرنين .
ففي ايام الضيق يقدم السلطان المال للدولة من خزنته حسب سند يراه القاضيا عسكري ومضيه
الصدر الاعظم والدفتردار الاول . وقد ارتفعت هذه الديون الان الى اكر من اثنين واربعين مليونا
ويحتفظ السلاطين دائما بحق تكرار الدين عند ما يشاؤون . واذا تغطت في اخر السنة كل
المصاريف وبقي شيء في خزينة الدولة فان السلطان ياخذ من خزنته . وعلى الدولة ايضا دين
مليون ونصف لخزينة الاوقاف التي يشرف على ادارتها رئيس الخصيان السود وهذه الخزينة التي
تسمى عندهم " دولاب " تحفظ في السراي كما تحفظ خزينة الدولة وخزينة السلطان .
وبما ان الدولة لاتستدين قط من اي كان فان ليس عليها غير هذه الديون التي ذكرناها
ولها بالعكس دين تقدر بعدة ملايين وهي بقايا ما يجب ان يدفعه الملتزمون الذين تمهلهم
الدولة ان ارادوا مدة سنة لدفع ما يترتب عليهم . منهم كبار رجال البلاط والوزراء والعلماء
حيث يراعيهم الدفتردار مستعملا معهم اسبابا خاصة .

الفصل الثاني

دائرة المالية

ان ادارة مالية للدولة لم يكن لها في اول عهد السلطنة سوى رئيس واحد وهو
الدفتردار . الا ان بيازيد الثاني عين لها رئيسا ثانيا . فكان الاول يدير مالية ولايات
الدولة ~~التي~~ في القارة الاوروبية والثاني ~~التي~~ في اسيا الصغرى واصبح يعرف الاول بدفتردار
الروملي والثاني بدفتردار الاناضول . وقد عين السلطان سليم الاول رئيسا ثالثا لادارة
مالية الشام ومصر وديار بكر التي ضمها تحت نوائه . وعين السلطان سليمان الاول رئيسا
رابعا لبلاد المجر والولايات التي على نهر الدانوب . وكان لكل حكومة دفتردارها الخاص
زمن السلطان سليم الثاني ومراد الثالث الا ان السرقات التي قام بها عمال المالية عمولا ادت
الى ابطال مناصبهم كما ابطال بعد ضياع بلاد المجر منصب الدفتردار الرابع الذي كان مركزه
في الاستانة . فلم يبق سوى ثلاثة يتراس لعلهما رتبة ادارة مالية الدولة . وظل الاثنان

الباقين اسماً فقط حتى زمن سليم الثالث الذي عين لهما بعض الاعمال .
ان الدفتر دار الاول وزير المالية ورئيس الخزينة ^{مختار} من اعضاء الديوان . فتجنيبه
مساء كل يوم الاخبار عن اعمال الخزينة ويصرف بدوره الحالة للصدر الاعظم مرتين او ثلاث
في الاسبوع . ويترتب عليه ان ياخذ اوامر الصدر الاعظم في كل الشؤون المتعلقة بالدفع .
ويجب ان تكون على الاوامر او " البطاقات الاميرية " المرسلة الى ضايق الدفع توقيع الدفتردار
الاول والصدر الاعظم . ولكن بالرغم من تحقيق ومرونة هذه الاصول فانه يتعلق ايضا بوزير
العمال دفع كل او بعض المبلغ الذي سيخرج من الخزينة .

ومن اهم الامور التي يعنى بها الدفتردار الاول هو السهر على دفع فرتبات الجنود
المرابطين في العاصمة ثلاث مرات في السنة وفي الاوقات المحددة ^{للكسبة} واي تأخير او دفع
غير كامل يمكن ان بسبب هيجان الجنود ~~المرتبين~~ يتبعه قلاقل في العاصمة كما يطلعنا التاريخ
على امثلة كثيرة من هذا القبيل . ويكون الدفتردار اول نسوة لغضبتهم لهذا فانه يهمه كثيرا اكثر
من اي شخص اخر ان يمنع حصول مثل هذا الحادث . وهو يبدي مثل هذا الاهتمام في حث
كبار الشخصيات كي تدفع ما عليها للخزينة في مثل تلك الاوقات .

وهو يدير ايضا قسما من واردات السلطان الخاصة وعلى الاخص تلك التي تاتيها عن طريق
استصفا اموال الرعية . وهو لا يتناول اي راتب معين وتتألف مائته من الضرائب التي له على
كل الاوراق الصادرة عن دائرته . ويشغل تحت امرته خمسة من كبار الموظفين :

(١) " الباش باقي قولي " يقوم بتحويل ديون الدولة يساعده ستون حاجبا لانذار وحبس
الاشخاص المدينين للدولة .

(٢) " الجزية باش باقي قولي " يقوم ~~بجمع~~ ^{نفسه} بموظيفة الاول ولكن ~~فهم~~ ^{نفسه} نحو ملتزمي الجزية فقط .

(٣) " ~~الموظف~~ ^{الموظف} الوزندار باشي " يشرف على الاسواق الداخلة الى الخزينة والخارجة منها . يامر
على اربعين وارثا يفحصون ~~المسوقين~~ ^{المسوقين} الذين يوزنون الذهب الخ

(٤) " السرغي ناظرى "

(٥) " السرغي كلفه سي "

يقوم هذان الموظفان بتسجيل اعمال الخزينة الحسابية . وتتألف دائرة المالية من خمس
وعشرين مكتبا او قلما يدير كل واحد منها رئيس خاص يحمل لقب " خوجيان " ويكون مركزه

كل هذه المكاتب في قصر وزير المال وهي :

(١) البيوك روزنامة " أي دفتر الحسابات الكيسر وهو مستودع عام لسجلات المقبوضات والمدفوعات . تاتي كل يوم مذكرة عن اعمال الخزينة . وتقدم بقية المكاتب لهذا المكتب مآخضا عن اعمالها . لهذا السبب فانه يدعى " المكتب الكبير او " الميزان " وتوضع كل سنة او كل ستة اشهر خلاصة محملة عن حالة الخزينة الداخلية تحسب بعدد الاكياس التي فيها . وهناك ثلاثة انواع من الاكياس . الاول وهو اكثر استعمالا يحوى على خمس مئة قرش ويسمى بالكيس الرومي . والثاني هو كيس الديوان يحوى على (٤١٦) قرشا وثلاثي القرش اما الثالث وهو الكيس المصري ويسمى كذلك لانه لا يستعمل الا في بلاد مصر فقيمته (٦٢٠) قرشا . وتقدم بقية دوائر المالية كما تقدم الخزينة ايضا حساباتها بالبارات والقروش وال $yuks$ ويساوى القرش مائة وعشرين بارة . ومائة الف بارة تساوى yuk او (٨٣٣) قرشا وثلاث القرش .

(٢) الباش محاسبة " أي مكتب المحاسبات العامة . تحفظ فيه سجلات (١) المعدات الحربية (٢) الالتزامات السنوية والدائمة (٣) خراج الولايات (٤) مرتبات جنود الحاميات المرابطة على الحدود (٥) المصاريف المتعلقة بوكيل القصر وبوكيل البحرية وبوكيل معمل صنع البكروكك المدافع وبوكيل معامل صنع البارود . وهو ايضا مستودع عقود المؤن التي على حساب الدولة . ويقوم هذا المكتب ايضا بفحص حسابات الاموال التي بذمة الخزينة كما يقوم باصدار الاوامر لدفعها .

(٣) - مكتب محاسبات الانضول . تحفظ فيه السجلات المتعلقة بمختلف الالتزامات ومرتبات الجنود المرابطة في الجزر وسجلات اموال التقلد المعدلة للأقدمين في خدمة الدولة الخ

ان رؤساء هذه المكاتب الثلاث هم كما ذكرنا سابقا من اعضاء مجلس شورى الدولة

كما هم ايضا " الخوجوات " الخمسة الذين هم من القسم الاول .

(٤) - " الصواري مقابلة " او مكتب تفتيش الخيالة . يقوم بترتيب اعمال الفرسان ووضع مرتبات موظفي حاشية السلطان المعروفين باسم اغاوات القصر الداخلي ومرتبات الرحال الذين

يخدمون في اسطبلي السلطان ومرتبات حجاب القصر .

(٥) مكتب عساكر السباهية

(٦) = = السلاحدارية

صرف

ان هذين المكتبين يقدمان بطاقات/النقود لعساكر هاتين الفرقتين . وعلى هذه البطاقات ان تكون مصححة من قبل رئيس المكتب الرابع الذي يوقع من اجل ذلك على كل ورقة بالحبر الاحمر حرف الميم مشيرا الى كلمة " مسطور " اى موافق . لكل واحدة من البلطات الاربعة المضمومة الى فرقتي السباهية والسلاحدارية مكتب خاص يؤمن لهذا ارسال بطاقات الصرف وهو في ~~مكتب~~ قصر اغاواتها نفسه .

(٧) مكتب محاسبات الحرمين اى مكة والمدينة . تحفظ فيه السجلات المتعلقة باوقاف الحوامع السلطانية ومرتبات المشايخ الذين يخدمون فيها وبالا ملاك الراجع واردها لمدينتي مكة والمدينة سواء كانت في العاصمة او في الولايات الاوروبية من ضمنها ايضا تلك الاملاك التي تؤجر بالالتزام . وتصدر عن هذا المكتب ايضا مذكرات تسمي رجال الدين في المناصب الدينية سواء كان ذلك في الاستانة ام في الروم ايلي وعليهم ان يقدموا هذه المذكرات للمكتب العائلي يحصلوا على قوار تعيينهم .

(٨) مكتب محاسبات الجزية هو مستودع لائحات هذه الضريبة الخاصة . وتظهر في كل سنة البطاقات التي تسمح بحماية هذه الضريبة .

(٩) مكتب المكوس او مكتب الموقوفات تتعلق به كل الضرائب المسماة " عوارض " وبدل نزول " وكل المخازن القريبة من الحدود . والضرائب التي تدفعها الولايات في وقت الحرب ولوازم الاعانة المقدمة للعساكر المحاربة وما تمنحه الدولة من مؤونة وعلق ونقود للباشاوات والقواد والموظفين المدنيين الذين يلتحقون بالجيش الزاهية للحرب .

(١٠) مكتب المالية وهو بمثابة قلم استشارية هذه الدائرة . ترسل اليه قرارات رؤساء الدين والموظفين الذين يديرون الاوقاف والاشخاص الذين حصلوا على اعانات من موارد هذه الامكنة الدينية . وتدوين في هذا المكتب ايضا المراسيم المتعلقة بالشؤون المالية والتي تحمل شعار السلطان وتوقيع الدفتر دار الاول .

- (١١) مكتب " الروزنامة " الصغير مخصص للأعمال المتعلقة بمرتبات رؤساء الحجاب وماعيات العساكر البحرية .
- (١٢) مكتب مراقبة العساكر المعنأة وهي الانكسارية والحبة جيه والطوب جيه والطوب عرجية . ويراقب في هذا المكتب اوراق صرف مرتبات الجنود التي يعطيها رؤساء هذه الفرق الاربعة اي كما هو جار في المكتب الرابع نحو اوراق صرف مرتبات الخيالة .
- (١٣) مكتب محاسبات الاوقاف الصغير . تحفظ فيه اوراق المرتبات التقاعدية المخصصة للأشخاص الذين يخدمون في المؤسسات الخيرية .
- (١٤) مكتب الحصون الكبير وهو مستودع عام لقائمة الحاميات وللعساكر المرابطة في الولايات التي تعمل احيانا في الحصون وعلى الاخص تلك التي هي واقعة على نهر الدانوب .
- (١٥) مكتب الحصون الصغير هو مستودع قائمة جنود الولايات الذين يعدون لتقوية الحاميات المرابطة في البانيا والمورة .
- (١٦) مكتب التزامات المناجم . يقوم بالأعمال التي تتعلق :
- (١) بخراج الافلاق والبندان (٢) بخراج قبائل البوهيميين (٣) بمناجم الذهب والفضة .
 - (٤) بالرسوم المفروضة على زراعة الدخان (٥) بمكس الترانزيت التي على الدخان (٦) برسوم جمارك لشهر مدن الروم ايلي وضيا الاستانة .
- (١٧) مكتب المرتبات اي تلك المعطاة لموظفي الدولة .
- (١٨) مكتب التزامات الاملاك . تحفظ فيه التفاصيل المتعلقة بالتزامات الاملاك المقطوعة للسلطات او المعينة للصدر الاعظم وللباشاوات الخ ... لمصاريفهم .
- (١٩) المكتب الرئيسي للالتزامات . تتعلق به :
- (١) الالتزامات التي في الاقضية المسماة " نظارة " مثل سيلستسريا وروسجوك وغيرها (٢) التزام الضرائب التي على الارز في فيليبوبوليس وطمونيا وتتر بازاري وغيرها .
 - (٣) التزام التزام ملاحات صيد والونييك وغيرها (٤) التزام الصيد في البحر الاسود والابيض (٥) التزام الاحراج والغابات .
- (٢٠) مكتب التزامات مدينشي مكة والمدينة يبحث فيما يتعلق بالاوقاف وبرجال الدين في بلاد الاناضول كما هو الحال في المكتب السابع فيما يتعلق ببلاد الروم ايلي .
- (٢١) مكتب التزامات الاستانة . تتعلق فيه تعيين العاصمة وادرنه والتزامات سالونييك ولاريسا

وطرخاله . كما ينظر في امر الضرائب المفروضة على الحرير الذي تنتجه الدولة والرسم المفروضة على المصنوعات الذهبية والفضية .

(٢٢) مكتب التزامات بروسه . ينظر في التزامات ولاية خودفنديكار التي عاصمتها بروسه .

(٢٣) مكتب التزامات Arloniya الذي يضم اليه ايضا التزامات Négrepont

(٢٤) مكتب التزامات " قافا " . الذي لا ينظر الان الا في التزامات عدد من مقاطعات الانضول .

(٢٥) مكتب التواريخ . تؤرخ فيه كل اوراق الدولة الصادرة عن بقية المكاتب كما تدون الحوادث التي تعطيها الدولة لدائيتها على مختلف فروع وارداتها .

هذا هو وصف هذه الدائرة الواسعة التي يشتغل فيها اكثر من سبع مائة كاتب . ويعمل

في كل مكتب من المكاتب الثلاثة الاولى ستة وخمسون كاتباً تقريبا . وفي كل مكتب عدد من كبار الكتاب يسمىون Khalfas ورئيس يسمى Kizmdar يدير العمل ويقدم الاوراق لرئيس الدائرة " الخوجقيان " ليوقع عليها هو والوزير . ويحرر الاخبار الرسمية المتعلقة بشؤون مكتبه .

يرجع تنظيم هذه الدائرة الى زمن حكم السلطان محمد الثاني . الا ان حصول فروع جديدة

للدائرة ادت بصورة متتابعة لانشاء سبعة مكاتب في ايام سليم الاول وسليمان الاول واحمد الثاني ولكي لا يفسدون شيئا من التقسيم القديم فانهم الحقوا هذه المكاتب الجديدة بتلك التي كانت لهم موحودة واطلقوا على رؤسائها لقب Khalfas

وهذه المكاتب هي : (١) المالكة خلفه سى " لمراقبة الالتزامات الدائمية (٢) " الزمة "

لدين الدولة (٣) " المخلفات " للأموال المستحقة وتلك التي ليس لها وريث والراجعة الى السلطان

وقد الحقت هذه المكاتب الثلاث بالمكتب الثاني " باش محاسبة (٤) " القلمية " ومقدارها عشرة

بالمئة على الالتزامات الدائمية . (٥) " المنزل " للبريد الذي يسير على الحياض (٦) " عدد اغنام "

لالتزامات ضريبة البهائم . وقد الحقت هذه المكاتب الثلاثة بالمكتب الرابع التاسع (٧) " اليسكوبوس

خلفه سى " يبحث فيما يتعلق بكائنات واديرة السحبيين . وهو ملحق بالمكتب العاشر .

ويوجد ايضا غير هذه المكاتب مكتب خاص تحت اسم " اوضة " اى غرفة وهو امانة سر الوزارة

يديره " " خوجقيان " يحمل لقب " مكتوبجي " اى امين السر . ويقوم هذا المكتب بثلاثة اعمال

وهي : (١) مراسلات الوزير العامة (٢) مذكراته وتقاريره للدولة (٣) اصدار عقود التزامات الاملاك

الدائمية او التزامات بقية فروع موارد الدولة .

ولدائرة المالية محكمة اميرة يحمل قاضيها لقب "ميرى كاتبي" ويعين من قبل قاضي عسكر
الروم ايلي . وهو يفصل في كل الخصامات القائمة بين الدولة وبين الناس . .
وتتألف هذه الخصامات بصورة خاصة عن مطالب الاشخاص الذين يهتمون بالشؤون المالية
المتعلقة بالمترمين الشرفيين . وعن الاشخاص الذين استمفيت اموالهم . ويقوم جابي الضرائب العام
باعدال نائب المالية امام هذه المحكمة . ان الضرائب القضائية التي تاخذها هذه المحكمة كبيرة
جدا يتناول القاضي خمسها يذهب الباقي للقاضي عسكر الذي عنده .
وتدعى مكاتب دائرة المالية والباب العالي ومكتب السجلات القديمة (دفترخانه) تميزا
عن غيرها بالمكاتب الهمايونية (اقلام باديشاهي) .

الباب السادس

الولايات

فرض السلاطين العثمانيون في الاراضي المحتلة الخراج على املاك السكان المسلمين واليهود وقد ثبتوا ملكية هولاء فيها . ويتألف هذا الخراج كما قد ذكرنا قبلا اما من ضريبة محدودة او من قسم من منتوجات الارض يتراوح بين ^{نصف الميراث} ~~عشره والميراث~~ . اما اراضي المسلمين فانها لا تدفع غير الاعشار . وكل هذه الضرائب التي ذكرناها مطابقة لما جاء به الشرع الاسلامي . وهناك نوع من الاراضي ملحقة بالاراضي المستملكة يخسر اصحابها حقوقهم فيها اذا حاولوا التصرف بها دون ان يورثوها لاولادهم . من هنا تنبئ الاقسام الثلاثة للاراضي وهي : اراضي الخراج . والاراضي العشرية . واراضي الدولة . وتدعى هذه الاخيرة " ارض ملكتي " .

وقد وزعت اراضي الدولة على رجال عسكريين وعلى موظفين مدنيين ايضا وتكون فائدتهم منها في اخذ الضرائب التي يدفعها العمال الذين يشتغلون في هذه الاراضي . ويكون خضوع هولاء الآخرين لهم خضوع العبد للمسيد . اما فائده الدولة فتكون في انه يترتب على من وزعت عليهم اراضي الدولة ان يوفدوا الخدمة العسكرية ولكن بحرسان وان يكون معهم عدد ما من الفرسان المسلحين يتناسب بقيمة الاقطاع المعطى لهم . ويطلق اسم " زعامة " على الاراضي التي يربو مدخولها على العشر من الف بارة اما بقية الاراضي فتدعى " تيمار " . ويخضع اصحابها الذين يسمون سباه " او فرسان " للصوياشي " وهو رئيس الناحية التي توجد فيها الاراضي الاقطاعية . ويخضع كثيرون من هولاء الرؤساء لموظف اعلى رتبة يسمى " الاي بك " وهولاء يخضعون بدورهم لرئيس الولاية " السنجق بك " او امير اللواء " . ولكل هولاء الموظفين اراضي اقطاعية ايضا وهم مقابل ذلك يسبغون الى الحرب مع فرسان مسلحين . اما في اوقات السلم فانهم يقومون بحفظ الامن في الولاية تحت رئاسة الحاكم .

وقد قسمت الاراضي العثمانية زمن اول السلاطين الستة الى مقاطعات صغيرة تسمى : " لواء " او سنجق " اي علم . ويسمى رؤساؤها " امير اللواء " او سنجق بك " وتخضع الدولة " طوغا " اي ذنب جواد كاشارة خاصة للقيادة . وهم يخضعون لحاكمين عامين يسميان الاول

للروم ايلي والثاني للانضول وعما ايمان بطلقان على كل اراضي الدولة العثمانية // الكائنة في
 أوروبا وفي آسيا . ويكون مركز الحاكم الاول في موستير او صوفيا في بلاد الصرب . اما الحاكم
 الثاني فقد كان يقسم بادي* الامر في انقره ثم اقام بعد ذلك في ^{مكائنة} كوتايه . تمنح الدولة ~~لكل~~
 لقب " بكريك " او ميرميران * ومعناها امير الامراء او حاكم الحكام . ويكونان من اصحاب
 الطوعين او الثلاثة الاطواغ (١) وكان اللالا شاهين اول جنرال عثماني حصل على هذا اللقب مع
 رتبة الباشاوية عام ١٣٦٢ . وقد عين تيمورتاش اول ؟ بكريك* لارض الروم ايلي عام ١٢٧٦ .
 ولقد زاد محمد الثاني بعد فتح القسطنطينية عدد الباشاوات اي الحكام اصحاب الطوعين
 او الثلاثة . واخذ خلفاؤه من بعده يزيدون عددهم تدريجيا كلما توسعت اراضي الدولة
 بسبب فتوحاتهم الا انه حصل ترتيب جديد بهذا الخصوص زمن حكم مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥)
 وذلك ان هذا السلطان قسم الدولة الى مقاطعات كبيرة او الى ايلات * تتألف كل واحدة منها
 من عدد من " الالوية " واعطي لحكام الايلات العاليين لقب وزير ولقب باشا من اصحاب الثلاثة
 الاطواغ كما رقي حكام الالوية الى رتبة ميرميران او باشا من اصحاب الطوعين . وبسبب الوقت
 اصبحت هذه المناصب العالية لا تمنح الا لمدة محدودة . فكانت في بادي* الامر لثلاث سنين
 ثم انقصت الى سنتين الى ان اصبحت اخيرا لسنة واحدة . فكانت الدولة من ناحية تزيد من نفوذ
 سيطرة هؤلاء الحكام وكانت من ناحية ثانية بفضل هذا الترتيب الاخير تتلاقى ازدياد قوتهم
 اكثر من اللازم بسبب حكمهم ~~نفس~~ ^{نفس} الولاية مدة طويلة . الا ان المؤرخين العثمانيين كانوا يرجعون
 اسباب هذه الترتيبات الى عدم جدارة الوزراء والحكام او بالاحرى الى اطاعهم الزائدة اذ كانت
 تسبب لهم هذه التنسيبات العديدة مorda كبيرا .

ونحن لانرى هنا فائدة في ذكر التنسيبات التي حصلت في هذه الناحية من الادارة
 الحكومية زمن بعض السلاطين انما تكفي بذكر تقسيمات البلاد العثمانية كما هي عليه الان مشتملة
 فقط الى انها كانت مؤلفة من اربع واربعين ايالة ومئتين وعشرين لواء عندما كانت بلاد اليمن
 والمجر وترانسلفانيا وجورجيا وسرقاسيا وداغستان وشرقان واذريجان الخ . . . من ضمن ممتلكاتها
 اما في الوقت الحاضر فان الدولة مقسمة الى ست وعشرين ايالة مؤلفة من مئة وثلاثة
 وستين لواء . وتتألف هذه ايضا من الف وثمان مئة قضا . وتختلف هذه الايلات كثيرا

(١) كان عثمان الاول بكرياء في خدمة قباياد الثاني احد سلاطين السلاجقة في قونية // وراقاه الى هذه الحقبة
 الرتبة

بين بعضها في نسبة مساحتها وعدد البويعات . ويحكم حاكم الولاية بنفسه اللواء الذي جعله مركزه
اما بقية البويعات الولاية فانه يحكمها من قبله حكم من مختلف الدرجات يحملون اما لقب وزير او
باشا من ذوي الثلاثة الأطوار او لقب ميرميران او باشا من ذوي الطوفين او يدعون فقط باسم
متسلم او محصل الخ . . . ويطلق اسم " باشا " على الاولوية التي يحكمها باشاوات وعددها
اثنا وسبعون . ويتنازع حاكم الروم ايلي والانغول عن غيرهما بلقب " بكريه " كما انهما يحتفظان
بتقدمهما على بقية الباشاوات ويرجع هذا التقدم الى عهد بعيد . فيحكمان في اوقات الحرب جيوش
الولايات فواحد يحكم جيوش اسيا والثاني جيوش اوروبا .

ويحصل حكام الايالات على مصاريفهم من موارد الاقطاعات المتروكة تحت تصرفهم والكاشة
في اللوا الذي يجعلونه مركز حكمهم . ~~وهذا~~ ^{وهذا} عنى ذلك ان فان الباب العالي يعين كل سنة
لمعظمهم موارد لوائين او ثلاثة من البويعات التي يحكمونها . فاما يوجرونها او يديرها
باسمهم موظفون يطلق عليهم لقب متسلم . وهكذا فانه يخصم لهم جميعا ارباوستين لواء . وعدا
ذلك فان الباشاوات يتناولون ضريبة من كل الولاية الخاضعة لهم فتصل في اوقات السلم الى الف
او الف ومئتي قرش للواء الواحد والى ضعف هذا المبلغ في اوقات الحرب . ويدفع كل لواء عدا ذلك
نصف هذا المبلغ لحاكمه الخاص . ولكن يترتب على الباشاوات الذين لا يدعون الى الحرب دفع
نصف ضريبة الحرب هذه الى الدولة .

وهذان اثنا وعشرون لواء تعطى التزاماتها مدى الحياة ولهذا السبب فانها تسمى :
" مالكانه ميري " ويمكن لهؤلاء المتزمين ان يحكموها بانفسهم كما يشاؤون او ان يديرها غيرهم
باسمهم او تاجيرها ثانية . ولا يتخذ من ينوب عنهم سوى لقب *Voyvode* الا ان نائب لواء *Mételein*
يسمى " ناظرا " . وان سميرا من هذه الولاية يلتزمها باشاوات . وتستفيد الدولة من هذه
العملية في انها تتناول مبلغا من المال في كل مرة بباع فيها الالتزام بالمزاد العلني . الا
انها امتنعت من اخذ العساكر التي كانت تقدمها فيما مضى هذه الولاية زمن الحرب كما تفعل بقية
الولاية الدولة .

وتعطى في كل سنة التزامات ثلاثة البويعات الكبرى وهي البويعات " البوسنة والمورى وعائدين ايلي
للحكام العامين الذين تدخل هذه الولاية ضمن سيطرتهم . اما المبالغ التي يدفعونها في كل
مرة يتجدد الاجار فهي : (٥٢٠٠٠) قرش للواء الاول و (١٠٠٠٠) للثاني و (٧٥٠٠٠)

لثالث . وتتراى الدولة لهم مورد كبير من الضرائب التي لها على هذه الالوية . ويمكننا القول بان مواردهم هي اكبر من موارد بقية الحكام .

ان لوائي غلبولي وجزيرة رودس تعطيان لبكوات من قواد السفن الحربية . اما حكم لواء " ارغاني " في ديار بكر فهو لا يزال حتى ايامنا هذه من حقوق مدير مناجم هذه المقاطعة وتعطى جزيرة قبرص للصدر الاعظم ويتخذ الموظف الذي يلتزمها منه لقب " محصل " ويعين لامير البحر الثالث والثلاثين جزيرة التي في بحراجه والتي تؤلف لواء واحدا مؤجرة لعدد من المسلمين . وتسمى ابلته اية الجزائر وهي تتألف من كل الجزر الواقعة في جزيرة كيرديا ومن اغلب ممتلكات الدولة البحرية مثل البورى ونيفريون ولبانت وشواطيء اسيا الصغرى والدردييل الخ . . . ولايتعين الحكام الا لولاية اللمدة سنة . يشذ عن ذلك حكام الالوية الاثنتين والعشرين التي يعطى التزامها مدى الحياة وحكاما رودس وغلبولي وولاية ايدرس وياتوفا وحرمين *Telhermin* ويقسم كل لواء الى اقمصة يتألف بعضها من مدينة وملحقاتها والبعض الاخر من ناحيات تتألف من بلدان وقرى .

وتقسم الاراضي كما ذكرنا سابقا الى (١)

اراضي غنمها السلاطين في حروبهم وتدفع اما الخراج او الاعشار حسبما تقر زمن الفتح

اراضي وقفية مخصصة لمصاريف الجوامع او لغيرها من الامكة الدينية .

اراضي الدولة التي لا يمكن بيعها وهي تقسم الى تسع طبقات .

(١) الاملاك التي تذهب وارداتها لخزينة الدولة .

(٢) الاراضي العادية

(٣) الاملاك الخاصة للسلطان

(٤) الاملاك السلطانية وهي التي غبظتها الدولة او التي آلت للسلطان من الاشخاص الذين

ماتوا ولا وريث شرعي لهم .

(٥) الاملاك الخاصة للسلطنة الوالدة والامراء والاميرات العثمانيين .

(٦) الاقطاعات الممنوحة للمناصب التي يرأسها موظفون من الدرجة الاولى الذين يحملون رتبة وزير

وهم : الصدر الاعظم وامير البحر وياشاوات الثلاثة الاطواغ .

(٧) الاقطاعات المنوحة لباشاوات الطوفين .

(٨) الاقطاعات المعينة لحكام الولاية وللوزراء ولموظفي السراي .

(٩) الاقطاعات العسكرية " الزعامة والتمار " المنوحة لجنود السباه او لموظفين مدنيين او لانس عادين .

يحكم اغلب المقاطعات . حسب نوع الاراضي التي تتألف منها . اما اصحاب الاقطاعات او اصحاب الالتزامات الدائمة او نواب عولا . الاخيرين او مديرا الملاك الدينية . اما المقاطعات التي ليست من املاك الدولة وليست وقية فانه يحكمها نواب حكام او نواب " المستلمين " ان ترتيب كل الادارات الحكومية هي واحدة في كل الدولة العثمانية عدا بلاد مصر . فيعين مع الحاكم الذي يجمع في شخصه السلطة المدنية والعسكرية قاض يقوم باجراء العدل . ويعين في المدن الكبرى موظف يحمل لقب " سردار " يرأس كل الهياكل الانكشارية الموجودة في الولاية تلك المدن . ولجنود فرقتي الخيالة " السباه والسلاحدار " رؤساء في الولاية يسمون " كخيه يرس " . اما الاشراف من سلالة النبي فانهم يخضعون لرؤساء يعلق على الواحد منهم لقب " نقيب " ويخضع اهل الذمة لموظفين من الامن يسمون " صوباشي " ولهم ايضا رؤساء من ملتهم يسمون " توجه باشي " تنحصر مهمتهم في تعيين حصة السكان من الضرائب والرسوم المفروضة على الناحية التي هم فيها .

وعندما يترقى احد الموظفين الى رتبة الباشاوية من ذات الثلاثة الطواغ ينح حلقة من الفراء مصنوعة من جلد السمور كما تعطى له شارات الحكم باحتفال كبير وكانت تتألف هذه فيما مضى من طبل وعلم . ثم تغير الطبل باذناب خيل تعلق في راس رمح ينتهي بكرة مذهبة . فيتقدم السير علم وهو من اول موظفي السراي من الباشا ويناوله العلم والاطواغ الثلاثة . ثم يتقدم الرئيس اقصى ويناوله البراءة السلطانية كما يناول النيشنجي " صورة لشعار السلطان مع محبرة فضية ومئزر من الحرير المزركش (١) ويقدم الباشا كهديّة منه لكل من عولا الموظفين الثلاثة حلقة من الفراء مصنوعة من جلد السمور وجوادا مجهزا باثني عدة . وخمس مئة او الف الف ذهب . واذا كان الباشا متغيبا فان نائبه يقوم مقامه في تسليم كل هذه الاشياء

(١) يضع كبار رجال الدولة هذا المئزر على ركبهم عندما يكتبون فيجلسون على طرف الاركة قابضين على الورقة بيدهم اليسرى او يحملونها فوق ركبهم .

وفي تقديم الهدايا . وكان الحكام فيما مضى يستعملون شعار السلطان ^{الذي} وكان لهم الحق باصدار الاوامر باسم السلطان الا ان سوء استعمال هذه الصلاحية ادت الى ازلتها زمن السلطان احمد الثالث . ولم تبق الا مع القواد رؤساء الجيوش .

ان لرتبة الباشاوية ميزات شرفية كثيرة . فتقاد امام الباشا من ذوى الثلاثة الطواغ تسعة جياذ . وستة امام باشا الطوعين وثلاثة جياذ امام باشا الطوغ الواحد . ولهم ايضا موسيقى عسكرية مؤلفة حسب درجاتهم من تسعة او ستة او ثلاثة مزامير وطبول ودفوف وصناجات تعزف كل يوم مرتين امام قصورهم بعد صلاتي العصر والعشاء . ^{ثم} كما يظهر وا امام الناس يتقدم بعض الموظفين الذين في خدمتهم ويدعون ان تحل بركة الله ونعمته عليهم . ويمشي امام الباشاوات حينذاك السلاحدار رئيس حاشيتهم حاملا يده سيفا داخل قرابه اشارة لسلطتهم . ويكون لهم حسب درجاتهم ستة او اربعة او احد ~~من~~ حراس الشرف يرتدون ملابس خاصة . وينقسم الباشاوات عدداً ذلك الى قسمين : باشاوات اوربا وباشاوات اسيا . اما درجة كل قسم منهم فتكون حسب الاقدمية . الا انهم يعترفون وقت الحرب برياسة بكرك الروم ايلي وبكرباك الانضول .

ويساعد الحاكم في الشؤون الادارية شخصان او ثلاثة ينتخبون من كبار رجال اللواء ويثبتون من قبل الباب العالي . يعرفون باسم " اعيان " ويمكن مقارنتهم بموظفي البلديات . يتشاور الحاكم معهم وينفذ اوامره بواسطتهم وينفذهم . واصبحت وظيفة اعيان هذه في بعض الاماكن يتوارثها الابناء عن الاباء لما يشرب دائما على اعيان الجدد ان ينتخبوا من قبل كبار السكان . واذا كان لهؤلاء اعيان اعتبار في بلادهم يمكنهم كبح جماح الباشا الحاكم ومعارضة اعماله الجائرة . ويجتهدون ^{ههنا} في تقوية مراكزهم بتقديم الهدايا للبلاط او بزيادة كنف قوى لهم من اصحاب النفوذ في العاصمة . ولكن معظمهم بدلا من استعمال نفوذهم في درء الجور عن اهل بلادهم يجدون ارجح لهم ان يكونوا عوناً للحاكم في غفياحه عليهم .

وبما ان الباشا حاكم اللواء يكون قد دفع ثمن منصبه غالبا فانه يستعمل السرعة والجرأة في ارهاق السكان بالضرائب لانه غير متأكد من دوامه في منصبه ولكنه مظمئن تقريبا من انه لا يقاصر على عمله . ولا تصل شكايات المظلومين الى الدولة الا بصعوبة . واذا صدف ووصلت فان اعوانه وحماته يخففون من قوة تأثيرها . وان اكرر الوسائل التي يستعملها حاكم صناع

للاستيلاء على ثروة شخص غني تكون في اتهامه بارتكاب جريمة ما ثم اجباره على دفع قسم من ثروته يفتدى بها حياته وهذا المال الذي يدفعه يفرض عليه شرعا ويسمى غرامة نقدية . يرتكب الحكم مثل هذه الاعمال ليعتقلوا بابهتهم التي تكلفهم اموالا كبيرة . ان تتالف حاشية الباشا من ذوي الثلاثة الاعواغ من خمس مئة شخص على الاقل . وهناك ^{بعض} حكام في خدمتهم عدا رجال حرسهم اكثر من الفي شخص . ويتالف حرمهم من عدد كبير من النساء . ويقتنون من مئين الى ثلاث مئة جواد في اسطبلاتهم . وهم عدا ذلك يدفعون اموالا طائلة عند تعيينهم او في نهاية السنة اذا ظلوا في مناصبتهم . من هذا ترى بانه عليهم ان يدفعوا ثمن مناصبتهم و ثمن بقائهم فيها و ثمن ابعاد التشيقات المسببة عن حورهم .

وفيماعدا ذلك فان الحاكم وهو اكثر الموظفين فسادا يوافق ويقوم بمشتمى الدقة بكل الاعمال الدينية الظاهرية . ان بذلك يكتسب محبة الناس . وانه من النادر اذا اراد الناس مدح شخص من اصحاب المراكز ان يذكروا فضائله ومقدرته . انما يكفون بالقول : انه مسلم صالح لايتوانى ابدا عن القيام بواجباته الدينية . ثم يتطلب من موظف الدولة ان يكون متقدما في السن وذو الحية بيضاء . وكان من العار عند الناس ان يكون في احد المناصب العالية موظف يتراوح سنه بين الاربعين والخامسة والاربعين او يعتبر كهبي بعد . ومن الاقوال الدارجة عند علمهم ان سنا كبيرا واختبارا طويلا في الاعمال لاقضل من علم افلاطون وارسطو . فاذا سخطت الدولة على احد الحكام واستصفت امواله فان اللوا الذي كان يحكمه يحكمه لا يستفيد شيئا ويبقى على ما هو عليه . ان الدولة لاتعوض شيئا على اولئك الذين اختلسوا الحكم اموالهم . ويسير عادة الحاكم الجديد الذي يعين على منوال سلفه .

وإذا زادت هذه المظالم الى درجة انها سببت قلاقل في اللوا، فان الدولة ترسل حينئذ موظفا كبيرا يحمل لقب مفتش وتضعه صلاحيات واسعة . الا انه في معظم الاحيان عوضا من ان يهدد الحالة يزيد في خراب الناس بما ياتيهم من اعمال الرشوة والظلم .

ان السلطة المطلقة التي يتمتع بها حكام الولايات تضعهم في حالة يحكمهم بها من العصيان ولكن هذا لا يكون للاستقلال والانفصال عن الدولة العثمانية انما يفعلون ذلك عادة لانقاذ ارواحهم وخوفا من بطش السلطان اذا كان سريع التأثير يغضب لاقل وشاية ولا يقف عند حد في انزال عقوباته . عندها يجدون العصيان اسلم لهم . ولكن من النادر ان يستعمل الباب العالي القوة لاجسادهم . انما ~~كلهم يداينهم~~ كما دته ويخفف من حدتهم باعطائهم تامينات

كاذبة ومواعيد العفو والغفران فيرسل لهم رسائل الامان ويوضحهم امتيازات جديدة وهو مع كل هذا يترقبهم ويستنح الفرص للتخلص منهم . ويجب ان لا نستقد بان حاكما ما يسلم حياته للدولة على اثر امر سلطاني لان المسلمين لم يبدوا هذه الدرجة في القبول بالمصير والخضوع لوامر السلطان ينهد على ذلك المجهودات التي يبديها الناس على اختلاف طبقاتهم الذين يحكم عليهم بالموت للتخلص من ايدي جلاديهن ان يتسرخون وهم يحاولون الفرار ان الله امر الانسان ان يدافع عن حياته . لهذا فان الموظف الذي تنتدبه الدولة للتخلص من احد الحكام المستعصين يكون عادة احد رؤساء الحجاب يتظاهر بانه آت لبعض الاعمال العادية . يستعمل كل ما يوسع له لكي لا يشير شكوك ضحيته ولتخفيف بقلتها . وعليه ان يبدي منتهى الحذر لان اقل بادرة تصدر منه ~~ويستعمل~~ قد تجعل الحاكم يظن الامر بقدرة حياته على ايدي هذا الاخير . وتلزمه في غالب الاحيان عدة اشهر لتبني الوسائل اللازمة لنجاح مدهته فاحيانا يرشي سرا قواد العساكر واحيانا اخرى يستعمل الحيلة .

ولقد ارسل زمن السلطان محمد الرابع احد رؤساء الحجاب الى ارضروم بمهمة اعدام كلكر البكر اسماعيل باشا . فلما وصل تظاهر بالمرض الشديد والتمس من الحاكم ان يرسل له طبيبه . وكان قد شد ذراعيه شدا قويا لينح جريان الدم . فلما حضر الطبيب وجس نبضه وجدته ضعيفا جدا فحكم بانه على اخر رمق من الحياة واعطى بذلك تقريره للحاكم وبمفس الوقت بعث رئيس الحجاب رسالة له يحثه فيها للحضور اليه ~~في~~ ان لديه اوامر على غاية من الهمية يريد اعلامه بها قبل موته . فحضر اسماعيل باشا لديه يصحبه اربعة من الخدم . وفي اثناء المحادثة دخل رجال رسول السلطان الى الغرفة وقتلوه . وفي الحال اظهر هذا امر السلطان " الخطي شريف " القاضي باعدام الحاكم . ثم عين رئيس الحجاب حاكما بوقتا ورجع الى الاستانة حاملا راس اسماعيل باشا .

واستعملت ~~نفس~~ الحيلة ^{نفس} زمن السلطان عبد الحميد لقتل "الهيبودار" غرينوار Ghinar الذي عين حاكما على امارة البندران وذلك على اثر معاهدة صلح فينرجة . وان شك الباب العالي بانه على اتصال مع دولة روسيا . ولا يتناول الباشاوات الحكام معاشاتهم التقاعدية ~~في~~ بسهولة فلا تمنح لهم الا كمرحمة يدفعون ثمنها غالبا . ان لا يحق لهم بعد الانتهاء من خدمة الدولة ان يختاروا مكان اقامتهم او ان يسكنوا في العاصمة لان سياسة السراى الحذرة المترتبة

تخاف ان يتمتعوا بمتفوز واعتبار ساميين بفضل ثروتهم او بفضل المنصب الذي كانوا فيه .
الا ان الدولة تكون اكثر تساهلا مع باشاوات الطوغين اذ تسمح للذين اشتهروا منهم بالسكينة
والتمقل بالاقامة في العاصمة الا انه يفرض عليهم ان يعيشوا في خلوة تامة . وان مناصب
حكام الولاية غير مرغوب فيها من قبل كبار رجال البلاط بالرغم من الابهة التي تكون للباشاوات
الحكام . اذ يخافون من التنويرات الدائمة التي تحمل في هذه المناصب ويعتقدون بانهم
يكونون خارج العاصمة اكثر تعرضا لنكبات الدعر المسببة عن التنافس والحسد .

يتحمل كل لواء مصاريفه المحلية مثل نفقات الحكومة وتكاليف الحصون ونقلات الارزاق
والاعتدة الحربية ونفقات العساكر المارة منه . اما الضرائب المفروضة على السكان فانها تتابع عليهم
تحت اسم : " عوارض " واشترا " ونفیر عام " وقضان بها " وذخيرة بها " وعشرية " وغيرها
وكلها داخلة تحت هذه الاسامي المقنونة مثل " الجبايات " او تكاليف الشقاء " التي تعطى
لها لانه غير مسموح بها في الشرع . وهكذا فان الدولة تتلافى ما يعوزها من المال المسبب
عن هذه الضرائب المباشرة الضئيلة التي يسمح بها الشرع والتي وضعت لسد النفقات البسيطة
التي كانت للدولة الاسلامية في اول نشأتها والتي لا تكفي الان لمصاريف امبراطورية عصرية كبيرة .
الا ان اي تغيير يجرى في هذه الناحية يعد غير شرعي ويصادف مقاومة شديدة من الشعب
المتسمان باعتقاداته الدينية . الا ان السلطان الذي يمنحه الشرع عند الحاجة حق طلب الكهنة
المسلعات من كبار رجال الدولة يطبق حقه هذا على كل طبقات الامة وبصور مختلفة في اوقات
المسلم كما في اوقات الحرب . ولخوف الشعب من ان تفرض الدولة ضريبة ثابتة يقبل ويتحمل
هذه الضرائب انبراطباشرة التي يعتبرها وقتية بالرغم من انها تتابع على الدوام .

ان توزيع هذه الضرائب على السكان يكون متناسبا وحالتهم المالية . ولكن في الامكنة
التي يكون فيها عدد المسلمين اكثر من عدد اهل الذمة يتحمل هؤلاء القسط الاكبر منها .
ويعتقد بان سكان اغلب الولاية يخسرون من جراء هذه الضرائب نصف مواردهم او نصف ثمره
اعمالهم . ويدفع اهل الذمة عدا ذلك رسوما حين تزوجهم وعند موارثهم التراب ووقت تشييد
مساجدهم او ترميمها . ويترتب عليهم قبل القيام باى عمل من هذا النوع ان يطلبوا الاذن به
اما من صاحب الاقطاع او من رئيس الامن اللذين يعينان لهم مبلغ الرسم المفروض عليهم دفعه .
والذى يتفق وحالتهم المالية .

الا ان اكبر التكاليف المباشرة التي تصيب السكان هي تلك التي تنتج عن سفر حكام الولاية وضدوبي الدولة . فان التنقلات العديدة بين الحكام تجبر هؤلاء ان يعمروا دون انقطاع بين المقاطعات وعلى السكان ان يهيئوا لهم كل ما يحتاجونه وان يقدموا الهدايا لهم ولرجال حاشيتهم . وبما انه ليس في الدولة بريد فان الحكومة تضطر لارسال رسول خاص في كل عمل يكون على شيء من الامة . فان كل دائرة من دوائر الصدر الاعظم والمالية وامير البحر وقواد الجيش تنتقي رسول بريد عما من بين موظفيها وتكون رتبته مناسبة ونوع الرسالة التي يحملها وان سبل هؤلاء الرسل لا ينقطع فتراعهم يجتازون العرق يتبعهم رجال مسلحون ويفرضون الرسوم على البلاد التي يمرون بها والتي يجب ان تؤمن لهم الطعام والسكن . وهم عدا ذلك يؤكدون في طلب نفقات السفر من الباشا الذين هم مرسلون اليه او من المدينة التي يبعثون اليها . ولا تنقطع عنهم الهدايا ابدا . ولهذا فان عددا كبيرا من الموظفين المدنيين والعسكريين يسعى في طلب هذه الوظيفة .

وتعين الدولة " سرعسكر " اذا كان الامر يرضي بتطهير لواء ما من الاشقياء او لاختراع بلاد متردة والقضاء على عصيان احد الباشاوات الحكام . فتعطيه خمسة عشر او عشرين الف فارس واذا لم يكف هذا المبلغ تعطيه الدولة صلاحيات واسعة تخوله تجنيد الرجال وجمع النقود فيمر رئيس الحيزر بالولاية ويفرض الضرائب ويعين قوادا من " البينباشية " اي رؤساء الالف الذين يخذلون الرجال براتب ثلاثين قرشا للعسكري من المشاة وخمسة واربعين للفارس . فاذا انتهت مهمة هذه الحساكر فانها هي نفسها تستعمل في جباية الاموال من البلاد التي اخضعوها ومن الولاية المجاورة لها وذلك لدفع نفقات السرعسكر . الا ان هذه الاموال تزيد احيانا عن المطلوب فياخذها ^{السرعسكر} وتكون من اسباب ثرائه .

ولكن هناك امرا اكبر خطرا من هذه الرسوم المباشرة ومن تعديت رجال السلطة والذي يمنع ازدهار الصناعة ويسبب الجذب في اراضي حبتها الطبيعة بخيراتها الا وهو عدم امان السكان على اموالهم واملاكهم . فان الدولة تضبط ارزاق عاقلها بعد موتهم ان لم تفعل ذلك وهم احياء . وما من احد يجرب على اظهار حقيقة ما عنده خوفا من ان تنتهب السلطة اليه . ولا يعرف الناس كيف يشغلون اموالهم . فهل يستعملونها في اعمال نافعة ؟ ولكن كل

مصلحة خارج العاصمة معرضة لخطر عديدة تنشأ عن سوء حال الأمن وأعمال القوضى . وهذه المصالح معرضة حتما في اوقات السلم لهجمات اللصوص . اما في اوقات الحرب فان الجندي لا يحفظ حرة املان، وارزاق مواطنيه ~~فيهم~~ فيسلبها كما يسلب املان اعدائه . ويبقى الناس في كل الاوقات تحت رحمة رجال السلطة .

ان تأثير هذا الاستبداد يظهر حليا وبصورة بارزة عندما يكون البؤس مهيما على الالوية . فتمتلي المدن جيوش من اللصوص . وتبقى جيوش من الدواب مستعدة دائما للانضمام تحت لواء عاصم يشور على الدولة . ويهجر السكان المسلمون البلاد التي راوا النور فيها . ويهرب المسيحيون خارج حدود الدولة كما يبتغي المسلمون الى العاصمة حيث يكون الطغيان اقل عنفا ولكمهم يضعون في بعض الاحيان من اللجوء اليها . وتصدر من وقت الى اخر الاوامر بعدم توسيع العاصمة بتشييد ابنية جديدة كما تصدر الاوامر الى جميع الموائل التي توطنت في العاصمة من ثمان او عشرين سنين بالرجوع الى بلادها الاصلية . ولا يكون هدف هذه التدابير ربح الناس من عحر الالوية بقدر ما ~~يكون~~ ^{تأسف} يكون في ~~البلاد~~ تسهيل اعاشة مدينة كبيرة وتعد من السكان حتى الان ست مئة الف . ولا حاجة بنا للقول بان هذه التدابير التي تنوء تحت نير مثل هذا الحور لا يمكن ان ينبعث منها اي شعور وطني . ان العصبية الدينية هي الرابطة الوحيدة التي تجمعها .

هناك عدد كبير من البلاد تخضع للدولة العثمانية ولكنها لاتدخل في نظام الالوية

التي يحكمها باشاوات من قبل الباب العالي . وهذه البلاد هي :

- (١) مدينة مكة التي يحكمها منذ عام ١٢٠١ رجال من الاشراف من بني قتادة الكتسبون الى علي ومحمد . الا انهم خضعوا للدولة العثمانية سنة ١٥١٢ على اثر افتتاح مصر والشام من قبل السلطان سليم الاول . ولا يزال الامراء من بني قتادة يحكمون مكة يعينهم السلطان ويكون هذا التعيين نوعا ما انتخابيا فيخلع عليهم حلة من القرا مصنوعة من جلد السمور وسيفا مرصعا بالذهب ولم يات ولا واحد منهم قط الى العاصمة عدا الشريف يحيى الذي حضر سنة ١٧٢١ لتقديم خضوعه للسلطان احمد الثالث على اثر عزله عن حكم مكة من قبل احد ابناء عمه .
- (٢) المدينة المنورة ~~التي~~ كان يحكمها من قبل السلطان احدى رؤساء خصيان السراي السود

يحمل لقب " شيخ الحرم "

- (٣) الافلاق التي زالت امتيازاتها عنها بصورة متتابعة ولقد اخذ يحكمها منذ قرنين تقريبا حكام من كبار رجال اليونان الذين يقطنون الاستانة . وقد كانوا يعينون سابقا لمدة ثلاث سنوات واخذوا من مدة قريبة يعينون لسبع سنوات . ولا يحملون غير لقب *syvode* او لقب ميرميران اي بالثا من اصحاب الطوفين .
- (٤) البغدان التي تعامل نفس معاملة الافلاق .
- (٥) تسع عشرة ناحية كردية في لواء *ahle* اهلدير يتوارث ادارتها حكام من الاكراد يقدمون عددا من الخنود للدولة عندما تطلب منهم ذلك .
- (٦) ثمان نواح كردية في ديار بكر لها نفس ترتيب النواحي السابقة .
- (٧) خمس نواح كردية اخرى في ديار بكر ايضا . يدبرها حكام يعينون بالانتخاب . الا ان الدولة هي التي تدفع مرتبات العمداكر التي يقدمونها لها .
- (٨) ناحيتان كرديتان في لواء الموصل لهما نفس ترتيب النواحي الخمس السابقة فقط .
- (٩) ست نواح تركمانية في لواء سيواس يحكمها موظف خاص يحمل لقب لقا .
- (١٠) البوعيين " قبطان " الموحدون في الولايات الاسيوية يخضعون لسلطة *syvode* بجبي الضرائب المفروضة على كل شخص من هذه القبائل المتقلة .
- (١١) الولايات الافريقية الثلاث وهي الجزائر وتونس وطرابلس . فقد خضعت للدولة زمن السلطانين سليم الاول وسليمان الاول وهي تعترف دائما بسلطة السلطان الروحية ولكنها لا تعترف الا قليلا بسلطته الزمنية . ويصادق السلطان على تعيين حكامها الذين يعينون بالانتخاب وينحهم لقب ميرميران مع طوفين ومنحهم في بعض الاحيان رتبة بكريك الروم ايلي . وعوضا من ان تدفع هذه الولايات الجزية للدولة فانها بالعكس هي التي تستلم من وقتلاخر الهدايا منها . وتكون بصورة اعتدة حربية . ويحق لحكامها ان يحددوا الرجال من البلاد المجاورة للبحر مثل شواطئ الشام وشواطئ اسيا الصغرى والمورى . ويؤلف هؤلاء الجنود القوة العسكرية لكل ولاية . ويحق لروؤساء هؤلاء الجنود ان يتوصلوا الى اعلى المناصب في الدولة .
- ان عدد سكان الدولة المثمانية غير معروف . فان المعتقدات الدينية تنزع من حفظ سجلات في احصاء عددا المواليد والصوفيا والوفيات وعدد السكان . ان يعتقد اتباع النبي محمد بان عملا مثل هذا يكون نوعا ما مراقبة لاعمال الله وخطيئة ضد واجب الخضوع التام لاحكامه .

اما الولايات التي تتألف منها الدولة العثمانية فهي :

الروم ايلي - البوسنة - سلستريا - الجزائر - كريت - الانضول - مصر - بغداد - الرقة -
الشام - ارضروم - سيواس - عيدا - حدير - جدة - حلب - قرمليا - ديار بكر - ادنه -
طربزون - الموصل - طرابلس - البستان - قارص - شمرزول - فان .

الباب السابع

حالة الدولة العثمانية العسكرية

قبل ان نتكلم عن حالة الدولة العثمانية العسكرية الحاضرة سنشير الى مختلف فرق الجيش التي كانت موجودة في اول عهد الدولة . كانت هذه الفرق تدعى : ياييا مسلم العزاب صارية يوروك جنبطان ، غريبان .

(١) "الايياويدون" ايضا بيادة جندهم السلطان اورخان . ولكنه انشأ بعد بضعة اشهر فرقة الانكشارية لذلك فانه جعل جنود الياييا من الجنود الاقطاعيين لانه كان يستأ منهم بسبب تمرده ففرق عليهم الاراضي وامر ان يشتغلوا في حال عدم سيرهم الى الحرب في ترميم الطرقات ونقل الازقات والامتعة الخ وكانوا يمدون (٢٠٠٠٠) رجل . وقد تحسنت سيرتهم شيئا فشيئا وتحولت في بادئ الامر الاراضي التي يملكونها الى اقطاعات تسمى " زعامة وتيمار " ثم تحولت الى اربع عشر مقاطعة تسمى " بكلك " تصرف مواردنا حتى يوضا هذا كمرتبات تقاعد لقداما فواد الانكشارية .

(٢) المسلم " او المعفون من الضرائب يؤلفون فرقة من ثلاثة الاف فارس .

(٣) العزاب ووظيفتهم الاعتناء بالمعدات الحربية . وقد اختلفت فرقة الجبجية .

(٤) " الصارية " يسمون كذلك نسبة للون لعلامهم الصفراء وكانوا من الفرق التي جددت في بعض ولايات اسيا الصغرى . الا ان الدولة حلت فرقتهم زمن مصطفى الثالث تعدياتهم . وقد اختلطوا مع عساكر الايالات .

(٥) " يوزان " او العساكر السبارة وكانوا من فرق مشاة الروم ايلي . وقد سرحوا من الخدمة زمن سليمان الاول .

(٦) " الجنبطان " او الاولاد الضائعون و " الغريبان " اي الغرباء . وقد وضعوا كحاميات في شواطئ الانضول الا ان سليم الثاني ازال فرقهم .

وتتألف جيش الدولة العثمانية البرية في الوقت الحاضر من : (١) العساكر المنظمة . تعيين

لها مرتبات وتكون دائمة الخدمة (٢) الفرسان وهم يعيشون من الاقطاعات العسكرية المدة
(٣) العساكر التي تجندها الايلات في زمن الحرب (٤) فرق حرس الباشاوات وجنود المقاطعات الخ
الخاضعة لهم (٥) الفرق الحرة .

الفصل الاول

الجيش المنظمة التي تتناول مرتبات وتكون دائمة الخدمة

تتألف من اربعة جيوش للمشاة وهي : (١) الانكشارية . (٢) الجبه جيه او صانعوا الاسلحة
الاسلحة (٣) الطوبجية او فرق المدفعية . (٤) الطوب عرجية . ومن جيشين للفرسان وعدا
السباه والسلحدار . ويطلق على كل هذه الجيوش اسم " اوجاه " لتمييزها عن غيرها من
الجنود .

الجيش الاول : الانكشارية

انشأ اورخان عام ١٣٣٠ هذا الجيش الذي يحتل بحق الدرجة الاولى بين العساكر
العثمانية ليحل محل فرقة " اليايا " ولقد كانت ملكه صغيرة الا انه كان يطمح بتوسيعها
بفتوحاته . لهذا شعر بالفائدة التي سيجنيها اذا الف جيشا من المشاة دائمة الخدمة
وكثير الطاعة وبما ان رجال التركمان كانوا لا يصلحون كجنود مشاة وبعيدين عن الطلعة فلقد جند
ما كان عنده من المسجونين المبيحين . وقد بارك تاسيس هذا الجيش من المحاربين رجل متدين
محترم يدعى الحاج بقطش مؤسس فرقة الدراويش البقشاشية وذلك بان وضع كم ثوبه الابيض على
رؤس كبار قوادها ووعدهم باسمه تعالى بالفلاح والتوفيق . واطلق عليهم اسم " ينني جري " .
اي الجيش الجديد . ولهذا السبب فان جنود الانكشارية اعترفوا بقدسية هذا الشيخ واحتفظوا
بلقب " البقشاشيين " . وانضم الدراويش اتباع الفرقة البقشاشية بدورهم الى جيش الانكشارية
ودخلوا في " الامرطة " التاسعة والتسعين . وظلت الدولة طويلا لاتقبل في هذا الجيش سوى

الذين تنفقهم السلطة من البلاد المسيحية الخاضعة لها ولم يحصل لهذا الجيش نظام ثابت الا في زمن محمد الثاني ثم بعد ذلك احرى السلطان سليمان تعديلات في قوانينه .
وتتألف العساكر الانكشارية من اربع فرق تدعى : الجماعات وبولك وسبعان وعجمي اوغلان (١) . وتتألف كل واحدة منها من عدد الارطاط وتشكل جميعها مئة وتسعا وعشرين "ارطة" يبقى منها سبع وسبعون في العاصمة ويوزع الباقي على الولايات .

كانت فرقة "الجماعات" تعد مئة ارطة وارطة وذلك قبل ان ينزل مراد الرابع الارطة الخاصة والسنتين عام ١٦٢٣ بسبب الاعتداء الذي قام به احد افرادها على السلطان عثمان الثاني عندما تمردت العساكر عليه . اعلن السلطان مراد على اثر ذلك حرمان هذه الارطة وحول شكتها الى اسطول وكانت اللعنات تتحدد عليها كل خمسة عنبريوا عندما توزع الشموع على بقية الارطاط . التي يبقى منها في العاصمة احدى عشرة يلتحق اربع منها بحرس السلطان . ويتميز رجالها عن غيرهم بهزيمهم الخاص وباسمهم اذ يطلق عليهم لقب "سولك" اما بقية الارطاط فانها ترابط على الحدود .
تتألف فرقة "البولك" من احدى وستين ارطة ^{موزعة} ثلاثون منها على الولايات وبطل الباقي في العاصمة .

وتعد فرقة السبعان اربعا وثلاثين ارطة لايقم في العاصمة منها سوى الارطة الثالثة والثلاثين وتتألف فرقة العجمي اوغلان ايضا من اربع وثلاثين ارطة تبقى دائما في العاصمة حتى في ايام الحرب . وفي هذه الارطاط التي تعد من اقدم ارجاء الجيش يقوم المعطدون المبتدئون بتدريسهم العسكرية الاولى قبل ان يلتحقوا ببقية الفرق .

ان كبار قواد الانكشارية هم :

(١) اغا الانكشارية وهو رئيس كل الجيش . وكان يعرض هذا المنصب في الاصل وتقريبا دائما للسيمان بلشي الرئيس الثاني للانكشارية ولكن سليم الاول امر بانه يحب الا ينتخب رئيس الفرقة من بين القواد الانكشارية وسبب ذلك ان كبار من الاغوات اساورا استعمال نفوذهم الذي يكتسبونه بفضل ترقية المتابع ومرورهم بجميع مراكز الفرقة . عندما اصبح هذا المنصب الهام يمنح اما الرئيس فرقة السباه والسلحدار او لاحد كبار موظفي البلاط او لاحد وزراء الدولة . انما شعرت الدولة بعد

(١) فالاسمان الاولان يدلان على نفس المعنى الاول باللغة العربية والثاني بالتركية اما سيمان وتلفظ خطأ سيمان فمعناها خادم الكلاب وعجمي اوغلان المبتدئون .

زمن قليل ضرر معين رئيس جنود الانكشارية مشائين من بين الموظفين المدنيين لا يقدر على ردهم . ولقد زادت الفوضى الى درجة اجبرت السلطان مراد الثالث ان يعيد النظام القديم وذلك عام ١٥٨٢ . ومنذ ذلك الحين اصبح السيمان باشي " او القول كخية " يخلف الاعا في الرئاسة واصبح يمكن بقتضى ذلك اعتبار الاعا قائدا لانكشارية وهو بنفس الوقت كحاكم الاستانة والنائب الاول للمصدر الاعظم .

(٢) السيمان باشي رئيس فرقة السيمان . هو نائب الاعا ويخلفه ايام الحرب في حكم

الاستانة .

(٣) القول كخية " او وكيل الفرقة . مسؤول عن كل ما يتعلق بشؤونها المالية وحفظ

الامن وحفظ انظمتها . ولكونه رئيسا للارطة الاولى من فرقة البلاء التي يسجل السلاطين

اسماهم فيها فانه يعين ولكن شكلا فقط لحراسة الامراء العثمانيين المسجونين في السراي .

(٤) الزفرجي باشي " رئيس الارطة الرابعة والستين من فرقة الجماعات .

(٥) الصمصنجي باشي " رئيس الارطة الواحدة والسبعين من فرقة الجماعات

(٦) الطورنه جي باشي " رئيس الارطة الثالثة والسبعين من فرقة الجماعات . (١)

ان هؤلاء القواد الذين يسمون لغاوات الواقات يؤلفون لعضاء الديوان او مجلس الشورى

العسكري الذي ينعقد في قصر رئيس الفرقة . ولعن يريد ان يؤهل لرتبة " قول كخية " عليه ان

يكون قد تم بالرتب الاخيرة الثلاث . ولا يحق للمعزولين من هؤلاء القواد ان يقيموا في الاستانة

فهم اما ان ينقلوا الى احدى الجزر او يعينوا ~~حظا~~ بلقب " سرحداتا " لحدى الاماكن المحصنة

الواقعة على الحدود .

(٧) القواد الذين يدعون " سرحداتا " يواسون الحاميات الانكشارية المرابطة في اهم الحصون وهم

لا يتوصلون الى هذا المركز الا بعد ان يحصلوا على رتبة " طورنه جي باشي " وعددهم الان اثنان

وثلاثون متساوون في الرتبة عدا " سرحداتا " مدينة " فديين " الذي يتقدم عليهم . وسبب ذلك انه

بعد افتتاح هذه المدينة في زمن بيابيزيد الاول وضع الصمصنجي باشي " مع اورطنه لحراسة هذه

المدينة وهي الارطة الثامنة والستون من فرقة " الجماعات " واتخذ طير الكركي شعارا له . ومنذ ذلك

الوقت لم تنقل هذه الارطة من مركزها وظل رئيسها يتبع بلقب " طورنجي باشي " وهو متقدم على

" طورنه جي باشي " العاصمة ان يعتبر اقدم منه . واذا دعى " سرحداتا " الى الاستانة فانه

يرجع ويدخل فرقة الانكشارية ويحمل نفس الرتبة التي كانت له قبل ان يغضب عليه .

(٨) - يراد بالزفرجي باشي رئيس الكلية السلوية . ويراد بالصمصنجي باشي رئيس الكلية الروسية (مسلمة) . اما الطورنه جي باشي فمفها

رئيس طيور الكركي . وهكذا الروؤساد العسكريه هم بنسب الوقت من طرفي دائرة صير السلطان كما تشير اسماؤهم الى ذلك .

(٨) استنبول اغا * قائد فرقة " العجمي اعلان " والرئيس الخاصر للارطة الرابعة والثلاثين لهذه الفرقة . وله نائبان اغا الرزم ايلي واعا الانضول رئيسا فرقتي الرزم ايلي والانضول الموءلفة كل منهما من سبع عشرة ارطة . وكان لا يقبل سابقا في الفرقة الاولى سوى المجدين من الولايات الاوروبية . وفي الثانية المجدين من الولايات الاسيوية . ان حامل رتبة " استنبول اغا " يظل عليها مدى الحياة ومن النادر ان يتوصل منها الى المناصب الاولى . الا ان رتبته متساوية ورتبة " القول كخية " .

(٩) - السلطان ياتيه الاربعة وروساء اربع ارطات " السلطان التي تولف قسما من الحرس الهمايوني ولهم رتبة الزفرجي باشي . وعندما يظهر السلطان امام الناس يرتدون لباسا مصنوعا من القطيفة الخضراء مبطن بغراء من جلد الفهد . ومضجهم دائمي مدى الحياة وخلفهم اقدم نوابهم الذين يدعون " ركاب سولنجي " وعددهم ثمانية . اثنان لكل ارطة وعي تتالف من ستة انكشاري ينتقون من كل الجيش من بين الذين يمتازون بحسن الهيئة والبسالة .

(١٠) " امام الاوجك " او القائم بشؤون الجيش الدينية وهو رئيس الارطة الرابعة والتسعين من فرقة " الجماعات . وعندما ترقى رتبته يخلع العمامة ويترأى خلفه القيام بالاعمال الدينية .

(١١) " بيت الملجي " رئيس الارطة الواحدة بعد المئة من فرقة " الجماعات " . هو وكيل مال الجيش (هو والذي يجمع متروكات من مات من الانكشارية الذين ليس لهم وراث شرعي وترتب عليه ان يمر برتبة " اوجا امام " لكي يتوصل الى رتبة " طورنه جي باشي " .

(١٢) " الباش شاوش " رئيس الارطة الخامسة من فرقة " البلاك " هو حاكم الجيش الاكبر . وله تحت امرته ليمتكن بالقيام بأعباء هذا المنصب ثلاث مئة شاوش تقريبا .

(١٣) " المحظر اغا " رئيس الارطة الثامنة والعشرين من فرقة " البلاك " يقوم بحراسة قصر الصدر الاعظم ولهذا السبب فانه يسكن نفس القصر معه . ويراقب السجن الباش في داخل هذا القصر . وعوعدا ذلك يمثل فرقته امام الدولة .

ان رئيسي الارطتين الاخيرتين اي الباش شاوش والمحظر اغا متساويين في ~~ال~~الرتبة .

١٤ " الكيخية يرو " رئيس الارطة الثانية والثلاثين من فرقة " البلاك " يقوم بحراسة الاغا اثناء الحرب .

(١) يساعده مدير مالية الجيش يحمل لقب " اوجا بازغيانلي " ويكون دائما من اهل الذمة . وظلت عائلة " ظنانا " الاسرائيلية تحتل هذا المنصب الكبير الريح منذ امد طويل .

واذا مرض هذا الاخير ولم يتمكن من المجيء الى السراى يوم انعقاد الديوان فان الكمخية هو الذى ينوب عنه فيه . .

(١٥) "التعليم خانه جي" رئيس الارطة الرابعة والخمسين من فرقة "البلك" ومدير الانكسارية في التمارين العسكرية .

(١٦) "الجرداق شوربه جي" رئيس الارطة السادسة والخمسين من فرقة "البلك" . ومكره كائن في حي الجرداق حيث تقيم اهم فرقة من فرق حرس الاستاتة . ومن اعماله ان يرافق قاضي العاصمة في تحولاته العادية داخل المدينة لفحص اسعار المأكولات والتثبت من صحة المكييل والاوزان .

(١٧) "العسس باشي" يراس احكام الاعداد ومدير السجن الكائن في وسط المدينة تقريبا . وهو يؤخذ من بين رؤساء ارطات البلكات المرابطة في العاصمة .

(١٨) "الاجي باشي" رئيس الارطة الثالثة والثلاثين لفرقة السيمان . وتقيم هذه الارطة في العاصمة في فصل الشتاء اما في فصل الصيف فان مركزها يكون في سطرنجة على شاطئ البحر الاسود وحمل رؤساء بقية الارطات لقب "شوربه جي" فقط ومعنى هذه الكلمة هو (صانع الشورية) ويكون ارفعهم منزلة اقدمهم خدمة .

ويحكم كدارطة الضباط ونائبو الضباط وهم :

- (١) "الافضة باشي" او الرئيس الثاني للارطة .
- (٢) "وكمل الخرج" يقوم بشؤون الفرقة المالية .
- (٣) "البيرقدار" اى حامل العلم
- (٤) "الباش اسكي" رئيس القديمين في الفرقة
- (٥) "الاسطه" او العنشي
- (٦) "الباش قره قلقجي" اى ريس خدم المطابخ
- (٧) "السقى" - الققه ملقبي

ولا يزداد عدد هؤلاء الضباط ونائبو الضباط ابدًا حتى ولا في ايام الحرب عندما تكتمل الارطة ويصل عدد افرادها الى الخمس مئة . وهذه احدى العلل الموجودة في تنظيم هذا الجيش وتنظيم غيره من عساكر الجيش المنظمة . والارطتان الاولى والخامسة من ارطات فرقة "البلك"

هما الوحيدتان اللتان يضاف اليهما نائب ضابط يدعى " زميلجي " وتأتي رتبته راسا فوق رتبة ~~المر~~ السقي .

ويمكن لأي جندي الوصول لرتبة نائب ضابط اذا خدم طويلا او اتي بأعمال مشرفة .
ويكون الترقى من رتبة " اومباشي " حتى رتبة " اوضه باشي " حسب الأقدمية . ولما لا قاعدة هناك
تسير عليها الدولة في ترقية " الاوضه باشي " الى رتبة " شوريه جي " . ولا يمكن للجندي
الانكشاري ان يترقى الا في أرطته التي يخرج منها الا ليتسلم رئاسة أرطه غيرها .

تبقى الارطات بصورة مستمرة في الاماكن المحسنة التي عينت لها . ولا تتقل من مراكزها
في اوقات السلم الا اذا حصلت بفضاء بين فرقتين منها يخاف من عاقبتها . وتربط اثنتا عشرة
منها في بلغراد واربع عشرة في ^{عديب} حطون وست عشرة في قيين وعشرون في بغداد الخ . . .
يتنبر روساء الارطات كثيرا . فالشوريحي المعين حديثا تعطى له في بادى الامر

قيادة احدى الارطات المرابطة على الحدود ثم ينقل الى غيرها ثم يتكرر ذلك بصورة تجعله
يقوم بتتابع في ولايات مختلفة . ويرأس الشوريحية بار تميز ارطات الفرق الثلاث البلك والسيمان
والجماعات الا انه يحق للشوريحية القائمين في الاستانة والذين يداؤا خدمتهم العسكرية في
احدى ارطات فرقة الجمعات الايسر بفرقتي السيمان والبلك .

ويتألف جيش الانكشارية عدا الارطات التابعة للاربع فرق من عشر ارطات ملحقة به ولكل
منها مهمة خاصة .

(١) اليازجيين " اي الكتاب والعمال . ويرى عدد هم على المشه يقومون بمختلف اعمال
جيش الانكشارية . يسمى رئيسهم نائب الانكشارية " بنى جرى كاتبي " كان يؤخذ فيما مضى من
بين رؤوساء الارطات . ولكونه يتمتع بنفوذ عظيم على العساكر خصوصا اذا كان اغا الانكشارية
ظمعا وتفق عومعه . فان محمد الثاني ابعد عن هذا المنصب كل رجل عسكري ومن ذلك الوقت
اعصب يحتل هذا المركز اشخاص من جماعة " الخوجة " ويعين هذا النائب لمدة سنة ويمكن ان
يحدد تعيينه . وتحتل مكاتبه قسرا خاصا تحرسه أرطه من الانكشارية .

(٢) كتاب الارطات وعددهم ستون . يحتفظون بسجلات اعمال وذفات واوراق الدعاوى الخاصة
بالانكشارية . ويتمتع رئيسهم الباش يازجي برتبة شوريجي .

(٣) * الميآخذات * يطلق هذا الاسم على اربع وثلاثين جمعية صغيرة لمختلف المهن تتالف الواحدة منها من خمسة وعشرين او ثلاثين انكشاريا من العمل يشتغلون لجنود فرقتهم فقط في ايام السلم وفي ايام الحرب . ويكون رئيس كل منها نائب ضابط يدعى رئيس العمال او " اوسطه " (٤) الطلمبجية * وهي اربعة مائة من ثلاث مئة من الاطفال يتبعون من مختلف الارضات ولا يكون علمهم ضروريا جدا الا في المدن التي تكثر فيها الحرائق . ويلبسون على رؤوسهم عندما يشتغلون في اطفائها خوذا نحاسية . وتكون خوذة رئيسهم الطلمبجي باشي * من الفضة .

اما رتبته فهي رتبة رئيس اربعة . ولقد انشأها سنة ١٧٢٠ في زمن احمد الثالث احد الافرنسيين المرتدين وكان في خدمة الباب العالي . ولقبه الجيش وللبحرية خوند من الاعفائيين ايضا .

(٥) الشواش وعددهم ثلاث مئة وثلاثون تقريبا وهم من نائبي الضباط ينتقون من بين اقدم الانكشاريين يقومون في اوقات الحرب بتسليم اوامر قائد الجيش لرؤسائه الفرق . وفي اوقات السلم يحمل اوامر الدولة للعساكر المربضة في الولايات . اما في العاصمة فانهم يقومون بانزال العقوبات الحسنية الصادرة على ضباط الانكشارية . ويدعون قول شاوش " اي شواش الجيش ليميزوا عن شواش السراي وامارة البحر وحكام الولايات الخ ورئيسهم الباش شاوش عوايضا رئيس الارطة الخاصة لفرقة " البلدان " .

(٦) * المومجية * هم ثمانون نائب ضابط البعض منهم ملحق بقصر الاغا والبعض الاخر بارطاط المحظراغا والكبخية يرى والعنسن باشي . فهم يرأسون ويشتركون احيانا بانفسهم في انزال العقوبات التي يصدرها موظفو الامن هولاء . ويحمل رئيسهم لقب *Mehter Baschi* (٧) القبو كخية * هو بلاك مؤلف من ستين انكشاريا يحمل رئيسهم لقب " باش قبو كخية " وهم ملتحقون بارطة المحظراغا ^{التي} مؤلف فرقة حرس الصدر الاعظم يقومون باجراء احكام السجن التي تصدر عن المحكمة التي يعقدها الوزير . وبما ان العقاب العادي هو ضرب الفلقة فان خمسة منهم يدعون الفلقة يخصصون لانزال هذا العقاب . وهم يتبعون الصدر الاعظم عندما يخرج في موكبه ويأيدونهم الى العقاب هذه .

(٨) * الحرجية * عددهم ستون يقومون ~~بالحمل~~ ^{نفسه} بعمل سابقينهم اي في انزال العقوبات . اما في

ايام الحرب فان اربعين منهم يظلون قرب خيمة الصدر الاعظم والعشرون الآخرون قرب خيمة اغا الانكشارية وهم يرتدون جلد النمر ويحملون الحراب الطويلة بايديهم . ولهذا اطلق عليه اسم حربية .

(٩) " الشاديين " هم رجال بلك مؤلف من ستين انكشاريا يعملون بصورة خاصة في نقل الحطب اللازم لمطابخ السراي والقصور التي تسكنها السلطانات ~~المتزوجات~~ المتزوجات .

(١٠) " الهوكشيان " وهم من الدراويش البقشاشية . ان رجال هذه الفرقة تجندوا منذ سنة ١٥٩١ في الارطة التاسعة والتسعين من فرقة الجماعات . كثيرون منهم يسكنون ويعيشون في الشكنات الجديدة وينحصر عملهم في الصلاة عباها ومساءد لعين ان يعزالله السلطان ويوفق جيوشها . ويسير في الاحتفالات الرسمية ثمانية من هولاء الدراويش امام جواد اغا الانكشارية ويكونون مرتدين لباسا من الجوخ الاخضر وواضعين قبضات ايديهم على صدورهم . ويردد اقدسهم بصوت عال وبدون انقطاع : " كرز كرم الله " فيجيبه الباقون " هو " ولهذا اطلق عليهم اسم " هوكشيان " .

ويتألف جيش الانكشارية عدا ذلك من " البستجيه " اي رجال الحرس يقيم قسم منهم في الاستانة وللقسم الآخر في ادرنه يحرسون القصور ودور مشزعات السلطان وكانوا فيما مضى يتبعونه لما يخرج الى الحرب وبلغ عددهم سبعة او ثمانية الاف .

وكان لا يقبل بادىء الامر في جيش الانكشارية سوى الشبان الذين ولدوا من ابوين مسيحيين ويؤخذون من مختلف الولايات بدون تمييز بينها . ثم اصبح يفضل الذين هم من البانيا والبوسنة وبلغاريا . وكانت لاحتياج الدولة الانادرا لاستعمال الشدة . ان كان الاباء والامهات يتوسلون كما لو انهم يطلبون حميلا ان تقبل الدولة اولادهم في جيش الانكشارية . ويحصل هذا التجنيد مرة كل ثلاث او اربع سنين .

ويقوم المجندون الجدد بتمارينهم العسكرية في ارطات فرقة " العجمي اوغلان " . وكانوا يلتقون ايضا تعاليم الديانة الاسلامية على ايدي خوجوات يعينون خضبا من اجل ذلك . ثم عينت بعد ذلك الدولة خوجوات لقبية الانكشارية بحيث اصبح لكل ارطة معلمها يعلم مبادئ القراءة والكتابة للجنود الذين يطلبون ذلك . ولا تجبر الدولة هولاء الجنود الشبان المسيحيين ان يغيروا دينهم

ان ذلك ينافي مبادئها كما ينافي احكام القرآن . واذنا دفع التعصب الديني بعرض الضباط للتضييق عليهم فان الدولة تتساهل معهم . غير ان هذا العمل لا يسمع به رؤوساء الجيش قط .

ومن هذه المدرسة العسكرية ينتقل جنود " العجمي اعلان " الى بقية الفرق الثلاث بلا تمييز بينها . الا ان هذا لا يحصل الامرة واحدة كل سبع سنين . ثم بعد ذلك يعمل رويدا رويدا تحييد النشأ المسيحيين ولعطي افضل لاولاد العساكر الانكليزية ثم اصبح يقبل الشبان من اقربائهم حتى البعيدين عنهم . ولكن ما من واحد من هؤلاء يقبل في الفرقة الا اذا شهد على طلبه الذي ذكر فيه انتسابه العائلي خمسة اوسنة من رجال الارطة التي خدم فيها الجندى الانكليزي المتوفي والذي يقول صاحب الطلب بانه من اقربائه . يخذل المسخرون من ابنا او اقرباء العساكر الانكليزية لقب " قول اولو " ابنا العبيد اي ابنا الجنود ان لقب " قول " عبد يطلق بصورة عامة كما كما ذكرنا على كل خدم اسطعان وسبق بصورة خاصة على الرجال العسكريين منهم . ان هذه الانظمة ظل يعمل بها مدة ثلاثة قرون تقريبا . الا ان مناسبات خطيرة ادت الى مخالفتها في زمن مراد الثالث . فان قلاقل في داخل الدولة وفي خارجها وحروباً غير موفقة اجبرت الحنرال عثمان باشا كما اجبرت من بعده الصدر الاعظم سنان باشا على قبول رجال ينتمون الى جميع طبقات الشعب ومن كل سكان الدولة على اختلاف جنسياتهم . وقد وصل الحال الى تجنيد المتمردين والاشقياء . وفي وقتنا هذا لا يزال يقبل في الفرقة رجال من جميع الاحزاب والصبغات بالرغم من الممانعة الكثيرة التي ابدتها كبر من السلاطين وخصوصا السلطان احمد الثالث عام ١٧٢٧ . ولا يستثنى من ذلك غير العبيد السود لان اعتقادات خرافية قديمة تمنع رؤوساء الجيش من تجنيد هؤلاء لهذا فانه من النادر ان ترى احدا منهم من بين الجنود ولا تجد احدا منهم قط من بين الضباط . ان طريقة قبول الجنود الان هي كما يلي : يدخلون بعد صلاة العشاء الى ثكنة الارطة التي سينتمون اليها . وبعد ان يجمع كل رجال الارطة يتقدم نائبو الضباط منهم ويضعون على رؤوسهم عمامة الانكليزية وعلى اكفهم ردا من الجوخ الخشن . ثم يذعبون وهم بهذا اللباس لقبول ايد " الاوضه باشي " الذي يحييهم باسم " يولدش " اي رفيق . وينفس الوقت ينفذ عقاب المذنبين من رجال الارطة ويكون ذلك باشولة للجنود الجدد .

اما في اوقات الحرب فان القبول يجري في المعسكرات بطريقة مختلفة . وهي انهم بعد ان

يلبسون على رؤوسهم طرايش صغيرة حمراء يسبرون الواحد بعد الآخر امام اغا الانكشارية الذي يكون حارسا في خيمته يحيط به كبار ضباطه . ولما يتقدم الواحد منهم يسجل " الباشا شاد " اسمه في اللائحة ثم يقبض بيده اليسرى على طرف اذنه ثم يضربه ضربة شديدة بيده اليمنى على قفا رقبته ويأمره ان يلتحق بالاربعاء لدرنيه ناسحا اياه ان يقوم بواجبات مركزه الجديد . وتعتبر طريقة القبول هذه اشرف من الاولى ان يلاحظ في هذا نوع من التالف .

كان عدد عساكر الانكشارية يتغير وذلك منذ حكم اورخان حتى حكم محمد الثاني الذي حددته باثني عشر الف مقاتل يسمون " قلع " او سيف . وقد اوصل السلطان سليمان الاول العدد الى اربعين الفا والسلطان مراد الثالث الى ستين الفا . اما في ايام حكم ابنه محمد الثالث البائس فان لوائح سنة ١٥٩٨ تشير على وجود (١٠١٦٠٠) انكشاري في الخدمة بتداول المرتبات . وقد زاد عددهم ايضا في زمن احمد الاول وعثمان الثاني وابراهيم الاول . وقد ارتفع الى اكثر من مئتي الف في اول سني حكم محمد الرابع . ولكن عددهم قل شيئا فشيئا في بقرة ايام هذا السلطان ان حدد الصدر الاعظم احمد باشا عددهم بخمسة وخمسين الفا واكثر بعد ثلاث سنين اي سنة ١٦٥٥ قام الجنود المرفوضون بضجة تهديدية اجبرت القصر مراد باشا رجع العدد الى ثمانين الفا . واتبع الكيكة السلاطين وخصوصا مصطفى الثالث خطة تراء هذه الفرقة الضخمة تضعف شيئا فشيئا مع الزمن وان يحل محلها بحفاظ عن رجالها بعدد اكبر من عساكر الولايات ومن الجيش القبر المنظمة التي لا تعمل في مرتبات الا وقت الحرب .

الا ان هذه العملية التي كان يراد منها تهدئة الحالة الداخلية والتوفير على خزينة الدولة كانت نتيجتها سببة على السلطنة يشهد على ذلك حوادث الحربين الاخيرين ضد روسيا .

ويختلف على الدوام عدد رجال كل ارطة ويجب على ادرسات التي رؤساؤها من رتبة شوريجي فقط والتي ترابط في الاستانة ان تكون كل واحدة مؤلفة من مئة رجل وذلك تبعا للقوانين للقوانين . اما الارطات المربطة في الولايات فيجب ان يكون عدد جنودها بين مئتين وثلاث تبعا لاهمية الموقع الذي يربطون فيه . ويزاد عددهم وقت الحرب الى خمس مئة .

وانه لمن المحال وضع تعيين مضبوط بعدد الجنود الانكشارية الذين هم في الخدمة . فالأغنا نفسه يجهل عددهم وذلك راجع لعدم صحة اللوائح المقدمة من قبل رؤساء الارطات عند تداولهم مرتبات جنودهم . الا ان حالة العرق العام تدل على ان عددهم نحو (١٢٠٠٠٠)

تقريباً منهم (٢٠٠٠٠) في الاستانة انما في الحقيقة يكون عددهم اقل من ثلاثة الاف . ولكن يجب ان نلاحظ بانهم كان هناك ثلاث طبقات من الانكشارية وهي (١) - الجنود الملقبون " بالاكجي " وهم الذين في الخدمة (٢) - الاشخاص المسجلة اسمائهم في لوائح هذه الفرقة ويكونوا زائدين لامحل لهم فيها . وهم لا يقومون بالخدمة ولا يتناولون مرتبات انما يشتغلون باحدى المدن منتظرين الالتحاق بالفرقة عندما تشر المراكب في الارطات . ويظن بان عددهم يتجاوز المئة وخمسين الفا . (٣) - عدد كبير من العثمانيين من مختلف المراتب يحطون شرف الانتساب لهذه الفرقة الاولى من فرق الجيش لذلك فانهم يتخذون اسم الانكشارية ويلبسون عمامة الفرقة . ويدعون " التسلحية " اي المريدن . ويجب على الشخص ان يخدم ثلاث سنين ليحق له اخذ راتب . كان الانكشاري في بادى الامر يتناول باراة الفرد كل يوم ولكنه اذا امتاز ببسالته يضاف الى ماهيته كل حملة بارتان او ثلاث بارات . وظل هذا القانون معمول به حتى زمن سليمان الاول الذي وضع ثلاثة انواع من المرتبات . النوع الاول من ثلاث الى سبع بارات في اليوم للجنود العاملين في الخدمة . والثاني من ثمان الى تسع وعشرين باراة للجنود القدياء الذين برهنوا على شجاعتهم في المعارك التي تشهد بها اثار حروجهم المشرفة . ويطلق اسم " كوردجي " على الذين يقومون منهم في الشكاك التي في العاصمة . والنوع الثالث من ثلاثين الى مئة وعشرين باراة يعطى للضباط والجنود الذين اصبحوا عجزا بسبب جروحاتهم او تقدمهم في السن . ان هذا النظام لا يشمل فرقة " العجمي اوعلان " اذ بما تقيم دائما في العاصمة فان مرتبات الضباط والجنود لا تتغير الا بين بارتين وتسع وثلاثين باراة ونصف في اليوم ويكون ذلك حسب رتبة الشخص ومدة خدمته .

اما مرتبات الرؤساء الستة وكاتب الانكشارية (وهو رئيس مكتب السجلات الذي تحوى لوائح باسماء المعسكر) فتكون كما يلي : (٢٤٠٠٠) قرشا للاغا . و (٨٠٠٠) قرش لكل من السيمان باشي والقول كخية والكاتب و (٤٠٠٠) للزغرجي باشي . و (٢٠٠٠) للصضجي باشي . ومثلهما للظفره جي باشي وعمائتنا لان مرتباتهما في الاوقات التي تصرف فيها مرتبات الجنود . وعلاوة على ذلك فانه يمنح لكل واحد من الثلاثة ضباط الاخيرين منذ عام ١٧٧٣ (٦٠٠٠) قرش في السنة . وتحى هذه الهبة " مصاريف المائدة " . اما المرتبات العادية لرؤساء

الارطاط فتكون مئة وعشرين بارة في اليوم اذ ما يعادل اكبر راتب يتناوله الجندي العادي .
ان لدى الانكسارية هو الذي يوزع بموافقة الصدر الاعظم الرتب على رجال فرقته . وهو يتناول
من اجل ذلك جائزة اوضعية في كل مرة ترقى رتبة احد الضباط او عندما يثبت في مركزه الذي
يعين فيه لمدة سنة . ويكون موره سنويا من هذه الضريبة (٢٠٠٠٠٠) قرش تقريبا . يتخلى عن
ثلثها للقول كخية نائبه الاول . ويستفيد الاعا ايضا كما يستفيد رؤساء الارطاط من راتب
الجندي وذلك انه اذا كان غذا يتناول بارة في اليوم يصعب المبلغ في نهاية كل اربعة اشهر
اي وقت الدفع ثمان وثمانين بارة ونصف فيؤخذ من اصل غذا المبلغ ثلاث بارات ونصف للاعا
واثنان لرئيس الارطة واثنان ونصف لمختلف السرايين . فيذهب اثنا عشر بالشفة من اصل المبلغ .
وعلاوة على ذلك فاذا عاب احد رجال الفرقة يوم الدفع مهما كان عزره فان " الاوضة باشي " .
ياخذ عشرين بارة يعطي قسما منها للاعا الذي يتنازل عن بعض هذا القسم لمكتب الانكسارية .
ويرث اغا الانكسارية ورؤساء الارطاط والضباط والجنود المتوفين . اذ يصح مخلفاتهم
" بيت الملحي " وهو رئيس الارطة الواحدة بعد المئة من فرقة الحمايات والذي يسلطه في عمله
هذا وكامل ومفتش وموظف من موظفي المحفل يعينه قاضي عسكر الروم يلي . فيضعون الاخير
على متروكات الانكساري المتوفي . فاذا كان له ورثاء شرعيون يؤخذ عشريمة متروكاته الذي
يفرق على الاغا وبيت الملحي . ورئيس الارطة . اما اذا لم يكن له ورثاء فان كل مخلفاته تذهب
للاغا الذي يعطي عشرها للرئيسين الاخرين هذا اذا لم يكن المبلغ يزيد عن العشرة الاف قرش
اذ يكون في هذه الحالة من حق الدولة . ويدفع الاغا لخزينة الدولة من اجل هذا الحق الذي له
على متروكات رجاله عشرين الف قرش في السنة . وعند ان ارطاط ز وهي تلك التي يرأسها
القول كخية والزعرجي باشي والصمصجي باشي والباك شاوي . يتمتع رجالها بميزة الاشتراك
مع رؤسائهم في اقتسام متروكات من يموت من زواجهم . ويتمتع بمثل هذا الحق الذي للاعا
في متروكات الانكسارية الموجودين في الاستلة ، الشوريجية وحكام السناجق والسرديات . في متروكات
الانكسارية المرابطين في الولايات . انما عناء فرق وهما انهم يتكون للاعا كل ارث تبلغ قيمته اكثر
من ثلاثة اكمالين الم اى الف وخمسين ^{قريب} مئة . ومن السهل الاعتقاد بان مثل هذه التدابير تسبب
سرقات عديدة .

ان رئيس رجال البستنجي ورؤساء بقية فرق المشاة الثلاث يرثون ايضا من جنودهم .

ولكن فقط عندما يكون الارث اقل من الف قرش . ويكون من حصة خزينة الدولة اذا تعدى غذا

المبلغ . اما في فوقتي الفرسان فان للدولة وحدها حق الوراثة .

الا ان اعم ربح يتناوله الضباط هو في قبض مرتبات الجنود الوعيين الذين يدعون لهم في ارطائهم . ومن المفروض دائما ان الارطات المرابطة في العاصمة هي كاملة العدد . فيجب والحالة هذه ان تكون ارطة القول كخيمة مؤلفة من خمسين رجل . وارطة الخزرجي باثني من ثلاث مئة . وارطة الصمضحي باثني من مئتين . وارطة الطورنه جي باثني من مئة وخمسين . ويجب ايضا ان تكون ارطات بقية الضباط من اصحاب الرتب العالية مؤلفة منها من مئة وخمسين رجلا . وان تكون ارطات " الثوريجية " العاديين مؤلفة من مئة . ولكن في الغالب يوجد اقل من ضعف هذا العدد . ان هذه الحالة الرديئة موجودة ايضا في المواقع التي على الحدود حيث يجب على الارطات ان تكون مؤلفة من مائتين او ثلاث مئة رجل .

فيكون اذا عدد ~~ال~~ بطاقات الدفع (الاوراق " الممدورة " التي تدفع بموجبها مرتبات الجنود " اكبر بكثير من عدد الجنود الذين في الخدمة . وتباع هذه البطاقات التي تختلف قيمتها المبالغ المدونة عليها على الاسار الاتي ، ما بين الاثني عشر قرشا والتمشرين للبارة الواحدة . ويضايق كبار رجال الدولة الضباط كبريا ليحصلوا على مثل هذه البطاقات لخدمتهم وتابعيهم فيؤمنوا لهم بذلك مرتبات معينة . فيتناول بهذه الوساطة عدد كبير من الاشخاص من مختلف الطبقات والمراكز اموالا من مرتبات عساكر الانكشارية والمدفعية الخ بينما هناك بالعكس عدد كبير من الجنود يخدمون بلا اجر . وتزداد في كل حرب عدد هذه البطاقات التي تمنح للجيش وهي لا تنقص في حال وفاة الجنود اذ يتكفم بحذر وفاة احد العساكر سواء كان في الخدمة او قديما متقاعدا او عاجزا كما تكفم وفاة ~~من~~ ^{الذين} يتكفمون مثل هذه البطاقات . ففي الحالة الاولى يستفيد الضباط من راتب الجندي المتوفي . ويستفيد في الحالة الثانية اهل المتخمر اذ يتابعون قبض راتبه . وقد كانت الدولة اذا استدارك حصول هذه القوضى بوضوحا حائزة لكل من يخبر بحادثة وفاة من هذا النوع . فقد منحت عشر قيمة البطاقة لأول من يخبر بوفاة صاحبه ثم عشر ثان لمكتب الفرقة وثالث للاحا لفرقه حسبما يشاء على الارطات . ولم يشجع هذا التدبير كثيرا اذ كان الضباط يحدون غلبا فائده اكثر ان يحتفظوا بالبطاقات . ان مثلا واحدا يثبت الى اى درجة يمكن ان يستفيد الروسا من جراء هذه القوضى . وذلك ان اما الانكشارية جلبي محمد باشا بعد ان رقي سنة ١٧٧٨ الى منصب الصدارة وعزل منها بعد بضعة اشهر ضبطت الدولة امواله فوجد عنده زمامات من البطاقات

تقدر قيمة واردها اليومي باثني عشر الف وسبع مئة بارة اي ما يعادل (٨٣٠٦٣٠) قرشا في السنة كما ووجد لدى وكيل خزنته بطاقات يبلغ واردها اليومي تسعة الاف بارة .

وقد حاول عبثا السلطانان احمد الثالث ومحمد الاول وضع حد لهذه الفوضى . وكان مصطفى الثالث اكثر حرصا على المال منهما الا انه ايضا لم يستفد شيئا . ولكنه صم سنة ١٢٦٨ بعد ان وجد ممانعة شديدة من ناحية وزراءه ضد مشاريع اصلاحاته في هذه الناحية، صم ان يفتح اغا الانكشارية بهذا الموضوع ان كان يعتقد بان ضباط فرقته هم وحدهم يهتمون بوجود الفوضى ^{هذه} . واظهر له سخطه وقال له بانه يعتمد على مساعدته في اصلاح الحال . فاحابه الاعا بصراحة بانه يتالم اكثر من اي شخص اخر من جراء هذه الحالة السيئة والقديمة العهد وانه ياخذ على عاتقه وضع حد لها في الفرقة التي يرأسها وانه يكفي بنصف ما تعينه له الدولة لدفع مرتبات جنوده . وقال بانه يتكلم فقط عن الانكشارية وليس عن غيرهم . فسأله السلطان بدهشة ما ^{الذي} يعني به بقوله هذا . فتابع الاغا حديثه وقال : " انما اذا تحمل يا مولاي بان عساكر الانكشارية الموجودة في العاصمة لا تتناول فعلا سوى نصف المبلغ المعين لها وان الباقي يتناوله رجال هيئة العلماء ووزراء الدولة وموظفو البلاط . ان امرائهم او كلمة من جلالتك تلجى لقطع دابر هذا السلب . الا ان هذه الكلمة يجب ان تلفظ بحزم وتحقق بشجاعة . " الا ان مصطفى الثالث الذي كان صاحب اراء اكثري ان يكون صاحب حزم حول بصره عنه وغير مجرى الحديث .

ان اكبر راتب يعطى لجندي هو مئة وعشرون بارة في اليوم وهو ايضا اكبر راتب تقاعد يعطى لرجل عسكري حتى رتبة رئيس اربعة . اما راتب تقاعد اعدا الانكشارية فانه لا يتعدى ابدا الثلاث مئة بارة ويحدد بمئة وخمسين لكبار الضباط الا انهم علاوة عن ذلك يتناولون اقطاعات عسكرية تسمى " بلكان " وهناك اربعة عشرة تعطى كل واحدة منها بين الاربعين الف والستة الاف قرش في السنة ياخذها الاعا ويفرقها عادة على الضباط المتقدمين في السن او المشهورين بخدماتهم . عندئذ يطلق على هؤلاء الضباط لقب " يايايان " لان هذه الاقطاعات كانت معينة في الاصل لاعاشة الجنود من فرقة اليابا . ان السيمان باثني هو الوحيد بين انضباط العاملين في الخدمة الذي يتمتع بمثل هذه الاقطاعات وذلك نظرا لصلابة مواده .

ان للعساكر الانكشارية الموجودة في الاستانة اربع نكبات وهي (١) اسكي اوضر او الارطاط القديمة (٢) " يني اوضر " او الارطاط الحديثة . تستعمل لمكن ارطاط فرقتي

"الجماعات والبلاك" وللارطة الثالثة والثلاثين من فرقة "السيمان" ايضا (٢) "عجمي اوغلان" قشلة سي "اوالتشكات الشتوية لجنود "العجمي اوغلان" (٤) "الاعا قبوسي" ارقصر الاعا وعو بذات الوقت المركز العام للفرقة ومكان سكنى ارطات العمال من الانكشارية .

تقدم الدولة للانكشارية الذين في الخدمة بعض المواد الغذائية ، فتأخذ كل ارطة يوميا اربع اقات من لحم الغنم وعشرين رعيفا بنز الواحد خصا وسبعين دراخما (١) ويعطى للارطة فيعيد الاضحي راسا من الغنم . وتأخذ الارطة ايضا في كل شهر ايتين من الشمع . هذا كل ما يتناوله الجنود من الدولة . الا ان رؤوساء الارطات يجتهدون في تأمين ما يلزم لرجالهم من الرز والسمن والخضرة . اما في اوقات الحرب فان الارطات التي تشتري في الحملة تتناول الواحدة منها ايتين من اللحم ونصف اقة من الخبز لكل خمسة جنود كما ياخذون السلف للجياذ التي يشتنونها والتي يستعملونها للجر . اما بقية المونة فان على رؤوساء الارطات تأمينها . ويجرى نفس الشيء لبقية فرق المعزة الا ان فرق الفرسان لا تتناول شرا .

ولا تقدم الدولة الملابس الا لاثني عشر الف انكشاري من المقيمين في الاستانة متبعة في ذلك ما كان قرره السلطان محمد الثاني . وبالرغم من ازدياد عدد رجال هذه الفرقة زيادة عظيمة منذ زمن هذا السلطان وبالرغم من الطلبات الشديدة التي قدمها الانكشاريون في مختلف الاوقات للحصول على عدد اكبر من الملابس فان الدولة لم تقبل ابدا ان تحيد عن القاعدة القديمة . فانها تقدم كل سنة كمية من الجوخ الخشن صنع سالونيك وبألوان مختلفة وذلك لتفصيل اثني عشر الف ردا يتالف كل ردا من سبعة ازرع . يضاف الى ذلك سبعة ازرع من النسيج الخشن ابيض اللون بيضا غير نقي لصنع العمامة وسبعة ازرع اخرى منها لصنع قميص . ولكن بما ان هذا النسيج الاخير ضيق لا يكفي لصنع ما هو مخصص له فان معظم رجال الانكشارية يعملونه منطقة بدلا من القميص . وتعطى هذه الاضافات الثلاثة لرؤوساء الارطات الذين يوزعونها حسب مشيئتهم على رجال الارطة . يقدمونها عادة لاقدم نائبى الضباط والجنود .

ان المال المعطى للعساكر لاعاشتهم هو طبعيا غير كاف لو لم يسمح للجنود الذين ليسوا في الخدمة من العمل باحدى المهن . ان رجال كل ارطة يشتهنون عادة مهنة واحدة وعندما

(١) الدراهما عو وزن يوناني قديم يساوى ثلاثة غرامات وربع تقريبا (المترجم)

فان كل جنود الارطة الرابعة عشرة من فرقة "البلاك" هم خبازون . وخبوذ الارطتين الثانية والثانية
والواحدة والتسعين من فرقة "الجماعات" هم قصابون . وتتألف بقية الفرق من عمال زجاج وعمال
اسلحة ونوتية وصناع صناديق خشبية الخ وتعطى للارطات القابا مشتقة من هذه الاسماء .
ان يطلق على الاربع الارطات الاولى من فرقة الجماعات اسم "دوجي" اي جمالين . وسبب ذلك ان
رجال هذه الارطات كانوا فيما مضى يخفون وقت الحرب امتعة السلطان ويطلق اسم خاصكي على الار
الارطة الرابعة عشرة من نفس الفرقة وذلك لان رجال خاصكي السراى يتحدون في هذه الارطة .
واسم اوقجي " على الارطة الثامنة والعشرين المولفة من رامي السهام . واسم "بكي" على الارطة
التاسعة والعشرين من فرقة "البلاك" لانه يخرج منها رجال الطلائع . ويطلق اسم الزغرجية
والصعنجية الخ . . . على جنود الارطات التي يراسها كبار الضباط الذين يحطون لقب زغرجي باشي
وصعنجي باشي الخ . . .

في ذلك

لم تكن الملابس العسكرية زمن عثمان الاول تختلف عن ملابس بقية الناس والسبب هو انه لم يكن
هناك في ذلك الوقت سوى عساكر الولايات . وعندما انشاء اورخان فرقة الانكسارية لم يعط
لرجالها اشارة يمتازون بها سوى لبس قلانس لونها ابيض وكان الناس انشد يلبسون قلانس من
اللباد مختلفه الالوان . ولم يسم لبس العمائم الا في زمن خلفائه السلاطين وبصورة خاصة في عهد
السلطان محمد الثاني . وابتداءً بضباط الانكسارية زمن مراد الاول في استعمال القلانس الحمراء
المزركمة بالذهب تشبها بالامير سليمان باشا بن اورخان وهو اول من اجتاز الدردنيل لمحاربة
الامبراطورية البيزنطية في اوربا . ثم بعد ذلك اصبح للانكسارية لباسا خاصا . ولم يكن لباس
نائبي الضباط والجنود يقوم على اللون انما كان يقوم على شكل الرداء الخارجي وشكل العمة والقلنسوة
المخصصة للحفلات . اما لباس رؤساء الارطات فكان يختلف فقط في لون الاحذية التي كانت حمراء
لرؤساء ارطات فرقة "البلاك" وصفراء لغيرهم وسوداء لنواب الضباط . وكان يمتاز القواد بخوذهم
المحلاة ببرش طويل . اما لباس الاغا فكان مماثلا للباس رؤساء الحجاب . وكان شكل اللحية
داخل ايضا في هذه الشارات التمييزية فعلى البعض ان يتركوها طويلة ولا يتمكن البعض الاخر
من ذلك . اما لدى الجنود فلا يحق ارتداؤها الا للمتقدمين في السن . ويجبر القواد والضباط
الاربعة الالوان من كل ارطة على تركها طويلة ، وينسج ذلك للمرووسين الثلاثة . اما السفى فان الامر
يترك لمشيئته .

لاتقدم الدولة في اوقات السلم المعدات الحربية لرجال الجيش . ويكون النبوت السلاح الوحيد

الذى به حملهم من كان يقيم منهم في العاصمة . ومنعون بشدة كما يمنع الناس من حمل السلاح .
ويسمح لهم فقط وضع الخناجر في منطقتهم . ولايتسلح غير الجنود المرافقين على الحدود والعساكر
البحارة لما يكونوا في المواني . ومع ذلك فكبيرا ما يسبب هذا الاستثناء وقوع حوادث دامية كما
دلت التجارب في الاسنانة في كل مرة يجهز الاسطول للبحار وانه ليس من السهل دائما على رجال
الحرس وهم بنبايتهم ردع رجال مسلحين بالسيوف والمسدسات .

انما الامر الذي يدهش اكثر من ذلك هو في انه يجب على الجندي نفسه تأمين ما يلزمه
من السلاح وتتراه له الحرية في اختيار النوع الذي يريده . فالبندقية والسيوف والمسدسات والنبوت
والفاس هي الاسلحة العادية لجنود المشاة . ويستعمل الفرسان السيوف والرمح والسهم وحرابا مختلفة
الصول ويستعملون احيانا الاسلحة النارية . وبعض الرجال العسكريون كبيرا باسلحتهم لا يرفعون من جهة
صبيه النوع بل من جهه اذاعتها ايضا . فالفضة تلعب على سيوفهم وعلى مسدساتهم اما الفقراء منهم فانهم
يبدلون كل ما عندهم لارضاء هذا الميل او اقل ما يكون في الا يحرموا خجلا امام رفاقهم .

الا ان الدولة تقيم لها مستودعات في العاصمة وفي كثير من المواقع التي على الحدود تحفظ فيها
معدات حربية ويكون عمل رجال الجبة جيه قائم فقط على حراستها فينقلونها الى المعسكر حيث يفرقها
القواد (بعد ان يستعرضوا الجنود) على الذين ليس معهم اسلحة . انما يحق لعتبار كل ما يخرج
من هذه المستودعات ضاعدا من الدولة .

ولفرقة الانكشارية علم كبير (بيرق) دعي " الامام الاعظم " على شرفه الجنبى اشهر ائمة
المسلمين . وهو مصنوع من قماش حرير ابيض اللون كتب عليه باحرف ذهبية ايات من القرآن
تتعلق بالواجب الديني في محاربة الكفار . وكتب في الوسط باحرف كبيرة . . .

" و ينصرى الله نصرأ مبشأ

نصر من الله و نصر بين و بشر المرينين يا محمد

وتنصب هذه الراية في المعسكر ~~الامام~~ امام خيمة الاعا مع اربع رايات غيرها مطوية في قرب حفر اللون كما تنصب ايضا اطواغ الاعا الثلاثة . ولكل اربعة علمها الخايم نصفه الاول احمر اللون والنصف الثاني اصفر ينصب امام خيمة رئيس الارطة .

وللارطات ايضا اشارات لها الخاصة وتكون سلاحا ما او حيوانا او نباتا او اذ شيئا اخر . يراها يراها الناظر برسومة على الخيم والمصابيح وعلى ابواب المساكن .

ولكل اربعة قدران او ثلاثة قدور كبيرة تستعمل لطبخ الثورية والارز . ويهر على حراستها نائبو الضباط . وتتعدد الارطات كثيرا في الاحتفاظ بشاراتها ولعلامها وقدرها وبصورة خاصة بهذه الاخرة التي تعطى اهمية كبيرة . ~~وهي من طينة الفخار التي يافي ذلك~~ هناك اعتقاد خرافيا يجعلها تنظر الى ضياعها كأكبر بلية تحل بها ولهذا فان ضباط الارطة التي اخذت منها قدورها وقت الحرب يحزلون من مناصبهم . وفي حال ارجلهم الى مراكزهم السابقة فانهم لا يدخلون الارطة التي كانوا فيها . كما انه يلحق الارطة في مثل هذه الحال عارا دائما . ان لا يحق لها بعد ذلك ان تحمل قدورها عندما تستعرض الجيوش في الاحتفالات العامة . ان الاعتقاد الموجود عند كل افراد الجيش نحو هذه القدور عظيم لدرجة انه في الفتن التي حصلت في الاستانة بين العساكر كان الهدف الرئيسي للجنود الذين عصوا هو نزع قدور اربعة الارطات منها لاستدراج رجالها الى معسكرهم حيث يتحاسبون معهم . وترسل في هذه القدور كل يوم الثورية من الشكات الى مختلف رجال الحرس الموجودين في الاستانة . فيطلق القدر من طرفيه بركوة من الخشب يحملها جديان على اكتافهم ويحشى راعيها جندى ثالث يحمل مغرفة كبيرة . فيمشون بخصوات متزنة ويصمت عيق . ويبتعد الناس عن طريقهم وهم ينظرون باحترام الى هذه الانبياء التي يشوبها به ذلك الاعتقاد الخرافي الذي يؤمن به رجال فرقة الانكشارية المخيفون .

ان الخدمة العسكرية في المدن وفي المواقع المحصنة تقوم بدا وقت السلم فرق المشاة الاربع وعلى الاخر فرقة الانكشارية التي لها في الاستانة مراكز للحراسة في كل محلة وكل ضاحية . ان كثيرا من هذه المواقع العسكرية يرجع عهدها الى زمن فتح القسطنطينية فان محمد الثاني بعد ان دخل المدينة عين لحراستها رجال فرقة " المعجمي اوغلان " . اما ارطات فرقتي الجماعات والبلدك التي يرأسها قواد من رتبة " شوريجي " فانها تشترك مع جماعة الجبجية . في حراسة بقية الاماكن الواقعة في منتصف المدينة . اما رجال المدفعية فانهم يقومون بحراسة ضاحية غلطة .

والعساكر البحرية بحراسة مركز اماره البحر . وفرقة الحرس " البستجية " بحراسة شواطئ البوسفور . وفي اوقات الحرب يقوم رجال فرقة " العجمي اوغلي " مقام رجال الارضات الذين يلتحقون بالجيش في حراسة الاماكن التي كانت معينة لها .

ويقوم بحراسة كل منها ولمدة سنة بكاملها العدد الاكبر من رجال الارطة المعينة لحراسة ذلك المكان حيث يجعل فيه رئيس الارطة مكان سكه ومعه جميع ضباطه . ولا يقوم الجنود في اي مكان بالحراسة . لان هذا النوع من الخدمة غير مالوف . الا ان الفرق المرابطة ترسل تحريكات من ثمانية الى عشرة رجال يجتازون المقاطعة التي هم فيها عدة مرات في اليوم . ان الهدف الرئيسي للدوريات الليلية التي يقوم بها قواد مختلف الفرق وبصورة خاصة قواد فرقة الانكشارية هو مراقبة رجال الامن العسكريين " البوليس العسكري " . فانهم يطوفون على المراكز العسكرية ويقفون فيها لاختذ تقارير رؤوساء الارطة فيتناولون فنجانا من القهوة ويدخنون ويعطون وقت انصرافهم بعض المال لرجال الحرس . ولما يخرج الصدر الاعظم ويطوف متخفيا فانه يغش ايضا هذه المراكز العسكرية فيتحادث مع الضباط . ويتكلم على الجنود . وهو كلما كور هذه الدوريات كلما زادت محبة الجيش له ، والسلطان نفسه عندما يخرج للنزعة متخفيا من النادر ان يمر بمباحد هذه المراكز ، دون ان يمنح رجال الارطة بعض القطع الذهبية .

الا ان الجندي لا يرضى بهذه الاعطية ^{بل} يستعمل كل الوسائط لسلب النقود من الناس ومنذ كر مثلا واحدا من هذا القبيل وهو انه على الجنود ان ينظفوا طرقات المقاطعة التي هم فيها الا انهم ^{عادة} بمسكون بيدهم مكسة يقدمونها لمامه الناس من المارين وخصوصا لاهل الذمة . ويمكن للانسان ان يتحاشى ذلك بدفع بعض قطع من النقود الصغيرة او القيام بعملية التنظيف . واذا خطر لاحد من اظهار الغضب فان التجنود يجبرونه على حمل المكسة واذا تشدد في المناعة ^{ناتج} لا يتأخرون من ضربه بها . ويتساهل الضباط مع جنودهم في مثل هذه التمرديات لانهم لا يجدون دائما غضافة في اقتسام الاموال معهم .

وبعد هولاء الجنود منتهى الفظاظة في حفظ الامن فاذا اقتبسوا على احد الجناة فانهم ^{يركضون} يمالونه بسوء . وفي حالة لاحاقهم به فانهم يرسلون على رجله النبائيت التي يحملونها مدا ^{يعرضونه} يعرضونه ويعرض المارة لخطر الجرح . واذا قبلوا لقاء خصام فانهم ينزلون غريا بالعصي على كلا الطرفين . وانه لمن الطبيعي ان ترمي مثل هذه الاعمال الرعب في القلوب .

ولهذا فانه عند مرور احدى الدوريات بنزوى الناس ولا ياتون باى حرج .
وهناك خمسة انواع من العقابات العسكرية : السجن لمدة بضعة ايام والحد البسيط
والحد الشديد والسجن المؤبد والاعدام . وحق للضباط البسيطين اصدار الحكم بالقصاص
الاول . ويقوم " الاوضم باشي " بتنفيذ الثاني فينزل بقضيبه على ظهر او عجز المذنب الملقى
على الارض بتسع وثلاثين جلدة . ويصدر رئيس الارطة العقاب الثالث ويكون تسعا وتسعين جلدة
بنفذهها عادة باحتفال شولش الفرقة . اما اصدار الحكم في العقابين الاخرين فيتطلب ان يكونا
من قبل الاغا ومن الصدر الاعظم ايضا . وحبس رجال الانكشارية المحكومين بالسجن المؤبد في
القلاع التي على الدرنيل والتي على البوسفور . وعم يعدمون في هذه القلاع ايضا اذا كان الحكم
قاضيا بالموت فيشد حبل على اغاقم ليلا ويقتلون خنقا ثم تلقى جثثهم في البحر . ويكون العزل
المصحوب بالنفي هو العقاب الاعتيادي اكثر من غيره الذي يصدر على القواد .

انه من النادر تنفيذ العقاب الصادر على الرجال العسكريين امام الناس . اما اذا كان
الامر يتطلب ذلك مثلا عندما يشب عليه انه اقترف جرما نحو بعض الناس فان العزل يسبق
تنفيذ الحكم . فانه يحاكم امام الصدر الاعظم المقيم في ديوانه ويكون وكلا فرق الجيش الست
المنظمة حاضرون هذه الجلسات التي يعقدها الوزير . فيسال الصدر الاعظم وكيل الفرقة التي
ينتمي اليها المجرم اذا كانت الفرقة ترضى بعمل هذا الاخير . فيكون جوابه بالنفي غداة تنزع عن
الجندي عمامته وتمزق ياقته اشارة الى اقالته . وبعد ان ينزل هكذا الى مستوى عامة الناس
ينفذ فيه الحكم الصادر عليه . ان للضباط الموجودين في الولايات على رؤوسهم نفس الصلاحيات
التي للقواد في الاستانة . ولكمهم عندما يصدرون حكما قاضيا بالموت يجب ان ياخذوا موافقة
الباشا الحاكم قبل تنفيذ الاعدام .

ان عقاب الهرب من الجندية في اوقات السلم يكون بالسجن او بالجلد . اما الذي يهرب
اتناه الحرب فيجب حسب الاوامر ان يوصم بالدمار كجبان غير جدير ان يخدم الدين والدولة .
انما هناك حالات يكون فيها الرؤساء اكثر صرامة فانهم يقطعون انف واذني المجرم حتى
انهم يحكمون عليه ايضا بالموت خنقا . وينفذ فيه هذا العقاب في خيمة واقعة في وسط
المعسكر ومخصصة للجلادين تسمى " ليلاك شاد ري " .

عندما انشا اورخان فرقة الانكشارية امر بالذيتنزع ~~عنه~~ رجالها البتة ~~بسرعة~~ . ولكن بهذا النزع
لهم ~~سبب~~ بعد وفاته .

وتمتع جنود الانكسارية بامتيازات عديدة . فانهم ياتون بالدرجة الاولى بين فرق الجيش . ولا يعاقبون الا من قبل ضباطهم ولا يدفعون غرائب ومن النادر ان تضبط اموالهم . ويتقدم لها الفرقة على رؤساء بقية الفرق كما انه متقدم على وزراء الدولة . ويتقدم عليه قائدا فرقتي السباه والسلاحدار في احتفالات عيد الفطر والاضحى فقط لان عاتين الفرقتين اقدم من فرقة . وله رتبة باشا من ذات الطوعيين . وينح غالبا في اوقات الحرب رتبة باشا من ذات الثلاثة اطواف وكان يتمتع فيما مضى بميزة عدم الالتحاق بالجيش مالا اذا كان يقوده السلطان بنفسه . اما في غير هذه الحالة فان احد نوابه يسير على رأس الفرقة . ولكن منذ ان اجبر الصدر الاعظم سنان باشا لغا الانكسارية سنة ١٥٩٤ ان يتبعه الى بلاد المجر خسر اعاوت الانكسارية هذه الميزة . وعندما يعزل من منصبه يحصل الاغا دائما على ادارة احدى ولايات الدولة الا اذا كان مفضويا عليه . ويقوم الاغا واثنان من نوابه وعمل القول كخيه والسبعمان باشي في السهر على سلامة امراء العائلة المالكة . الا ان هذا العمل اصبح شكليا ومحصرا في فحصر جثة الامير المتوفي . وجب ان تعرض ايضا جثة السلطان بعد ان يلفظ انفاسه الاخيرة على انظار الاغا لكي يتحقق اذا كان الموت طيعيا ليزيل شكوى الناس والجيش .

وتتمتع فرقة الانكسارية ايضا بميزة كبيرة وهي في ان السلاطين يسجلون اسماءهم في الارطة الاولى من فرقة البلاى وترجع هذه العادة الى زمن حكم السلطان سليمان الاول . ان قبل هذا بينما كان يتفقد الشكات التي بناها حديثا ان ياخذ من يدى القول كخية راتب اربعة اشهر من الراتب الذى يعطى للانكسارى القديم الخدمة اى باعتبار اربعين بارة في الشهر اليوم . واخذ السلاطين من ذلك الحين يعرون متخفين من امام الشكات في ثاني يوم تفرق فيه المرتبات على الجنود . وياخذ "الباشا جوخدار" من يد اوضة باشي " الارطة الاولى الراتب المعين للسلطان الا ان هذا لا يتاوله بل يامر الباشا جوخدار ان يفرقه على الجنود الحرس بعد ان يضيف عليه قبضة او قبضتين من القندقلي " السبكان " وقد خصصت على شرف هذا العمل الاخوى الجليل في ثكنة هذه الارطة غرفة مزينة بعرش تبقى دائما مغلقة . ويقتخر الانكسارية ايضا بوجود اسم احد امراء القرم " قبلان كراى " في سجلات الفرقة القديمة وسبب ذلك ان هذا الامير التجا على اشرق لاول قامت في القرم الى حصن قافا وسجل اسمه في الارطة الواحد قوال تسعين من فرقة الجماعات ليؤكد جيدا من الحماية التي كان يطلبها . من

الانكشارية المرابطين في ذلك الحصن .

ويحتفظ المرابطين بعزادة ثانية اول مقام بها السلطان سلمان الاول وذلك قبل بناء الشكات الحديدية ببضعة اعوام . فقد اوجب ان يقدم له احد ضباط الانكشارية كلسا من الشراب في كل مرة يحربها من امام الشكات القديمة التي كان فيها مركز القيادة العامة (١) . وخصص شرف تقديم الكاس " لخدمة باشي " الارطة الواحدة والستين من فرقة الجماعات . وادى هذا الامر الى تعيين غرفة اخرى للعرش في شكة هذه الارطة . ويضع السلطان كاس الشراب على فمه ثم يضع فيه نقودا ذهبية . ومن العادة ايضا ان يقدم صليب احمر كلسا من نفس الشراب لرئيس الخصيان السود الذي يتبع السلطان . ويحرق نفس هذا التكريم للصدر الاعظم عندما يمر في موكبه امام هذه الشكات .

نفس

وقد منح السلطان محمود الاول ~~نفسه~~ الميزة للشكات الحديدية ورفع قيمة هذا العمل بان جعل اغا الانكشارية يقدم له كاس الشراب . وقد اعلن السلطان في قراره " الشط الشريف " الذي اصدره سنة ١٧٥٠ في تثبيت هذه العادة ~~بمنحه~~ هذه الميزة لفرقة الانكشارية مثلاً بجده سليمان العظيم اراد اظهار شعوره بحسن التفاته نحو فرقة شديدة بشارع القديعة ومعروفة بامانتها وسامية بخصالها الخيرية والدينية والتي لم تضم بين صفوفها سوى الابطال والشهداء والتي لاتزال تفيض عليها ~~الكفا~~ ^{البركات} الالهية وتساعد على الملائكة ولا تزال تستحق ثناء وحسن التفات المرابطين العثمانيين اسعاداً وحماتاً . وقد وسه هذا الامر حسب العادة للصدر الاعظم الذي ارسله الاغا الانكشارية مع الرئيس افندي مصحوباً بعدد من موظفي البلاط . وقد وصل هذا الوزير الى قصر الاغا بين صفين عظيمين من الانكشارية وعندما اصبح على ساقفة قصيرة منه ترحل عن جواده وتقدم رافعا يده ماسكاً به الخطي شريف " واعطاء الاغا الذي تقدم لاستقباله وعلواثر ذلك دخلا قاعة مجلس الثوري العسكري الكبرى حيث استرجع من الاغا الامر السلطاني وقراء على الحضور الذين استقبلوه بعهاتواف عالية ثم تبع ذلك دعا طويل من شيخ الفرقة طالباً من الله ان يحفظ السلطان ويحفظ سلامة الدولة وبلح جيس الانكشارية . وتقرر في الجلسة التي عقدها بعد ذلك الاغا مع قواده ان يقدم الشراب لرئيس الخصيان السود لما يرافق السلطان ويحرق ذلك بان يحمل الصمضجي باشي الكاس ثم يناوله للزعرجي باشي الذي يقدمه بدوره لرئيس الخصيان . وقد تقرر ايضا ان يحرق مثل هذا التعظيم للصدر الاعظم عند مروره وان يتقدم الاغا حتى خارج القصر لاستقباله وان يحمل " الكؤود يري " كاس الشراب ويناوله للقول كخمية

الذي يقدمه للصدر الأعظم . واخذ السلاطين منذ ذلك الوقت يجتهدون للمرور مرة على الأقل على الشكايات الجديدة ويكون ذلك عادة في ايام الثالث من عيد الاضحى . انما يصنى الشراب في السراى ثم يحمله القلراغا الى الشكة في كاس مختوم حيث يعطيه قبل ابتداء الاحتفال ببرعة وحيزة للضابط المكلف بتقديمه للسلطان .

ان اثناء الجيش الانكشارى ساعد كثيرا في اعلاء شأن السلطنة العثمانية لان وجود جيش دائم وكبير من اشداه ومنظم احسن تنظيم يعطى السلاطين تفوقا ظاهرا على جيرانهم من ملوك اسيا وعلى الجيوش الأوروبية التي لم تكن تتألف في عصور ازدهار السلطنة العثمانية الا من جيوش غير منظمة . ولكن اذا كان هذا الجيش قد الف دائما قوة الدولة فانه كان ايضا في جميع الاوقات يلقي الرعب في قلوب السلاطين . ولقد تزغزعت الدولة اكثر من مرة من اركانها من جراء ثورات . ويظهر الخوف بآدى الامر عدم رضاهم بانفسادهم الاشعار الهجائية . ثم تلحق املاشا شورية على ابواب الجوامع والقصور والشكايات . واذا لم تك هذه الاعمال لاعطائهم مطالبهم فانهم يشعلون النار في مخطف احياء المدينة برميهم مواد مشتعلة اثناء الليل . وبما ان السلطان لا يتأخر ابدا في الحضور الى مكان الحريق فانه يحكمهم انشا ان يسمعوه تشكياتهم . فتقف جميع النساء في شرفه ذاكرا مظالم الجموع واسماء الاشخاص المكروهين ضدا . وهكذا فان

تلك الشكايات الاحتفالية تكون حجة قوية على السلطان في تقديمه للمطالب .

الحكايات كالحوادث للاكسلاوى كسلاوى

عدم ارضى عو السبب في حصول حرائق كثيرة في العاصمة . وتذكر التواريخ حدوث مئة واربعين حريقا في مدة الثمان وعشرين سنة التي دام بها حكم السلطان احمد الثالث ولعيد في هذه المدة بناء المدينة خمس مرات . ان شراسة الخنود والناس تجعل هذه الاضطرابات خفيفة وبالرغم من تصريح الروموسا بانهم لا يريدون سوى فائدة الدين وفائدة الدولة فان تعديلات الجموع تناول كل شيء حتى ابنية الدولة وبيوت الناس ومساكن النساء وشخصيات رجال الشرع . والسلطان نفسه الذي لم يكن يذكر اسمه الا باحترام عظيم لايراعى من قبل الجموع الهائجة اكثر من موظفيه . ويشير التاريخ الى الامانات الدائمة التي رموا السلطان عثمان الثاني بها والقذح المعقذ الذي وصموا به بعض السلاطين من الذين اشتهروا بحروبهم امثال سليم الاول ومراد الرابع والستائم التي تلفظوا بها ضد بايزيد الثاني ومراد الثالث ومحمد الثالث وابراهيم الاول

ومحمد الرابع ومصطفى الاول . ومع ذلك فان هذه الثورات لم يكن الهدف منها ابداء اصلاح الاعمال الحائرة او الانظمة المعقوتة . انما كانت فقط موجعة نحو اشخاص من اصحاب الشيعة اما لكونهم سببوا باعمالهم غضب الناس عليهم او ان اعداءهم الخصوصيين لم يجدوا غير هذه الوسيلة لاستقاضهم . ولا يبتغي الجنود والناس من مثل هذه الثورات ^{سوى} النهب مع طلب عزل الاشخاص الذين عينوا لهم من قبل مسيبي الفتنة . ومع هذا يدعي الجميع بانهم يعملون بمقتضى كتاب الله قائلين بان مطالبهم مبنية على الشرع . ويذهبون حتى الى اكرام المفتي في اصدار فتوى ضد اعدائهم واحبارهم على الحكم بخلع السلطان ايضاً .

في مثل هذه الاوقات البهائية حيث تكون السلطة معدومة القوة يستعمل الذهب لتهدئة العصاة الا ان هذه الطريقة تدفعهم للقيام بقتل جديدة . وعندما يستتب الهدوء يطلب من الحندي ان يؤدى يمين الاخلاص والطاعة . وفي الحالة الوحيدة التي يطلب فيها مثل ذلك لان اداء اليمين غير غرضي ابداء على موظفي الدولة وبما ان هذه العادة لم تكن معروفة ايضاً زمن الخلفاء فان الدولة اذا حاولت ادخالها يرفضها الناس معتبرينها بدعة من البدع . يؤدى الحندي اليمين واضعاً يده على طبق من الفضة وضع فيه كتاب القران وسيف وخيزر وملح .

ونجد في التواريخ العثمانية مثالا عربيا عن اليمين العسكرية . ففي سنة ١٦٢٣ كان احد الباشاوات العاصيين اسمه "اباظه" على راس قوة عظيمة مؤلفة من فرقتي السيمان والسباه وبينما كان رجال الجيش يتبرنون على رمي الرمح "الجريد" في سهل "طوقه" خرج يحبرون من رجال السيمان واراد رفاقهم الثارلهم من رجال السباه ناسبين حصول هذه الحوادث الى خطة مدبره من قبل . الا ان السباه تمكن من تهدئتهم واجرى الصلح بين رجال الفرقتين على هذه الصورة . وضع بين الفرقتين نصف دائرة من الخشب على شكل قوس علق عليها سيف بين قطعة من الخيزر وكمية من الملح . ثم تقدم رؤوساء الصرفين واقسموا بان يتحدوا اتحاداً ثابتاً ولعنوا كل من يخالف هذا العهد . وردوا جميعهم عند القول "فليصبح من يحنث بيمينه فريسة لهذا السيف القاطع وليتحول خبزه وملحه الى سم" ثم بعد ذلك لكي يروضوا نوعاً ما على رجال فرقة السيمان مشى جنود السباه تحت القوس وهم يصادقون على قسم رؤوسائهم

الجيش الثاني : الجبهه جبه

ان هذا الجيش المعد لحراسة ونقل الاسلحة والمعدات الحربية لم يحصل له نظام مستقر الا في زمن محمد الثاني عندما كان يعد فقط سبع مائة رجل . وقد وصل عدد رجاله زمن مراد الثالث الى سبعة الاف وخمسمائة . وهو مؤلف من فرقتي البلك والجماعات تضم كل واحدة منها عددا من الارطاط يقسم البعض منها في الاستانة في شعبة حميلة كائنة قرب جامع ايا صوفيا والبعض الاخر موزع على المواقع التي على الحدود حيث يدعوهم الناس وخصوصا في بلاد مصر والعراق . ويطلق على قائدهم لقب " جبه جي باشي " .

الجيش الثالث : الطوبجية

كان حدد السلطان محمد الثاني عدد رجال هذا الجيش اذ جعله سبع مائة رجل اي كعدد رجال الجيش السابق . الا ان هذا العدد نما واصبح خمسة الاف وذلك في زمن مراد الثالث ويرابط قسم من رجاله في الولايات ونظم في الاستانة حيث له شعبة كبيرة في علقة على ضفة البوسفور . ويدعى قائده " طوبجي باشي " .

الجيش الرابع : الطوب عربه جبه

ان هذا الجيش المؤلف من ثلاثة الاف رجل تقريبا معد بصورة خاصة للاعتناء بقناطر المدافع والقيام بنقل المدافع وله رئيسه الخاص وهو الطوب عربه جي باشي وله شعبة في حي " اخور قابو " .

والسلطان مراد هو الذي انشا هاتين الفرقتين الاخيرتين . ويذكر التاريخ بان العثمانيين استعملوا المدافع لأول مرة سنة ١٤٤٠ وذلك في حصار سيمندريا اوسان اغدره . ولرئيس الجبه جبه راتب معين قدره عشرون الف قرش في السنة ويتناول رئيس الطوبجية خمسا وثلاثين الفا ورئيس الطوب عربه جبه خمسة عشر الفا . ان مرتبات رجال هذه الفرق الثلاث

عني تقريبا مماثلة لما يتناوله الانكسارية وهم ياخذون ايضا المؤمن في ايام السلم كما ياخذونها في اوقات الحرب.

الجيش الخامس : السباه

ان جيش الفرسان هذا هو اقدم من جيش الانكسارية كان يعبر عشرة الاف رجل في زمن السلطان محمد الثاني . ولقد رفع احمد الثالث عددهم الى خمسة عشر الفا وهو منقسم الى بلكات ويسمى رئيس الواحدة منها " بلك باشي " ولهذا الجيش اربعة قواد وهم : الباش كخية والباش كخية يرى والباش شاويش والباش بلك باشي ويطلق على رئيس الفرقة لقب سباه اغا .

الجيش السادس : رجال السلحدار

ان هذا الجيش الثاني للفرسان هو قديم ويرجع عهده الى عهد سابقه ولم يكن مؤلف زمن محمد الثاني الا من ثمانية الاف رجل . الا ان احمد الثالث زادهم الى اثنتي عشر الفا وترتيبه مماثل لترتيب جيش السباه ويدعى رئيسه السلحدار اغا وهو لقب يحمله ايضا كما سر معنا احد كبار موظفي السراي . ولكن بمعنى اخر ان يراد به حامل السيف . . .
والحق بشيخ بجيشي السباه والسلحدار اربعة بلوكات ودعيت بالبلكات الاربعة (١)
ان هذا الجيش هو اقدم رجال الفرسان في الدولة . انشاء اورخان تمشلا بفرقة الفرسان التي فيها الخليفة عمر تحت هذا الاسم واعدها لحراسة راية النبي محمد . وقد اعطيت له مهمة حراسة العلم السلطاني الذي يدل فيما بعد براية النبي وجدها السلطان سليم الاول في مصر . ولقد كان مؤلفا في الاصل من الفين واربع مئة فارس الا ان عددهم وصل
(١) وعي : علوقجيان يعين وسار وغرياي يعين ويسار ويراد بكلمة علوقجيان الجنود الذين يتناولون الرواتب . وبكلمة غرياي الجنود الغرباء .

تدرجيا الى ستة عشر الفا . وبما انه كان معتبرا جدا وكان رؤساء الدولة ينتقون عادة من بينه رجاله رسلهم الذين يبعثون بهم الى الولايات في مهمات يستفيع الرسل منها فان بقية الجنود كانوا يسمحون للدخول فيه . وكان ينال الذين يبرزون اكثر من غيرهم حتى وان كانوا من العشاة ما يصبون اليه ويكون ذلك ككفاة لهم . وكان يقبل فيه ايضا رجال حاشية السلطان بعد ان يخدموا بضعة اعوام في السراي . ولكن بما ان البلطات الاربعة كانت تسيء استعمال نفوذها لدرجة اصبحت متعينة على الديوان وعلى الناس . وبما لهذا كانت تسبب في مختلف

الافاق خصوصا في زمن السلطانين مراد الرابع وابراهيم الاول فتداند من تلك التي يسببها الانكسارية فان الدولة شذرت بلزوم اصلاحها ولهذا فانها لم تعتمد فقط الى ارجاع عدد رجالها زمن محمد الرابع الى الفين واربع مئة الى ما كانت عليه في الاصل بل الحقنها بجيشي السباه والسلحدار فضم الى الاول بلكا اليعين والى الثاني بلكا اليسار . واصبح بذلك رؤساء هذه الاربعة تابعين لقائدي السباه والسلحدار ، الا انهم ظلوا محتفظين بمدة حراسة راية النبي . فانهم يحملونها ويكنون خفراء لهذا وقت الحرب ويضربون خيامهم حول الخيمة التي وضعت فيها . ان عدد الفرسان كان ^{مناسبا} وعدد الانكسارية . ولقد ~~انقص~~ عدد ^{انقص}هم الى (٢٥٥٩٠)

وبذلك زمن محمد الرابع عندما احرقت اصلاحات كبيرة في فرقة العشاة انما بعد بضعة اعوام زيد العدد الى اكثر من (٥٥٠٠٠) عندها اضطرت الدولة الى زيادة عدد الانكسارية على اثر الضخ التي قام بها المسرحون من الخدمة . الا ان عدد ^{انقص}هم انقص عدة مرات في زمن حكم السلاطين الذين اتوا بعد محمد الرابع . فبمقتضى ما قد قرر زمن احمد الثالث فان عدد الفرسان الذين يطلق عليهم جميعا اسم سباه او الفرق الست يجب ان يكون مؤلفا زمن الحرب من ستون عشرين الف فارس . اما في اوقات السلم فلا يوجد نصف هذا العدد .

كانت ثكنات هؤلاء الفرسان كاثثة سابقا في الاستانة وادرنه وروميه كما كانت في جوار هذه المدن الثلاث . اما الان فانها موزعة في الولايات . ~~ويكاد يكون منهم~~ ^{ويكاد يكون منهم} الف وخمسمئة ~~في العاصمة لان ليس لهم~~ ^{في العاصمة لان ليس لهم} ثكنة ما . ويسكن الغير المتزوجين في قنادق او خانات كبيرة تسمى " قورشنلوخان " .

يتراوح راتب الفارس تبعا لعدد سني خدمته بين الست والتسع والتسعين بارة

ويتناول كل قائد من القلائدين ثمانية وأربعين ألف قرش في السنة إنما يترتب عليهما أن يدفعوا من أصل هذا المبلغ رواتب رؤوسا ضباطها . ولفرقة السباه اعلام حمراء وتكون صفراء لفرقة السلحدار وخضراء ، وخضراء مخططة بأبيض للبلكات الأربعة .

إن هذه الجيوش الستة التي ذكرنا ترتيبها تؤلف قوة الدولة الجربية المنظمة .

ورؤوساؤها الستة هم القواد الوحيدون الذين يظلمون في الخدمة في أوقات السلم . وهم لا يذهبون مع الجيش إلا إذا كان يقوده على الأقل أحد الباشوات من ذوي الأطاغ الثلاثة والذي يحمل لقب سر عسكر . ويؤخذ قائدا الفرسان والجبه حجي باشي عادة من بين رؤساء الحجاب الذين هم من المولغين المدنيين . أما قيادة التطوجية والطوب عرجية فإنها تعطى دائما لأقدم رجال هاتين الفرقتين خدمة . ويكون لباسهما من الحرير الأطلس ومن اللون الأزرق الفستقي .

الجيش السابع : بقية فرق الجيش المنظمة

ضاربو القنايل * الهومبرجية * وواحد أو لناسم * لخمجية * وهم يؤلفون فرقتين خاصتين . ولم تكن تعد الأولى حتى سنة ١٧٣٢ إلا ثلاث مئة رجل أعطيت لهم أقطاعات عسكرية ولقد توصل الكونت بونفال Bonneval عندما أصبح قائدا عليها بلقب هومبرجي باشي وذلك في زمن السلطان مصطفى الثالث إلى زيادة ثلاث مئة آخرين أعطى لهم المرتبات .

وأوصل سليم الثالث عددهم إلى ألف . ويقود هذه الفرقة في الأيام الأخيرة رجل إنكليزي مسلم من المرتدين يدعي إنكليز مصطفى .

وعندما فرقة * شاطر متري * يقومون بالاعتداء بخيم وسراقات السلطان وفرقة أخرى مؤلفة من مرتبين * أي موسيقيين فقط ورد ذكرهم في الفصل الذي يتحدث عن السراي .

إن هاتين الفرقتين والفرقتين السابقتين لأعلاقة لهما بالجيوش الستة المنظمة .

لا يترن الحدود أبدا وهم في الجيش على استعمال الأسلحة أو على الحركات العسكرية إنما يتعلمون فقط ضرب النبال بمدارة وإطلاق البنادق والمدافع . وكان ضرب النبال أحب الألعاب التمارين لمحمد الثاني ولقد كان بارعا جدا في استعمال الأسلحة . ونذكر بهذه المناسبة

ان النبي محمدا كان يعتبر السهم سلاحا الهيا وتقول رواية عربية قديمة ان ادم لما
 تشاك لله من ان الطيور تلتهم ثمار الارض ظهر له الملاك جبرائيل وناولوه قوسا وسهما وقال
 له : " استعمل هذا السلاح فانه قوة الله " . وكان محمد الثاني ينصح عساكره دائما
 وخصوصا الانكشارية بالتمن على ضرب السهم . ولقد خصص من اهل ذلك منذ اول ايام افتتاح
 القسطنطينية سدا واقعا قرب غلطة وعولايزال يحمل حتى الان اسم " اوق ميداني " او
 اساحة السهم . لما بعد اختراع البارود اخذ استعمال هذا السلاح ينزل تدريجيا .
 ان الذبكات التي حلت بالباب العالي من جراء الحروب الاخيرة جعلته يشعر بضرورة
 ايجاد حنود يكونهم احسن تدريبا وظلقة . وقد اعتم السلطان عبدالحميد بعد معاهدة
 صلح قينرجه المتعددة سنة ١٧٧٣ بإنشاء فرقة مدفعية جديدة مؤلفة من الفي رجل
 وضعها تحت اشراف الصدر الاعظم وسبوعة به راسا . وجعلت ثكنتها في " لوندشفتان " على
 بعد ميلين من الاسكندرية وكان يقوم على تدريبها ضباط افرنسيون . وكان يسمى رجال
 المدفعية هؤلاء " السرعة حية " اي السريون . وقد ضم اليهم سليم الثالث عام ١٧٩١
 ارجات من التكنكية " اي حملة البنادق موزع على راسم ضابط اسمه عمر اغا وكان قد سجن
 مدة طويلة في روسيا وفي مدة بضعة اعوام اصبحت هذه الفرقة التي كان فيدا حنود من الفرسان
 ايضا مؤلفة من خمسة عشر الفا رجل . ولقد بنيت لهم ثكنة جميلة في اسكندرية كما انشئ لهم
 لهم ايضا ثكنات عديدة في الولايات الاسيوية القريبة من العاصمة وفي ادره . وكانوا يدرسون
 على الطريقة الأوروبية ويرتدون الملابس العسكرية وكان غطاء راسهم قلنسوة البستنجية اي
 رجال حرس السراي لانهم كانوا الحقوا بهؤلاء الذين هم بدورهم كانوا فرعا من فرقة
 الانكشارية . ولقد احدثهم الدولة برجال الحرس امة ان يخففوا من رتبة الانكشارية نحوهم
 الا ان هؤلاء كانوا ينظرون الى هذه الفرقة الجديدة بعين النيرة وكانت الدولة تخاف ان
 تظهر هذه المنافسة الحيز الوجود في اول حرب تدخلها . وفيما فقد ظهرت بصورة مخيفة
 سنة ١٨٠٧ بعد بضعة اعوام من الاشتاق الذر حصل بين الباب العالي وروسيا . فلقد
 خلع الانكشارية سليم الثالث عن العرش . واخذوا من خليفته مصطفى الرابع ^{مهم} بإزالة هذه
 الفرقة الجديدة وعلى اعدام رجال الدولة الذين كانوا يدافعون عن هذه الناحية من
 النظام الجديد .

الفصل الثاني

العساكر التي تعتاش من الاقطاعات العسكرية : الزعامة والتميز

اوحد بالدولة الاقطاعات في جميع الولايات تقريبا . وذلك عند افتتاحها هذه الولايات وكان لهذا العمل هدفان وهما تأمين الدفاع عنها ومكافاة خدمات العساكر . وكان الفارس (السباه) صاحب الاقطاع يحبي لفائدته الخاصة مورد صرانب الدولة المفروضة على اراضي اقطاعه . هذه الاراضي التي يعمل فيها الفلاحون المسلمون او المسيحيون " الرعايا " وكان له عليهم حقوق السيد المطلق المعبود . ويعتبر الفلاحون كملأكين للارض ولكم عندما يورثونها لاشخاص من عائلتهم غير اولادهم فانه لا يحق للورثة امتلاك الارض الا بعد ان ياخذوا موافقة السباه وبعد ان يدفعوا له مالا معينا . وانما لم يكن للمتوفي ورثاء يجب ان يعطي السباه شروكانه من الاراضي لاحد جيران المتوفي ^{ان} لا يحق للسباه ان يتصرف بها لفائدة اهله . ويترتب على السباه ان يقيم في اقطاعه وان يسير الى الحرب عندما يطلب منه وان يكون مصحوبا بعدد من الفرسان مسلحين بالدروع يكون عددهم مناسب بقيمة اقطاعه . وذلك بمعدل فارس واحد لكل ثلاثة الاف بارة من موارده وهو تعيين يسمى " سيفا " . وان كل اقطاع يكون موره اقل من عشرين الف بارة يسمى " تيمارا " والذي يكون موره ما فوق ذلك يسمى زعامة . (١)

وهذا النظام معمول به الان . ويخضع رجال السباه القاطنون في احد الاقضية لرئيس يسمى " الاي باي " الذي ياخذهم وقت الحرب لعند السنجق باي حاكم اللواء . وحكام الالوية يقدمون بدورهم ماتجمع عندهم من الرجال للبلد حاكم الولاية .

(١) للمترجم - يقول دوسون بانهم يجب على السباه ان يقدم فارسا لكل ثلاثة الاف بارة من موارده الان الموزع التركي جودت في محله الاول الذي ترجمه الى اللغة العربية عبد القادر اقدى الدنا رئيس محكمة تجارة بيروت في الصفحة ٩٩ يقول ثلاثة الاف اقجاية وليس ثلاثة الاف بارة يقول : " " . وكان عددهم في ذلك الوقت في الولاية المذكورة اثني عشر الف سيف (او رئيسا) بموجب القيود كان من القانون ان كل صاحب سيف يجب عليه ^{ان} يتوجه الى الحرب ويصحب

ولقد امر السلطان مراد الاول سنة ١٢٧٦ بان تكون هذه الاقطاعات وراثية يرثها الابن عن الاب فقط وعي ترجع للدولة اذا لم يكن لصاحب الاقطاع ورثاء ذكر ويمكن للباشا ان يمنحها لسبب اخر من نفس اللوا او لاجل الجود القدماء . وان اى جريمة يرتكبها صاحب الاقطاع لا تسبب لاولاده خسارة حقهم في ^{المنفعة} الاقطاع منه . وان كان لشخص واحد عدد من اراضي التيمار فانه يمكنه تحويلها الى "زعامة" ويمكن ان يحصل العكس ابداً ان تقسم "الزعامة" الى تيمارات . وفي حال اقتسام الاقطاع بين الورثاء يجب ان تكون قيمة الحصة الواحدة (٢٠٠٠٠) بارة على الاقل .

ظلت الاقطاعات العسكرية عظمى قرنين يعصدها الباشاوات لابناء صاحب الاقطاع المتوفي الا انه صدر قرار سنة ١٥٣٠ لا يحق بموجب الاحكام ان تصرفوا الا بالاقطاعات الضئيلة القيمة اما الباقي فانه كانت تمنح بموجب اوامر سلطانية "توجيه" فرمان " والتي يجب على حاملها ان يبرزها للحاكم اللوا الذي عليه ان يتحقق من صحة نسبه او من كونه ابن سباء وان يعرف ما كان مقدار دخل ابيه وفي اى سنة توفي . فاذا كانت التحقيقات التي قام بها توريد ادعاء الابن فانه يعطيه " تذكرة " بذلك يحصل بموجبها من الباب العالي على "براءة" يقوم الحاكم بتدوينها عنده . واصبح يعطى بحسب هذا القانون لهذه الاقطاعات " تذكرة" تسمى "تعييناً" عن الاقطاعات التي يمكن للباشا ان يمنحها حسب مشيئته والتي تسمى "تذكرة سبب" اى بدون تذكرة . وكانت القوانين تمنع بانه لا يمكن اعطاء الاقطاعات الابناء السباء وكان من المستحيل تقريباً فيما مضى على غيرهم ان يحصلوا عليها ولكن هذا القانون اعمل فيما بعد .

كان يصل عدد الخود زمن السلطان سيمال الاول من ارباب الزعامة والتيمار الى المئتي الف رجل . الا ان عادات رديئة جدا تسربت الى انظمتهم كما تسربت الى بقية جيوش الدولة وذلك في زمن خلفائه السلاطين ويصفه خاصه في ايام حكم مراد الثالث الضعيرة .
 معه جبه حية (يكون عددهم على حسب ما يبلغ تيماره بنسبة كل ثلاثة الاف اقطاعية (الاقجاية ثلث بارة) جبه جي واحد (اى عسكري واحد) ثم يقول بعد ذلك وفي نفس الصفحة " ومن كانت مرتبة ثلاثة الاف درهم الى ٢ الف درهم يسمى صاحب تيمار والذي يكون مرتبه ما فوق ذلك فهو صاحب زعامة " نلاحظ مما تقدم بان الموضع جودت يفرق بين الاقجاية والدرهم بينما دوسون يذكر كلمة بارة في الجملة .

فقد كان معظم اصحاب الاقطاعات لا يدعون الى الحرب ويظل عصيانهم هذا بدون عقاب بالرغم من ان القوانين كانت تعاقب المخالفين كل حسب نوع اقطاعه فاما ان تؤخذ منه او يدفع مورد سنة . وكان الباشاوات يطرحون بالمزاد العلني اراضي الزعامة والتيماز ثم يحكمون بها لمصلحتهم الخاصة . وكان الاقطاع الواحد يباع لعدة اشخاص يحضرون جميعا لاخذها ويكون كل منهم حاملا براءة بموجب ذلك . وكانوا يقلقون الالوية بصخبهم وغازعاتهم التي كانت دائمة في اغلب الاوقات . ولم تكن هناك مراقبة وكان يموت السباه ولا احد يشعر بذلك ولقد كان يحصل ان ياخذ بعض الناس براءات من توفي من جنود السباه ويحولونها الى اسمائهم ليحصلوا بفروجها على اقطاعات . وظن السلطان مصطفى ~~الملك~~ الثاني بانه سيصلح هذه الفوضى اذا اعاد القانون الذي يقضي بسحب صلاحيات الباشاوات من حق التصرف بهذه الاقطاعات . اما الحلة بقيت ولم يتغير سوى سببها اذ اصبحت الوزارة هي التي تمنح الاقطاعات التي اصبحت فريسة لاصحاب الحظوة والرشوة والمكائد . وانتقلت ملكية هذه الاقطاعات بعد زمن قليل الى موظفي السراي والموظفين المدنيين . وقد تدهورت هذه المؤسسة العسكرية الى درجة جعلت السلطان مصطفى الثالث يعجب في ابتداء الحرب التي اعلنتها الدولة على روسيا سنة ١٧٦٨ من ان يجد في الجيش فقط عشرين الف فارس تقريبا . واراد السلطان عبدالحميد بعد صلح قنبرجه ان يعيد الى هذا الجيش نظامه القديم واصدر من اجل ذلك سنة ١٧٧٦ مرسوما شديدا للتعديلات الا انه لم يؤثر شيئا لان الضجة التي قام بها كل الذين كانوا يتمتعون بتلك الاقطاعات اخافت الوزارة الى درجة جعلتها تطلب من السلطان ان يتخلى عن مشروعه . فالدولة اذا محرومة من قسم كبير من جيشها الذي من الممكن ان يؤمنه لها احداث هذه الاقطاعات . فالاشخاص الذين استملكوها وتخصمهم الان يؤخرونها ويعفون انفسهم من الخدمة العسكرية . ويعفون انفسهم ايضا من واجب تديين ما يتعين عليهم تقديمه من القرسان الى الدولة عندما يقتضي الامر ويكون ذلك بدفع بدل لخزينة الدولة قدره خمسون عرشا عن الفارس الواحد . وكان السلطان يحول تدريجيا الى اوقاف الاقطاعات التي تصبح خالية . ولا يوجد من هذا الجيش في اوقات السلم سوى قسم ضئيل وهذا القسم يؤلف فرقة من اربع مئة رجل يدعون *Guédikhi-Zaimi* انشئت سنة ١٥٩٢ وهي تقسم الى اربعين : الخديقلي متفرقة والخديقلي شاوي . يرأس الاولى المتفرقة باشي ويرأس الثانية الشاوي باشي . وهؤلاء

الجنود لابدعوبون الى الحرب الا مع السلطان او الصدر الاعظم ليشتركوا مع السباه في حراسة الراية النبوية . اما في غير ذلك فانهم يظلون في العاصمة حيث يقوم منهم دائما خمس وعشرون او ثلاثون في حراسة قصر الصدر الاعظم وهم يرسلون غالبا في حمل رسائل الدولة الى الولايات .

الفصل الثالث

العساكر التي تقدمها الايالات : " ايلة عسكرة "

ان كل ايلة تقدم وقت الحرب حصتها من العسكرة ويكون عددهم من الف وخمسمئة الى ثلاثة الاف رجل ويكون فيهم من المشاة بقدر الفرسان تسليحهم الايالة نفسها ويحشون على نفقتها . وتجند الشعوب الكردية القاطنة في ايلات ديار بكر وشهر زول وغان ونهرها خمسا وعشرين الف رجل تقريبا . وتقدم القبائل التركمانية عشرة الاف رجل . ويضاف الى الجيش ايضا فرقة مؤلفة من ستة الاف بلغاري من المسلمين واليونان يعملون كسواس وخدم يطلق عليهم اسم *Yeniçeri* وقد انشئت هذه الفرقة سنة ١٢٧٦ بامر من السلطان مراد الاول وقد اعفى من دفع الضرائب كل من يدخل فيها . ويذهب معهم في اوقات السلم كل سنة ثمان مئة الى الاستانة حيث ياخذون الى الحقول خيول السلطان وموظفي القصر وخيول الصدر الاعظم وكبار الشخصيات . وسمى رئيسهم " فوينوي سرعسكر " وهو تابع لرئيس اسطبلات السلطان . واخيرا فان الافلاق والبلغدان تقدمان كثيرا من الارطاط يقودها حاكما هاتين الولاياتين او يقودها ال *Boyarda* . ويعمل هؤلاء الجنود بصورة خاصة في تهديد الطرقات للجيش . وكانت كل هذه العساكر التي تقدمها الايالات تؤلف فيما مضى مئة وعشرين الف رجل .

الفصل الرابع

فرقة حرس الباشاوات وحنود المقاطعات الخاضعة لهم .

تتألف عساكر الباشاوات الخاصة من حاشيتهم العسكرية " لوند " ومن " الجبلو " اى
لابسي الدروع . وعليهم ان يجهزوا هذه العساكر مقابل المقاطعات العسكرية المفتوحة لهم .
هذه الاقطاعات هي املاك معينة في كل لواء ومخصصة للحاكم وتكون بمثابة راتب عادى له .
وتكون موارد ها مثل موارد الزعامة والتمار . انما تختلف عنها في انها تخص الحاكم كحاكم صاحب
منصب ولا تخصه شخصا ولقد كان مورد السنجق باق سابقا من اقطاعه بين اثنين وخمسة مئة
الف بارة . وكان يصل مورد حاكم الايالة الباشا الى البكرين الى ضعف هذا المبلغ . وكانت
هذه الاقطاعات في كثير من الايالات مثل ايالة الروم ايلي وارضروم ودياربكر وفان وشهرزول تد
مبالغ تصل الى اثنتي عشرة الف بارة . وتختلف هذه الاقطاعات من ناحية ثانية عن الزعامة
والتمار في انه يجب على اصحابها ان يجهزوا عساكر من الفرسان بنسبة فارس لكل خمسة الاف
بارة . ويتناول الحكام ايام الحرب في اخر كل حملة منحة تصل قيمتها الى عشر مبلغ مورد هم من
اقطاعاتهم . عدا ذلك فان الحكام من درجة سنجق باق لا يمكن عزلهم ولا يدفعون مالا عند
تنصيبهم وهم يعيشون ببساطة مما يمكنهم متابعة الاعمال التي تدفعهم اليها حيثهم ودخول
الحرب بجيوش مضاعفة عن التي يترتب عليهم تجهيزها . ولذا فان مجموع جيوشهم يتعدى المئة
 وخمسين الف رجل . الا ان هذه المؤسسة العسكرية اخذت تتضعف في زمن مراد الثالث
عندما اصبح يولى على الالوية بدلا من الحكام من درجة سنجق باق باشاوات من اصحاب
الطوفين والثلاثة اطواغ حيث تكون مراكزهم غير ثابتة ان يمكن عزلهم عدا ذلك فانهم يدفعون
مبالغ طائلة عند تعيينهم ويظنون بانهم مضطرون للتظاهر بالابهة الامر الذي يدفعهم الى
الافلاس .

ان عساكر الباشاوات الخاصة والفرسان المجهزين من قبل ارباب الزعامة والتمار

كانوا يوفون اذا فيما مضى جيشا يتعدى الاربع مئة وخمسين الف رجل يشترك قسم منه في
الحرب ويبقى القسم الاخر لحراسة الولايات . ولا يزال النظام القديم معمولاً به . لكن

القوانين ليست صارمة كما كانت قبلا وانحطت هذه المؤسسة العسكرية التي كانت سابقا هائلة الى درجة اصبحت بالكاد تتألف من ستين ألف رجل .

الفصل الخامس

الجيش الغير عادية والفرق الحرة

وهي تتألف من العساكر المبرية (ميرى عسكرى) والعساكر المحلية (يرلي نغارات) واصحاب السيوف المسلحة (دال قلعج) والقذائين (سردن كشدى) ام بالمعنى الحرفي : الذين تخلوا عن رؤوسهم * والمتطوعين (كونللو) .

(١) يطلق اسم العساكر المبرية اى التي تتناول عربات على كتائب مؤلفة من الف رجل من المشاة والخيالة يحذوها ضباط يقودونها حاملين لقب " بن باشي " اى رئيس الالف ويغبل فيها كل شخص يتقدم ويكون حاملا بندقية وسيفا او رمحا ومسدسين ويعطى له عند دخوله خمسة وعشرون قرشا اجرة تعهده للخدمة مدة الحرب اما الراتب فيكون قرشين ونصف في الشهر للاحدى من المشاة وخمسة للفراس . ويتناول رئيس الكتيبة الذي قرش كراتب له مدة الحرب ويأخذ عدا ذلك عشر ما يعطى لرجاله . ويعطى للعساكر المبرية عند وصولها الى المعسكر المؤن والعلف لخيولها كما يعطى لها خيم ايضا . وعندما تنتهي الحرب تعطى للاجنود الحرية في ترك الخدمة اوفى تجديدها . وكان انحطاط مؤسسة الجيش الاقطعية هي التي دعت الى ضرورة تجنيد هذه العساكر التي كانت تؤلف القسم الاكبر من جيوش السلطان مصطفى الثالث الذى كان يخاف من ان يزيد عدد الانكشارية ورجال السباه . وكان يوجد في الجيش العثماني اثناء الحملة التعيسية سنة ١٧٦٩ عند ابتداء الحرب ضد روسيا ، سبع وتسعون كتيبة من العساكر المبرية الا ان الجنود كانوا عديمي الطاعة والروءساء خالين من اى خبرة عسكرية .

(٢) العساكر المحلية . يجند رجالها من سكان المكان المهدد لغزو لتقوية الجيش

المرباط المؤلف من فرق منظمة . وتؤلف من هذه العساكر بلديات تسرح بعد زوال الخطر .

(٣) اصحاب السيوف المسلحة . هو اسم يعطى للبلديات مؤلفة من مئتين الى خمس

مئة رجل ينتخبون من مختلف فرق العسكرية . ويتناول الواحد منهم يوميا من عشر^{باراة} الى عشرين باراة . وهم يقومون باكثر الاعمال خطورة كحفر الخنادق ووضع الانغام . والقيام بالهجمات الخ . وفي كل مرة يقوم الواحد منهم بعمل مجيد يضاف الى راتبه ثلاث باراة . وعندما تنتهي الحرب يرجعون الى فرقهم ويتمتعون طيلة بقية حياتهم بالفوائد التي اكتسبوها بمآثرهم .

٤) الفدائيون وهم كما سبقهم كئيب من الاولاد الضائعين ولكنهم اكرم منهم حواة ويمشون امامهم في المحرمات الخطرة جدا . وهم عادة من الانكسارية يؤلفون عددا من الكئيب تتألف الواحدة منها من (١٢٠) رجلا يتناول الجندى منهم بين عشرة وعشرين قرشا عند دخوله في الكئيب ويضاف الى راتبه بين الخمس والخمس عشرة باراة . وعدا ذلك فانهم يكافون على شجاعته في المناسبات الكبيرة بهبات عظيمة . ويطلق على رئيسهم لقب اغا الفدائية . وتحتد فرق الخيالة ايضا من غولا الاولاد الضائعين .

٥) المتطوعون وهم رجال دفعهم اليه اوحب العنيفة او العصبية الدينية الى حمل السلاح . ويعمل في ايام الحرب رجال من الدراويش المتحمسين في اشغال حمية المسلمين الدينية بخطبهم ويحسونهم للسير ضد اعداء الدولة والعهلة واعداء الاسلام . وهم ينسجون دائما في اكر الولايات في وضع نواة فرق المتطوعة هذه . ويستلم القيادة اشهر ~~والغولا~~ المتطوعين فيسيرون نحو المعسكر رافعين راية احدى فرق الجيش المنظمة وتكون عادة راية فرقة الانكسارية . ويزيد عدد المتطوعين كلما توغلوا في السير ووصل للسكان الذين يرفضون تقديم الاطعمة لهذا الجيش . وتقدم لهم الدولة عندما ينضمون الى الجيش كل ما يحتاجون اليه طالما هي بحاجة اليهم ثم انما بعد ذلك تبذل كل ما يوسعها لارجاعهم الى بلادهم . انما يصبح غولا المسرحون من الخدمة مع المتطوعين وغيرهم من الجنود الذين انتهت مدة خدمتهم والهاربون من فرق الجيش المنظمة مصيبة على الولايات بما يقومون به من اعمال السلب . ويظل الحال معهم طيلة امد الحرب ويعدونها بمدة طويلة ايضا .

ولا يتخذ السلطان ابدا جنودا من اهل الازمة كما انه لا يقبل فرقا اجنبية في جيوشه لان المعتقدات الدينية تمنع ذلك ويعتقد الناس بان اشتراك غير المؤمنين المسلمين مع المسلمين لا يمكن ان يسبب غير المصائب . وما من مؤرخ مسلم الا ويلوم بشدة اتفاق الخلفاء الفاطميين في مصر مع الصليبيين في فلسطين ضد بني ايوب في الشام . واتفاق بني حمدان مع

البيزنطيين ضد المصريين . اذ يقولون بانه غير ممكن الا ان يشعر الانسان بالعار عندما يرى اتحاد الصليب مع الهدال واختلاط الاعلام الاسلاميه برايات المسيحيين . وليم المؤرخون العثمانيون بنفى الشدة السلطان بيازيد الاول لقبوله في جيشه فرقة اضافية مؤلفة من عشرين الف صربي . وهم ينسبون انهزامه امام تمرلك سنة ١٤٠٢ لعلوه عذا . وتندما اندلعت الحرب الاعلى بين ابناء بيازيد الاول وجد الامير محمد نفسه مكرما لقبول مساعدة الامبراطور عمانوئيل الثاني/ عندما سار عام ١٤١٣ لمحاربة الامير موسى الذى كان لايزال سيدا على الروم ايلي . الا انهما اتفقا في ان يحمل الجيشان دائما بعيدين عن بعضهما . ولم يقل الصدر الاعظم الداماد ابراهيم باشا ان يضم عام ١٦٠٠ الى جيش الكر الدولة ، فرقة مؤلفة من ست مئة افرنسي وعوما بقي من ثلاثة الاف منهم كانوا يوففون حامية حصن Papia في المجر ، الا بعد ان نزلت بالجيش العثمانية نكبات عاتلة في الحرب الطويلة الامد التي كانت ناشبة بين الدولة العلية والنمسا . وقد عرض هولاء الافرنسيون الصحار المحاربين خدماتهم على الصدر الاعظم لانهم كانوا على اختلاف مع القواد النمساويين . ويقول المؤرخ حسن بك زاده بانهم خدموا في الجيوش العثمانية باخلاص وانهم اظهروا في كل المناسبات منتهى الحمية والشجاعة . وقد بقي منهم البعض في زمن عثمان الثاني حيث برزوا امام هذا السلطان في محاصرة " خعين " او خوينيه . واذا قبل الباب العالي في بعض الاوقات خدمات رجال عسكريين من الاجانب فانهم يكونوا تقريبا دائما من المهندسين او من عباة يقومون بالتعليم .

الفصل السادس

في الحرب

ينتهج دائما الباب العالي في ان يرلي بدقة وعلى الاقل شكليا الاحكام الشرعية قبل ان يعلن الحرب . ويحاول دائما في الدرجة الاولى ان يحلل الحرب شرعيا وذلك بفتوى يصدرها المفتي امام مجلس شورى كبير . ثم بعد اصدار هذا القرار يدخل شيخ كل الجوامع

السلطانية الى الديوان وقرا رئيسهم وعوشينج جام ابا صوفيا سورة من القران تبحث عن الحملات العسكرية .

ان اول تدبير تقوم به الدولة عند اعلان الحرب هو توقيف وسجن سفير الدولة المعادية . والدافع الى خرق هذه الحقوق المخصصة هو للتأكد من حصول الخلاف بين الدولتين ، ولتضييق حقد الشعب والجنود ، ولضخ الحكومة المعادية من الحصول على معلومات عن حالة الدولة العسكرية وللحصول على واسطة سهلة للقيام عند الحاجة باجراء مفاوضات سرية لعقد الصلح . واخيرا للاحتفاظ برعية مقابل تأمين سلامة الرعايا المسلمين المحتمل وجودهم في بلاد الدولة المعادية .

ويسبق هذا التوقيف دائما اجراء بعض الاعمال القانونية . ان يدعى السفير لمقابلة الصدر الاعظم الذي يعرض له امام المجلس شكور الديوان وساله اذا كان يريد ان يتعهد باسم حكومته بتادية التعويضات المطلوبة للاحتفاظ بالسلام . وامام جوابه الذي يكون بالنفي متذعرا بعدم سلطته يبلغ بان مصلحة الدين والدولة تدفع جلالة السلطان ان يطلب الحق بواسطة السلاح . ويحتبر عوسجين الدولة ويقاد راسا من الباب العالي هو موظفو السفارة الى حصن السبعة ابراج . فيذهبون على الخيل تخفروهم ارطة الانكسارية التي تؤلف حرس الصدر الاعظم .

وفي اليوم التالي يصدر الباب العالي بيانا يقدمه رسميا لجميع السفارات الاجنبية . ثم يتبعه قرار سلطاني " خط شريف " بتقليد الصدر الاعظم قيادة الجيوش وبتشيت كل الصلاحيات المتعلقة بمنصبه . ويقوم احد كبار موظفي السراى بحمل امر السلطان الى الصدر الاعظم ويقدم له من قبله ايضا سيفا مرصعا بالحجارة الكريمة ، وجوذا مجهزا باثني عدة . ويستقبل رسول السلطان باحتفال كبير . ثم يقرأ الرئيس افندي " الخط شريف " بصوت عال وفي وسط الديوان ويقترب بعد ذلك جميع اعضاء المجلس من الصدر الاعظم لتقبيل ثوبه . وترسل الدولة قبل كل شيء فرامات الى حكام الولايات تبين اسباب اعلان الحرب مصحوبة بفتوى المفتي وتامرهم باجراء التنظيمات الضرورية للدخول في الحرب . ومن عادة الباب العالي ان يعلن الحرب في اواخر الخريف لكي يتمكن في الشتاء

من اجراء استعداداته التي لاتسير بسرعة . وفي الربيع تحصل احتفالات عديدة تعلن سير الصدر الاعظم . وتتصب في اليوم والساعة المعينين من قبل منجمي السراى في باحة قصر الصدر الاعظم احد اطواحه وذلك في وسط حلقة من شيوخ الجوامع السلطانية الذين يقومون بالدعاء والتسبيح . وفي الاوقات التي يخرج فيها السلطان نفسه مع الجيوش ينصب في باحة القصر الاولى امام قلعة الاسلحة ويحضر كبار موظفي الدولة طوغان من الاطواغ الستة التي لاتكون الا للحضرة السلطانية .

ويحتفل بعد اربعين يوما بابهة اكر من ابهة الاحتفال السابق بتخطيط اول معسكر في سهل داود باشا اذا كانت الحرب في اورپا وقرب اسكدار ان كانت ضد بلاد العجم ويحضر هذا الاحتفال الكهنة بان ورئيس التشرفات وروساء فرق الجيوش المنظمة . وفي اثناء ذلك لايقف رجال الدين يطلون الادعية طالبين من الله ان يبارك جيوش الدولة العلية . وفي اليوم التالي ينقل الطوغ الذي كان قد عرض على انظار الجمهور مدة ستة اسابيع الى المعسكر حيث ينصب امام خيمة الصدر الاعظم . وهو يدعى طوغ المحطة " كوزاى طوغى " لانه يسبق دائما بمرحلة القائد الاعلى . بينما يحمل طوغاه الاخران امامه ويضعان امام خيمته في كل الامكنة التي يقف فيها . وكانت تجرى هذه الاحتفالات بابهة عظيمة في ايام حكم السلطان سليمان الاول . عندما اعطيت للصدر الاعظم الفزان ابراهيم باشا مهمة السير لمحاربة النمسا عام ١٥٢٩ فان اغا الانكسارية هو الذى سلمه قرار تعيينه قائدا اعلى وقد حمل الاغا رسالة السلطان من السراى الى قصر الصدر الاعظم يتبعه ضباط من فرقته . ولقد ارسل له السلطان مع قرار تعيينه ثلاث خلع سنية وثمانية حياض مجهزة وجوادا تاسعها مجهزة باثمن عدة وسيفا وقوسا وكان محلاة بالحجارة الكريمة ورزمات عديدة من افخر الاقشة . فلقد حمل بكريك الروم ايلي وهو ياتي في الدرجة الاولى بين حكام الالوية اطواغ ورايات الصدر الاعظم الى سهل داود باشا واقام هذا الاخير في معسكره الاول حفلة رائعة لكبار رجال الدولة ولجيوش العاصمة . وفي هذا الوقت زيد في عدد رايات السلطنة . ان لم يكن هناك الى ذلك الزمن سوى اربع نصفها ابيض اللون والنصف الثاني اخضر كب عليها بخيوط ذهبية ايات من القرآن . وقد اسيف اليها ثلاث رايات يقول المؤرخ حسن بك زادة بان جميعها تمثل الكواكب السبعة السيارة . فكانت واحدة بيضاء والثانية خضراء والثالثة صفراء واثنان حمراواتان واثنان مبرقشتان .

وفي اليوم التالي من نفل ظوغ الصدر الاعظم الي المعسكر تخرج بلكات عمال الجيش الانكشاري تتقدمهم ارطة العسس باشي التي يتبعها عدد كبير من الدراويش يرددون كلمة الله هو . وفي هذه المناسبة ينضم الى هذه البلوكات كثير من اصحاب الفنون والصناعات من اهل العاصمة وذلك لكي يشغموا الموكب . وتعرف كل واحدة منها براياتها وبعض نوع اعمالها الخاصة التي يمثلها ولدان يتبعان البلاك في عربة مزينة بالاقمشة والاعلام . ويسيرون الحراشون في الطليعة ويكون رئيسهم حاملا مدا يعرف منه يده الحب وبسره . ثم يتبعهم اصحاب المكاتب يتقدمهم جملان عليهما اقمشة ثينة يركبهما ولدان يحملان باليديهما كتاب القران وهما ينشدان التسابيح ثم ياتي الطحانة والخبازون والقصابون والخياطون وصانعو الاحذية والسراجون الخ ويكون معروضا في عربات التبعاغ وصانعي الحلوى بعض نماذج من اعمالهم تتلوا بالذهب والحجار الكريمة . ويكون كل هؤلاء العمال مسلحين ومرتدين الملابس العسكرية عدا الرعيان الذين يحتفلون بشبابهم الا ان الحيوانات التي يقودونها تكون منطاة باقمشة ثينة ومزينة رؤوسها بالريش . وياتي الحدادون اخر الجميع ثم تسير ورائهم ارطة من الانكشارية لتختم الموكب وفي اثناء السير يتلو رؤوسا الارطات بصوت عال الادعية طالبين من الله ان يحفظ السلطان وان يعزز حيوشه كما يخلو ينزلون ايضا اللعنات على اعداء السلطنة . وتردد الجماعير قول امين وتسمع في الفضاء طلقات البنادق والمدسسات لشارة الفرح .

ويترك الانكشارية بعد يومين العاصمة ويسير على راسهم " السقاة " اي " اوباشية " كل البلكات وتسير الارطات بالترتيب حسب اقدمية رؤوسائها ويمشي الحنود يتقدمهم اثنان يحملان البنادق ويكون لكل بلاك جوادان يحملان راياته وقدره . وبعد مرور البلكات يظهر ضبا خباط كل الارطات من اصحاب رتبة الاوضة باشي فما فوق ويتقدم بعدهم الشوريجية وكبار قواد الجيوش . ثم ياتي بعدهم الاعا تتقدمه جياده واضولعه واعلامه وراية الانكشارية . ويكون محاط بالدراويش ومعظمهم من فرقة البقشاشية ثم يتبعه حرسه المؤلف من خمس مئة رجل يرتدون زيا خاصا . وينتهي الموكب برجال الموسيقي العسكرية . وتتلئ الادعية من كل صوب طالبة فلاح المملطنة كما تسمع التسابيح الدينية والاعاني الحربية مطربة المجد العسكري ومثيرة الى النصر الذي يمد به الدين الاسلامي المؤمنين ، والى واجب الجندي في ان يتحمل بصبر الام الحرب وان يضحي حياته بسرور دفاعا عن الدين وعن الدولة . وتعمل هذه الاعاني لحظم التأثيرات في

روح الجماهير وخصوصا على النساء اللاتي يجرين على هذه الاغاني بمباركة العساكر وعن يمولن باكمات ح

اما بقية فرق الجيش المنظمة فانها تسير في الايام التالية. عندها يذهب الصدر الاعظم ويطلب الاذن من السلطان للمسير . فيحضر الى السرار يرافقه كبار اعضاء هيئات الدولة الثلاث . ولما بدخل قاعة العرش يضع عليه رؤوسا موظفي قصر السلطان ويحضر هذا الاخير ثوبا من الحرير الاغلى الابيض معلى بفراء السمور وله طوق عريض يتدلى ومزين بمشابك من الذهب . كما يقدمون له سيفا وقوسا وكمانا ووسامين مرصعين بالاحجار الكريمة ويتناول من يد السلطان الراية النبوية بينما يكون المفتي ورجال الدين يتلون ^{وهذا القائد} ~~الادعية~~ الادعية . وعندما يخرج يتناول الراية لرئيس الابعين ضابط ^{يقيم} ~~القبائل~~ عينا خصبعا لحراستها ثم يستطي احد جياد السلطان وينحى هذا ايضا عشرة جياد مجهزة بابهي عدة ومثبتين عبرها منطاة بالاقشعة . ويذهب الصدر الاعظم الى المعسكر مجتازا المدينة بموكب حافل فخم يتقدمه كبار رجال الدولة يتبعهم موظفو دوائرهم ورجال حاشيتهم . ويكون في هذا الموكب جماعة من الدراويش ينتمون الى مختلف الفرق ويحملون القفوس مشددين التسابيع ، كما يكون ايضا هيئة مؤلفة من ستة الاف امير باللبستهم وعماماتهم الخضراء . وعدد من العلماء يمتطون الحيات ، وخمس مئة كاتب من موظفي مكاتب الدولة ، وكل رؤوسا الحجاب باللبستهم الرسمية والثمانية عشر جوادا التي تقاد باليد وهي تخذ الصدر الاعظم ، وجياد القائم مقام وامير البحر وعددها تسعة . ويتقدم امير البحر حاشيته وكتيبة مؤلفة من اربع مئة بحرى بزيهم الخاص وحاملين اسلحة نارية . ثم ياتي بعدهم القائم مقام وحرر الصدر الاعظم المؤلف من كتيبتين الواحدة منهما مؤلفة من اربع مئة انكشارى يرتدون الملابس الحمراء وعليهم حلد النمر ويكمنون مسلحين بالحرب ، والثانية من مثلي واربعين " تفنگجي " يرتدون الملابس الخضراء ويحملون البنادق . وهم يقدون خمسة جمال يحمل كل منها موفعين صغيرين . ثم ياتي بعدهم : موظفو الصدر الاعظم يحملون اطواغه واعلامه ثم القاضيا عسكرو نقيب الاشراف ، والراية النبوية يحيط بها اربعون ضابطا " سنحدار " خصصوا لحراستها ، وخمسون رجلا من فرقة حرس السلطان ، وكل قارئي القران التابعين للمراى والحوامع الكبيرة وهم يرتلون التسابيع . واخيرا ياتي الصدر الاعظم مستظما

حواده ، وماشيا على بين المفتي الذي يكون راكبا عربة تتبعه حاشيته المؤلفه من ست مئة رجل البعض منهم يلبس الدروع والبعض الآخر اردية حمراء محلاة بمشابك ذهبية وفضية والكل مسلحون يحملون الحراب بايديهم . ويأتي بعد الصدر الاعظم الكيخية بك يتقدمه اربع مئة من حملة البنادق ، ثم قائدا فرقتي السباه والسلاحدار واما على رأس ثلاثة الاف فارس ، وينتهي الموكب اغا الاكدارية مع ثلاث مئة رجل يلبسون الدروع .

ان ترتيب سير هذا الموكب يكون بموجب عادات قديمة يقوم بتطبيقها رئيس التشریفات يساعد ثلاثه من رجاله ، ويكون على حاشي الطريق عند سير الموكب صفان من رجال الاكدارية يمتدان الى خارج المدينة ثم يقف بعد هذين الصفيين رجال الجبهه جيه والطوبجية والادب عريجه ثم يقف بعدهم على طريق المعسكر حراس الخيم . وعند وصول الموكب يذهب الصدر الاعظم لوضع الراية النبوية في السراوق المخصص لها . ويكون المفتي وقيس الاشراف ومشاعير العلماء حاسرين هذا الاحتفال الذي يجرى على اصوات التسابيح واطلاق المدافع وانغام الموسيقى العسكرية .

انما تحصل دائما فوضى اثناء سير هذا الموكب الفخم وهي مسببة عن اباحة الجنود وعن عصبية الدراويش والاشراف الذين ينتقمون للراية النبوية التي يستقدون انها تدنس من انظار غير المسلمين ، يشتم واعانة اهل الذمة انذين يدفعهم الفضول للتفرج على الاحتفال . ولم يحصل هذا الحقد من الذمة كما وصل اليه في يوم ٢٧ اذار سنة ١٧٦٩ عندما ذهب الصدر الاعظم امين محمد باشا من الاستانة الى محاربة الروس فبينما كان يحتاز المدينة بموكبه خرج صوت وسط ذلك السكون العميق يصيح " ابعثوا الكفار " وفي الحال ردد الجمهور هذه الكلمات وانصف اليها " اطردوهم اخرجوهم " وعلى اثرها نزلت الشتائم على المسيحيين الذين كان عددهم اكثر من غيرهم من المتفرجين . ثم زاد الهياج وهجم الجنود عليهم بحراهم ومراحهم . واخذ هؤلاء المساكين الذين عوجموا بغتة من كل صوب . وكثيرون منهم لما لم يتمكنوا من الهرب خلعوا قلائد مسملين اسلامهم . ولم تراو حرمه النساء ان يذنوا يسوقوهن بالحرايب ويطرحوهن ارضا ويسحبوهن من شعورهن لرميهن في الازقة المجاورة او في الدكاكين . ولقد قتل بنحريات هولاء المجانين مئة شخص تقريبا وجرح اكثر من اربع مئة . وكان بينهم عدد كبير من المسلمين الذين ارادوا حماية المسيحيين . ولقد اعين ايضا بقساوة عدد من الاوروبيين منهم احدى

العيالات المحترمة عملة أحد السفراء الاحاب (١). ولم يطلع الصدر الاعظم على هذه الاعمال الشرسة الا بعد وصوله الى المعسكر . وبالرغم من التفتيشات الدقيقة التي قام بها رجال الامن فان السلطة لم تتمكن من اكتشاف ومعاينة سوى عدد يسير جدا وكانوا من الاشراف والجنود .

ان ذهاب الصدر الاعظم بسبب فوضى في الادارة الحكومية اذ يصطحب معه وزراء الدولة الثلاثة ووزير الخزانة ودوائره . وتعين الدولة وكلاء عنهم يحملون نفس الالقاب ويديرون اعمالهم مدة غيابهم . ويعين بدل الصدر الاعظم نفسه وكيل عنه يسمى قائم مقام . وتعود هذه الادارة المزدوجة سير الاعمال بسبب اختلاف الاراء وتصادم الصلاحيات وكل ما يحرق من اعمال الدسائس والطمع .

ويعين بنفس الوقت في المعسكر موظفون للقيام بشؤونه وهم : (١) القاضي (٢) الخطيب (٣) الشيخ (٤) مفتش الاوقاف والمكاييل واسعار الاطعمة . (٥) كاتب حسابات . (٦) حارس لا طواغ الصدر الاعظم (٧) وكيل الخزائر (٨) وكيل الخيول والعلف (٩) مفتش على الجياد والبغال (١٠) مفتش على الجمال (١١) وكيل المسالخ (١٢) وكيل الاوقاف ويبقى الوزير عدة اسابيع في معسكره الاول فيقوم باتمام الاستعدادات العسكرية لينما يجتمع كل الجيش في ادرنه التي تكون عادة مركز الالتقاء العام . واذا اراد في هذه المدة دخول المدينة فانه يفعل ذلك اما يكون على غاية من التخفي . ويتبع الموظفون الذين ياتون الى المعسكر لمقابلته مثل هذه الحيلة . اما تجرى الزيارات التي يؤديها له السفراء الاجانب كل على حدة بحسب المراسيم المعتادة وبابهة عسكرية مهيبه فيجتاز السفير ليصل الى السرايق الذي لحد لتجرى فيه الجلسة صفين من الجنود يلبسون الدروع والخوذ ، ويكون السرايق مزين بالاسلحة على اختلاف انواعها ويضع بعض منها على الاركة وهي مرصعة بالذهب والحجارة الكريمة . ويكون الصدر الاعظم جالسا على ^{في صدر} سكة الاركة يحيط به وزراء الدولة وهم وقوف . ويجلس السفير على مقعد ورائه رجال حاشيته ثم يوجه بعض الاقوال التقليدية للصدر الاعظم الذي يكون جوابه دائما بنفس هذه العبارات وهي بما له يسير تحت ظل العناية الالهية وبحماية الراية النبوية وبرعاية اعظم واكبر السلاطين فانه يامل ان يحصل على انتصارات باعرة على اعداء الدولة وان يرجع منتصرا عن قريب .

وفي اليوم المعين لسير العسكر يذهب السلطان منذ الفجر ومعه حاشية كبيرة الى

(١) حكمة الباردة دي برنارد سيفر بوط العنا . ولقد كان هناك حاضرا هذا المشهد الفظيع .

" انجولي " وهو مكان واقع على بعد ميل من سهل داود باشا وذلك كي يقدم خضوعه العميق للراية للنبوة . وعندما تقترب هذه منه يخرج من خيمته ويؤدي لها التحية مخنيا راسه ثلاث مرات وواضعا يديه على صدره ثم يرافقها حتى السرايق المخصص لهما ، ثم لما يحضر الصدر الاعظم لخدمة السلطان لتقديم احترامه له يخلع عليه هذا فروة من جلد السمور وخنجر مرصعا باللاهل . وجوادا من جيناده يقدم له رئيس الاسطبلات .

وحينئذ يتابع الصدر الاعظم سيره ماشيا امام الراية التي يرافقها السلطان مسافة ميل ثم يقف في مكان يدعى " عبدالسلام " حيث يستاذن منه الصدر الاعظم بمتابعة طريقه وذلك بتقبيل ركاب السلطان وبأخذ ركبته ثلاث مرات .

ويقوم وكيل السلطان في ادرنه منتظرا انتهاء الاستعدادات العسكرية ثم قبل ان يغادر هذه المدينة يقدم له احد موظفي السراي منحة من السلطان مؤلفة من حسام وفروة من جلد السمور ورسالة من السلطان كلها مواظ وادعية لنجاح الجيش ،

ومما يضيق المعسكر العثماني وجود طائفة من العمال المدنيين فيه ووجود رجال

الدين والدرابوش والبائعين والخدم وكية عائلة من الخيم والامتعة . وتتألف الجيوش بصورة

خاصة وبمقتضى النظام الجديد من عساكر غير منظمة . وهناك جماعات كبيرة من المغارم والاشقياء

ايضا يزيدون في عدد رجال الارطال التي التحقوا بها تحت اسم متصومين . فيجتمع منهم ما بين

الثلاث والاربع مئة الف رجل (كما جرد في - حملة سنة ١٢٦٩) بدون ان يؤمن لهم معيشتهم

وبدون ان تجمع لهم الكمية الضرورية من الذخيرة . ولم يكن يوضع اد تصميم للحركات الحربية وكان

الجيش لا يدخل الحرب قبل الثالث والعشرين من نيسان ويلجأ الى معسكره الشتوي منذ عبدالقديس

ديمترس اى في السادس والعشرين من شهر تشرين اول وبعد ان يكون قد سرح قسم من العساكر

ولا يكون في القلب عند الرؤوساء اى فكرة عن الفن الحربي وكلاوا ينتخبون بدون تمييز من مختلف

هيئات الدولة . واذ كان عددهم ينبغ فان الافكار الخرافية تشل حركتهم ولا يقومون باى مشروع مهم

قبل ان يوافق عليه المنجمون ويحدث ان تتألف الادلة التي يشير اليها منجمو الجيش ومنجمو

السراي الامر الذي يجعل القواد في حيرة عريضة . ويرجع القواد ايضا الى التقاويم لانتقاء الايام

المناسبة للقيام باعمالهم الحربية ومن القواد من يكون قد احرز انتصارا في احد ايام الاسبوع

منراه يرفون ان يحارب في غير مثل ذلك اليوم . ولكل منهم اينما يوجه المشؤوم يتمتع الشرع باى عمل فيه ويقيم ما يرجعون الى الايات القرانية اى انهم يفتحونه كيفما صدف ويشدون حسب معنى اول اية من الصفحة . ويحصل تغيير كثير في منصب قيادة الجيش وذلك بسبب عن الدسائس والاعواء والمعتقدات الخرافية . واسوء من ذلك عوان الجندى عندما لا يتناول كل مرتبه يشور ويبيح لنفسه القيام بكل انواع التعدييات . ويضطر القواد حينئذ الى تركهم يقومون بجولات في اراضي ^{الاعداء} اللامعاه حيث يذعنون في الغالب ضحية حشدهم المفرط .

ان الغزوات هي النوع الحربي الذى يوافق طبيعتهم فانهم يكسحون البلاد العدو ويقتلون كل ما لم يتمكنوا من حمله ويجرون في الاسر الرجال والنساء والاولاد . ويصيب ولايات الدولة التي على الحدود مثل غذا المصير الشاق عندما تحاول العساكر ان توقف هجمات عدو يفوقها عددا . وفي اعمال هائلة استعملت في كل الحروب تقريبا التي شنتها الدولة على العجم . ولقد كان الجندى التركي في كل الازمنة شرسا عديم الطاعة . ولم يتمكن اقدرا المسلطين

واكثرهم شدة من اخضاع ميولهم التمردية . ولا يمكن للانسان الا ان يتعجب عندما يقرأ حكم احد المؤرخين العثمانيين وعو علي محمد افندى حكمه الخالي من المحابة عن امته في حادث نهب مدينة تبريز . فلقد اتخذ الصدر الاعظم ازديمر اوغلو باشا بعد ان استسلمت هذه المدينة عام ١٥٨٥ كل التدابير التي توحى بها الحكمة للمحافظة عليها وعلى ارواح سكانها . الا ان نزاعا وقع في اليوم الرابع بين بعض الاعالي وبعض الجنود اوقع بهذه المدينة الجميلة كل الاحوال التي تصيب مدينة وقعت بايدي الاعداء بعد هجومهم عليها . وجرى فيها النهب مدة ثلاثة ايام ولم يكن بالامكان إيقاف اندفاع الجنود . وكان الصدر الاعظم مرضا الا ان الاحوال اضطرته ان يامر بنقله على حمالة الى شوارع المدينة ولم يتمكن من وضع حد لهذه المذبحة الابعد ان امر بتقتيل اكثر الجنود غادا . ولقد قتل في هذه المجزرة عشرة الاف شخص اما تبريز وهي من اكثر المدن العجيبة ازدهارا فقد اصبحت غرابا . وبعد ان يصف المؤرخ قصورها وجوامعها ومخاماتها وفنادقها وحكومتها وحدائقها وجميع انواع انبعتها افخم وصف يقول : " يجب ان نقدر ذوق العجبيين نحو الفنون وما يبذلونه من غاية في تحسينها كما يفعل الاروبيون . ولا يسعنا ان نقول نفس الشيء نحو امتنا العثمانية التي عوضا من ان تقتبس مثل هذه الثمرات من المدنية فانها تحقر حتى المحافظة

دفع بدفعهم الى

على المنشآت التي تكسبها بحربها وابعدها من ذلك، فان عددهم /حنون/ تعددهم كل شيء . . .
تصدر من المعسكر العثماني في اوقات الصلاة اصوات المؤذنين والنداءات والاشراف
وهم يرتلون آيات القرآن . وهم ينتقلون أثناء المعركة بين الصفوف ويدعون الحماس في الحنود
بمواظبتهم الدينية مرددين بلا انقطاع هذه الكلمات : " يا غازي ، يا شهيد " ويرمون التراب على
الاعداء متشبهين بالنبي . ويعطي القواد إشارة ابتداء الحرب بدعوتهم اسم الله " الله الله " .
وان يقرأوا آياتاً من القرآن مثل هذه : " وما من نصر الا من عند الله حاربوا في سبيله تعالى
الخ . . . " وهم يأمرون بتقديم النحايه فتدبج الخراف والمعر على اصوات التساييح . وعند ابتداء
الحرب تقام الصلوات العامة في مساحد العاصمة . ويكرس جديد اذا نزلت بالجيش هزيمة .
وتجتمع في ايام النحر الجماعير من الجيشين ومن مختلف الاعمار في الهواء الطلق طالبة
معونة الله . وقد حصل في مثل هذه الحالات ان قام بعض السلاطين وانتخبوا اثنين وتسعين
موظفاً من اهل موطنهم يحملون كلهم اسم محمد ويأمرونهم بقراءة اول سورة من القرآن
اثنين وتسعين مرة في الاسبوع . ويكون ذلك أثناء احدى المواقع او طيلة مدة الحرب . ويامر قائد
الجيش شيخ المعسكر حول الراية النبوية لقراءة سورة من القرآن اثني عشر الف مرة واحياناً سبعين
الف مرة . حتى انهم يلحون في بعض الاوقات في قراءة كل القرآن او قراءة مجموعة من الاحاديث
النبوية . ونحو عمل لا يمكن احارته الا بعد ايام .
واذا اصاب الجيش هزائم ممكن ان تغل من غزوة رجاله فان السلطان يرسل الى
القواد " خط شريف " كله موعظ ووعود . وسوف نذكر قطعة من الرسالة التي وجهها السلطان
مراد الثالث سنة ١٥٢٩ لحبيشه الذي كان يحارب العجم . وبعد ان ذكر بيان اولى واجبات
المسلم هي محاربة الملحدين اعداء المعتقدات السنية ، وبعد ان حصر الحنود في التشبه
باحدادهم الذين استهزؤا بهم بمآثرهم المجيدة العديدة قال لهم : " تسلحوا بالسيف الابتر
وادخلوا بشجاعة في ميدان البطولة . اجعلوا هذا الخليط من المنافقين والبرابرة يشعر بكل
وطأة سخطكم ويستهي قوة باسكم وبافضلية معتقداتكم . وكلما رفعت انتصاراتكم
سنة الاسلام ومجد السلطنة وعظمة العرش كلما استقمتم حسن الثغرات سلطانكم . فالترتب والتقدم
والاعصيات وثروات لانهاية لها من النعم ستوزع عليكم كل حسب همته ولعماله . فكروا انني

بينكم لاني معكم روحا وقلبا ان ادعيتي وباركتي لكم لاتنقطع وهي ترافقكم في اعمالكم .
 وكانت النداءات التي وجهها مصطفى الثالث لجيشه في الحرب الغير الموفقة التي
 كانت قائمة بين الدولة وبين الروسية مليئة بالشكوى والتوبيخ . وخصوصا ذلك النداء الذي
 وجهه في اخر حرب سنة ١٧٧٣ قبل وفاته بقليل . فلقد نسب اندجار جيوشه لعدم مقدرة
 قواده ولعدم وجود الحمية والتيقظ والبسالة عند اسبابه وعدم صاعة الجنود . وقد نوه بشدة
 الالم الذي انتابه وخصوصا عندما تذكر انتصارات اعدائه ولقد تحسر من ان جيوشه عوضا
 من تحديد الجهود لاجتياز الدانوب وطرده اعداءه من الضفة الثانية تركت نفسها تفاجأ وهي
 على الضفة اليمنى حيث بدا ان كل شيء اصبح تحت رحمة الكفار . وذكر بانه ما من شعب
 اسلامي اصابه مثل هذا العار الذي حل بالعثمانيين ثم قال : " اين هي اذن غيرتكم لاعلاء
 مجد النبي وشرف الاسلام وعظمة السلطنة ؟ متى اذا سيعدل الحندي العثماني عن ترائي مركه
 والتخلي عن راياته وعن الفرار من معسكراته وعن الهرب المخجل من امام اعدائه ؟ اي متى
 سيقوم بواجبه اذا كان ينسى ان يفعله في اكثر الاوقات اهمية ؟ اهل هذه عي اعمال الغير
 والاخلاص الصادرة عن الذين هم مدينون في كل شيء للدولة والذين يعيشون من كرم سلطانهم
 ويتاولون خبزهم وملحهم من خزينة الامة . كيف يمكن للمحارب المسلم ان يتحمل كل هذا العار
 افلا يعلم بان القرآن الكريم يقول بان الله سيعذبه اشد العذاب ؟ وما سيكون مصير السلطنة
 اذا صابتكم من سوء الحظ عزائم جديدة ايقظوا فيكم اذا الحمية الحربية لتردوا الكفار وتنقموا
 منهم ولتعيدوا شرفكم العسكري ولتحطوا من تعجرف اعداء المصطفي والذي ليس له حد
 واخيرا لتستحقوا نعم سلطانكم في هذه الدنيا وثواب الله في الآخرة . "

وسنذكر ايضا " الخط الشريف " الذي يوجه للجيش بمناسبة انتصاراتها . فان
 الانتصارات الاولى التي احرزها الصدر الاعظم ابراهيم علي باشا سنة ١٧١٥ في الموره جعلت
 السلطان احمد الثالث يوجه رسالة للجيش ابدى فيها منتهى سروره . وظهر فيه فرحه من جراء
 الاستيلاء على كورنت محررها الجيش على متابعة غزوته بنفس الحمية لكما يستحق كل شخص حسب
 اعماله الماكافات التي يعد بها الدين والدولة . ثم قال : فلتحظوا كلكم ولتتصرفوا بتحتي
 السلطانية . ايها الجنود الناجعان الذين يسيرون على طريق الدين والبطولة والذين ليس لهم
 من سرير يستريحون عليه غير الارض ومن وسائل سوى الحجارة . انتصروا على الدوام ولتكن

وجوكم بيضاء كصفحة النهار وبهية كهيا الجيش المنتصرة . ولتكن سيفكم دائما قاطعة ، لامعة
ومسندة بعقد معقدة بنجادة البسالة . وليبارك الله الخبز والملح الذي تقدمه لكم نقودي
السلطانية . اني اتراى كل منكم في حراسة الله تعالى . وبركي ترافكم . ان افكارى وروحي هي
معكم ليلا نهارا لكم التحية والسلام .

واذا احزمت الجيش افتخارا ما فان الادعية تصعد من كل المعسكر ، وثقام في جوامع
اشهر مدن الدولة صلوات الشكر لله تعالى . وتصدر الاوامر بامضاء الانوار وان يسم السرور مدة ثلاثة
اوسبعة او تسعة ايام . وكان القائد فيما مضى الذي يفتح مدينة ما يرتب احتفال دخوله فيها
المر يوم الجمعة . فيذهب راسا الى الكنيسة التي يحولها الى جامع ويقوم باجراء الاعمال الدينية
كما يتيم الصلوات باسم السلطان .

ويرسل السلطان للصدر الاعظم عندما تحرز الجيش انتصارات هامة رزمات من القراء
والخلع لمنحدا للضباط الذين ابلوا بلا حسنا . ويحرى التوزيع باحتفال وبحضور هيئة مجلس
اركان الحرب . وهذات اشارة امتيازات عسكرية وهي اوسمة من الذهب او الفضة " تشكك " توضع على
العمامة ولا يستعملها غير الرجال العسكريين . وكان الفرمان ابراهيم باشا هو اول من حاز على واحدة
منها وكان ذلك بعد انتصاره على النمسيين في موغاكز سنة ١٥٢٦ . ولا تمنح الاوسمة الذهبية
الا لمشاهير الضباط . اما الفضية وهي مخصصة لبقية الرتب فانها على خمسة انواع مختلفة تولف
خمس طبقات مناسبة لها . فالصدر الاعظم اى القائد الاعلى هو الذي يعين الرتب العسكرية لرجال
الجيش وهو الذي يتصرف ايضا في المناصب المدنية للولايات القريبة من الامكة التي تجرى فيها
العمليات الحربية .

ويتوصل ايضا لازكاه حماسة الجنود بما يمنحون من اعطيات في مناسبات كثيرة . اذ
تفرق عليهم مبالغ كثيرة في المعسكر الاول تحت اسم " منحة الحرب " . وعند الشروع في الحرب كان
السلاطين فيما مضى يمنحون للشخص الواحد الف بارة او الفا وخمسمائة او الفين ايضا . وقد جعل
السلطان مراد الرابع هذه الاعطية ذهبا (دوقه) . وان ربح معركة او اقتاح مكان ~~جيد~~
للمطامير ما تسبب للجنود منح جديدة . انما وجد انه من الانفع تقديم المنح للذين يبلون
بلا حسنا في رضى المعارك . فيكون الصدر الاعظم او احد كبار موظفيه محافظا باكمال الذهب والفضة

فيتناول بقبضته منها ويعطي كل من يقدم له اسيرا اوراس جندي من الاعداء . وفي بعض الاحيان يخرج السادون في الليلة السابقة للمعركة وينادون في المعسكر الثمن المذبح لكل راس اولكل اسير ويكون عادة بضع قطع من نسيه . وكان الصدر الاعظم الداماد ابراهيم باشا يدفع في عزوته للموره سنة ١٧١٥ بين (٢٠٠) و (٣٠٠) قرش لكل راس ومن ٤٠٠ الى ٥٠٠ قرش للاسير ولقد امتنع عثمان الثاني عندما كان يحارب البولونيين من اتباع العادة وذلك حبا بالاقتصاد الا ان هذا العمل اثار عليه صخب الانكسارية وكان من احدى شكاياتهم ضد هذا السلطان التعيش عندما ذهب بعد بضعة اشهر ضحية هاجهم . ويتناول اسجندي ايضا من رؤسائه ثنما ما للاروف والاذان التي تصعبها من حث الاعداء هذا بالرغم من ان التمثيل بالاموات ممنوع شرعا عند المسلمين . وكانوا يسلطون منها عادة مساجع هائلة يفتخرون بحملها في العاصمة .

وتسرع الدولة بعد انتهاء الحرب من تسريح قسم من العساكر الجديدة الا ان اسماهم تظل مسجلة في قائمة الجيش . وتستعمل الدولة حذاقة في انهاء تعرض على عساكر ولايات اوربا بالانها بالذهاب والخدمة في الولايات لاسبوية القاصية وللجنود الاسيويين في الحدود الاروروبية ويسمح لهم تراء الخدمة ان ارادوا . ومعظمهم يفضلون تراء الخدمة اذ لا يرغسون بالراتب الزعيد المعطى لهم في وقت السلم ويرجعون الى بلادهم حيث يشتغلون بمهنتهم . وتوسط السلطة احيانا نائبي الضباط لاقناع الجنود الذين قرروا البقاء بتراء الخدمة وان يطلبوا من ذاتهم الاذن بالتسريح . لان الحكومة لاتريد ان تستعمل معهم القوة واذا ظل بالرغم من هذه الاجراءات عدد الجنود كثيرا جدا فانها تتراء للزمن امر تخفيفه شيئا فشيئا . وقد ادت الاصلاحات السريعة التي تعمل وقت السلم في غالب الاحيان الى نتائج سيئة . ولما كان ليس لدى الجنود المسرحون مالا للرجوع الى بلادهم فانهم كانوا ينشرون في الولايات وسعيدين من السلب . وقد كان ذلك السبب الاول في حصول الاضطرابات المؤسفة التي قامت في الروايلي بعد صلح سيستوفيا و صلح جاسي . ونحن نرى من التعليمات التي وجهها الصدر الاعظم الداماد ابراهيم باشا للمره عسكر احمد باشا الذي كان يقود الجيش سنة ١٧٢٦ في الحرب ضد العجم ، نرى كيف يجب ان تكون سيرة قائد عثماني في اوقات الحرب . وتوجد هذه الرسالة التي كتبت باشا فخيم وعلى غاية من الاسهاب في تاريخ جلبي زاده بنصها الكامل . فالصدر الاعظم يوصي القائد الايقوم باى عمل قبل ان

يستشير المحلل العسكري وان يراعي اراء القواد الذين اشتهروا باختباراتهم ومقدرتهم ، وان يتبع في كل اعماله قوانين الفن الحربي ، وان يجيد وضع جنود طلائعه ، وان يضع حرسا من الخيالة يسهرون كل الليل لكي لا يؤخذ على حين غرة ، وان يمنع الجنود الذين يذهبون في جلب الكلاء للخلل عن الابتعاد كثيرا ، وان يراقب الاعداء ويكون كله عيانا واذا انا لمعلم قوتهم ، ويحيط خططهم ، وان يستعمل ضد عم اما السلاح واما الحيل نظرا لكون الحرب حيلة . وان يتحصن جيدا بالمناصب اذ كان قريبا منهم وان يحسن اختيار موقع المدفعية ، وان يترأ الطرود والامتعة الكبيرة بين جنود المؤخرة وبين الجيش المحارب . وان يكون لديه دائما احتياطي من الفرسان لكي يسبروا بسرعة عند اول اشارة لمساعدة الخاضعين . وقال له بانه يترتب عليه بعد ان يعين مراكز العساكر قبل المعركة ان يتفقد الصفوف وان يكلم الجنود بخان ابوى ويذكر كل ما يمكن ان يدب فيهم الحماسة مرددا اسماء ابايهم واخواتهم واولادهم واصدقائهم ، وان يذكر جميع الجنود اسم الله تعالى عند ابتداء المعركة ويطلبوا منه النصر . وان يسجد القائد ويضع جبهته على الارض عندما يعطي اشارة الحرب طالبا من الله وهديكي ويمتهد الخشوع معونته وطالبا شفاعة النبي ومساعدة الارواح السماوية . ثم عليه بعد ان يمتطي صهوة حواده ان يستل حسامه ويضرب به اللهاء ثلاث مرات : الى الحامين والى الامام ثم يوجهه صوب العدو وهي وسيلة لطلب النصر . وان يكون اثناء القتال اشولة للحداد والبسالة وان يحسحى بحواته اذ قننى الامر في سبيل محد الدين وفي خدمة السلطان .

ومنذ عهد سليم الثاني لم يقود السلاطين بانفسهم الجيوش كما ان الروح العسكرية في الامة ضعفت . لم يكن العلماء متحمسين كالسابق يذاد اندفاع التعصبي لمحاربة الكفار . وعم مع كونهم يقولون بنسرة الحرب من الناحية السياسية وكونها مطابقة للشرع فانهم يبذلون كل ما بوسعهم لمنع السلطان من تراء العاصمة ويظهرون له من اجل ذلك حججا قوية مثل الاضرار التي يمكن ان يتعزز لها شخصه المقدس والمصاريف الكبيرة التي تسببها تنقلاته هذه . وبهم المفتي شخصيا كما بهم القضاة عسكروا في ان لا يذهب السلطان على راس الجيش لانهم يضطرون حينئذ الى مرافقته . وبما انه يترتب ايضا على وزراء الدولة ان يرافقوا الصدر الاعظم فانهم يبذلون نفس الممانعة نحو فكرة الحرب لانها تسبب لهم مصاريف زائدة وتمنعهم من التعم بحياة زائعة سعيدة . وليس لدى

الصدر الاعظم ايضا دوافع تجعله يحلب الحرب اذ هناك ما يجعله يخاف اكثر كثيرا من مكائد منافسيه مدة عيابه وخصوصا من الذي ينوب عنه لان القائم مقام يكون عادة من اكبر الحكام اذ يقدح فيه ويعمل في معارضته ليتمكن من اخذ مركزه . وقد حصل في عهد عدة سلاطين ان تقوم خصومات فاضحة بين الصدر الاعظم الذي يكون على رأس الجيوش وبين نائبه في العاصمة بسبب قلاقل في الدولة . ولهذا فان الصدور العظام يبدون كل ما يوسعهم للرجوع الى العاصمة لا قناع السلطان للمجيء واستلام قيادة الجيش . ولما لم ينظر الصدر الاعظم سنان باندا عام ١٥٩٦ للسير الى النمساويين فانه عزى على السلطان محمود الثالث كي يحثه للحنور الى المعسكر بان القواد المعادين يخفون دائما ويرجع السبب للمنافسة المشؤومة التي تحصل بين رؤساء الدولة . فلقد قال : " ان كان الصدر الاعظم هو الذي يتوحد الجيوش فان القائم مقام عوضا من ان يساعده يضيق عليه املا ان يندزم الصدر الاعظم فبقال من منصبه وياخذ هو مركزه . وان كان السرعسكر الذي يتوحد الجيوش فان الصدر الاعظم القيم في العاصمة يسيئ اليه ويعارضه ويقطع عنه كل مساعدة خوفا من ان يحرز انتصارات باهرة تكون السبب في اعطائه الخاتم العمليوني بدل لانه . " واذا عاج الجند فان الصدر الاعظم يتخذ ذلك وسيلة للكمال للانسحاب من امام العدو اولونج نهاية للحطة . فانه يحرضهم خفية كي يلحوا في طلب ارجاعهم الى مراكزهم الشتوية وينضي هو بسرعته الى العاصمة ليحيط مكائد منافسيه .

ونعيد القول بان الجيوش العثمانية في ايامنا هذه تتألف بصورة خاصة من عساكر غير منظمة لا تجند اللمدة ستة اشهر وبما انها عديدة الطاعة وخالية من اختبارات الخدمة العسكرية فانها تريد في عدد الجيش اكثر من ان تزيد في قوته . ويمكن للدولة في الحملة الاولى من تعبئة ثلاث مئة الف جندي تقريبا على قدم الاستعداد للسير . واذا كانت العمليات الحربية فاجحة فانه لا يحصل هناك عز في تجنيد الجيوش الا ان اقل الانهزامات كافية لدب اليأس في النفوس . ويقل عدد العساكر بما يهرب من الحدود أثناء الخدمة . ويصبح من الصعوبة بمكان تعبئة جنود حدد . ونظفي الحساس العسكري كما ينزل امل عزو البلاد المعادية لاخذ النذائم الحربية . عند ذلك تعمل الافكار الخرافية في اخماد النفوس . فتتسبب الانهزامات الى غضب الالهة والى عدم التوفيق اللاحق بالسلطان وبعماله . ويخضع الناس لمشيئة القدر بدون ان يقتنعوا عن السبب الطبيعي

على مصائب النازلة بهم .

الباب الثامن

بحرية الدولة العثمانية

كانت عليبولي اول مرفاً عسكرياً للعثمانيين حيث ظلت بحريتهم مدة طويلة تتألف من *deux ou trois* سفن صغيرة . وكان اليونان والطيلىان اسانذتهم في فن الملاحة كما يروى يدل على ذلك الاصطلاحات البحرية التي استعاروها من اللاتين الطليانية واليونانية . ولم تصبح قوة الدولة البحرية عظيمة الا بعد فتح الاستانة . وكان بالظه اولوسليمان باشا حينئذ رئيس الاسطول برتبة قبودان وسوالذر ساعد في احتلال هذه المدينة وذلك بان انشأ سفناً صغيرة في المكان المعروف الان بحصن الروم ايلي على البوسفور ونقلها برا ثم انزلها في المرفأ في مكان يسمى قاسم باشا . ولقد منحه السلطان مكافأة له على هذا لقب قبودان باشا مع طوعين كما منحه حكم مدينة عليبولي . ورفي بعد ~~بعض~~ بضعة اعوام الى رتبة وزير وزادت موارده بما انعم عليه السلطان من اعطيات جديدة ولا يزال يحتفظ خلفاؤه بالتش بنفس هذا الفخر وهذه الارياح .

كان الاسطول العثماني في عهد سليمان الاول يناقص اساطيل دول حنوبي اوروبية متحدة للسيطرة على البحر المتوسط وكانت مراكب الدولة تمخر في الخليجين العربي والفارسي وفي بحر الهند . ولكن بعد هذا العهد اصاب الاسطول عدمة مماثلة وذلك في خليج لبنان . ومن ذلك الحين اثر عليه ~~كثيرا~~ كما اثرت على بقية فروع الادارة الحكومية حالة الفتور التي اصاب السلطنة عندما توقف السلاطين عن حكم الدولة بانفسهم . انما نرى الاسطول في اخر القرن الماضي وكان ذلك بسعة اميري البحر الخازي حسن وكوجاهي حسين .

بتلك الاسطول حالي من واحد وعشرين سفينة كبيرة منها اربعة من ذوات الطبقات الثلاث وست " فيقات " او بارج واربع نقائر " كورفيت " وحوالي الاربعين صغلا منها ما هو مسلح بالمدافع ومنها ما هو مخصص لشرب القذائل المحرقة . وتتركز هذه العمارات في نهاية المرفأ وعلى شاطئ البساطي حيث يمكن تسليحها ويكون عمق الماء من سبعة الى ثمانية اذرع . وكان ~~في~~ في الترسانة اودار الصلابة في الايام الاخيرة حوالي لاشدا السفن وعو من صنع احد المهندسين الاسوجيين . وفي الاستانة تسع (ورشات) خمس منها في الترسانة و اثنتان في " خاص كوي " واثنتان في " اوان سراج " وهناك عدد كبير منها في شواطئ البحر الاسود مثلا في حويلر وحايي اغزي وقومجكاز " بيلتر " وقرة اغتش وفي " سينوب " . وانشئت في البحر الابيض ورش في نيكوميديا ويدر ومارمارس وتاجوز وبيلمين ويدر وكمرلر وكازدي . وهذا الورش الاخيرة هي اعظمها .

ولا يمكن لا ~~ي~~ دولتان تحصل على اسطول بتكاليف ضئيلة مثلما يمكن ان يحصل عليه الباب العالي فيما اذا عرفت كيف يستفيد من الصناعات التي حبت الطبيعة بهذا البلاد الخاضعة له . منها ما تنتج كل ما هو ضروري للاعمال البحرية . فحدايات نيكوميديا وكرداعي ويندرما تعطي خشب السفن والصفير بكثرة . ويوجد الحديد في ساماقو واينادا وقوله . ويستخرج الصمغ من نينريجون والزفت والقطران من " كازدي " . وتنتج صامسون وفهصه واوويه القنب وتصنع الشراب في البلاد التي على الدردنيل . وعلى كل مقاطعة من هذه المقاطعات ان تقدم سديا للبحرية السلطانية كمية معينة من منتوجاتها باسعار زهيدة جدا حدثت منذ القديم (١) واذا لم تكن الدولة بحاجة الى شيء من هذه الاضافات فانها تباع باسعار السوق الحالية . اما بقية اللوازم مثل الحبال والخام والبقساط (الخبز) والزيت فان ^{المتميزة بكمية} يقدم ~~من بتكليف~~ بتدعيمها باسعار قديمة وزهيدة جدا . ولهذا فانها تكون من النوع الردي . ويصل للدولة ايضا سفن كبيرة وبارج يقدمها حكام الولايات الذين يترتب عليهم انشاؤها للحكومة . الا ان بناءها يكون في الغالب غير متقن وتضطر الدولة الى اعادة النظر فيها في ترسانة الاستانة . ولكن بالرغم من هذه الاصلاحات فانها لا تكفيها كثيرا وهي لا تظهر ترددا في عدم اعطاء الحكام ثمنها او ثمنها (١) وهي ثلاثة الاف قنطار صمغ ومثلها من الزفت والقطران بسعر قرش واحد للقنطار . وستة الاف قنطار من الحديد من ساماقو بخمسة قرش القنطار . وتسعة الاف قنطار من الحديد من اينادا

على الأقل لاتدفع لهم ^{سوى} بعض ما تكلفوه .

ويوجد معملان كبيران لصنع المدافع . وفي الاستانة وعلبيولي وسالونيك معامل

لصنع البارود كما انشئ منذ سنة ١٧٠٨ في الترسانة معمل كبير للحديد لصنع المراسي .

كانتالة . اسطول الدولة دائما وذلك حتى اواخر القرن الماضي من اربعين سنة

سفينة من ذوات الستة عشر مقعدا للتجديف . يبنى معظمها على حساب مختلف المدن والحزوت تحمل

اسماءها . وكان يقود هذه السفن " بكوات " بتحدرون من اصل رفيع وهم من اصحاب الطوعين

ويكون التعمين مدد الحياة ووراثا ايما . اما عمل الباب العالي استعمال مثل هذه السفن

وذلك في عدد السلاطين مصطفى الثالث وعبد الحميد الاول ولم يحتفظ بغير سفينة امير البحر

المسماة " باشرده " وهي كبيرة الزينة وتشتمل في بعض الاحتفالات .

ان كبار موظفي البحرية الذين ياتوا بعد القبودان باشا امير البحر عم القبودان

والباترونا والريالا الذي سكن من ناحية الرتبة مقارنة الاول بالاميرال والثاني بنائب الاميرال

والثالث بالكونتراسرال . واطلقت منذ عهد محمد الثاني هذه الاسماء على اثنائه سفن كبيرة

واصبحت القابا للذين يقودونها . وانلق على سفينة سفينة رابعة عام ١٧٦٤ سفينة الباشا (

وهي مخصصة لامير البحر . وعلبدا ثلاثة مصاييح في المؤخرة ومصباح على الصاري الكبير وراية طويلة

فوق العلم وعلى نغر الصار . وتكون هذه الراية تحت العلم في سفينة القبودان وعلى الصاري

الامامي في سفينة الباترونا وعلى الصاري الخلفي في سفينة " الرايالا " وهناك نوعان من

الاعلام الواحد اخضر يمثل سيفا بحددين " ذوالفقار " والثاني احمر عليه رسم هلال ونجمة (١)

اما علم امير البحر فانه عدا ذلك يحمل رمز السلطان " الطنيرة " . وتسمى السفن الاربع

السفن ذال العلم (منحق كملر) لتمييزها عن بقية المراكب الكبيرة (التايي كملر) .

وتخرج في كل سنة من الاستانة عمار يقودها امير البحر متجهة الى البحر الايسر .

والسلطان يازيد الثاني عو الذي امر سنة ١٥٠٢ بخروج مثل هذه الدوريات وذلك لحماية

بارار وشواطي . الممتلكات الاوروبية ضد العمارات الاجنبية ومدد كبير من القراصنة الذين يغيرون

باربعة قروش القنطار . وستة الاف قنطار من القني بستة قروش القنطار . واثنى عشرة قطعة من الشرع

كل قطعه بطول سبعة اذرع ونصف بست واربعين بارة .

(١) ولا يرى الهلال فيما عدا ذلك الاعلى راس الماذن وفي منتهى بعض ابنية الدولة وعلى الكوكبا التي في راس عصا العلم .

عليها .

وفي مطلع القرن السابع عشر اخذت عمارة ثابته تجوب البحر الاسود للقضاء على اعمال رجال القوزاق الذين كانوا يعيشون قداما على شواطئهم وقد تجروا عام ١٦٢٤ الى التقدم بقواربهم حتى منتصف ابوسفور . اما الان فخرج الاسطول ليس له من عدد سوى جباية الجزية من حزر الارخبيل وحمل امير البحر قادرا على اجرا سيعرته العليا على ممتلكات الدولة البحرية .

اما رجال الاسطول فانهم موزعون من جنود بحرية لوند وطويحية ونوتية ومن بحارة اكثر اختيارا مخصصون لتسيير السفن . وهم يجندون لمدة ستة او سبعة اشهر ويتناول الجميع بلا تمييز ستة واربعين قرشا كراتب لكنهم ياخذون نصف المبلغ سلفا والباقي في منتصف شهر اب وهو نظام قديم تشنت عليه الدولة . ويجرى تسجيل اسماء الجنود وفي القسم الاول من راتبهم باحتفال في قاعة مجلس امارة البحر بحضور القبودان باشا والد فتردار الثاني ومفتش معين من قبل الباب العالي وعدد كبير من موظفي دائرتي المالية والبحرية .

ويوجد في سفينة امير البحر ستون ضابطا وفي بقية السفن عدد من الضباط مناسب لحجمها . ورئيسهم هو " الصواري قبوداني " يامر على ثلاثة من الملازمين يسمى الواحد منهم " ملازم قبودان " ولكل سفينة عشرون رئيسا يقومون بتسييرها ولهم الاشراف على الشراع والالات . كما انه يوحد رئيس للمنابر الذخيرة يسمى " يلكنجي " ورئيس على الجنود البحرية يدعى " فليين اغاسي " وله نائبان يطلق عليهما اسم " اوغده باشي " . اما النوتية فانهم تحت امرة " باش سداوش " يكون له ستة ضباط " فليين سداوش " يكون ثلاثة منهم في مقدمة السفينة وثلاثة في المؤخرة . بمسكين عصا بايديهم ويراقبون سير السفينة . ويقوم على حراسة السلم اربعة من الجنود *Guardes* بحرسون في كل ليلة العبيد في اسفل المركب . كما يوحد ايضا امام وموثن و " دومنحي باشي " اي قائد الدفة يساعد ستة من الرجال و " عنبرجي باشي " نائب رئيس المنابر ومعه عشرون حارسا للمنابر . و " جبخانجي باشي " يساعد اثنين من الوكلاء و " طويجي باشي " مع ستة ضباط للمدفعية . واربعة من رؤساء النوتية . " ورئيسان فلوكة " واحد لقيادة صندوق القبودان باشا والثاني لصندوق الصواري قبوداني " يساعدهما ثلاثة ضباط ، واخيرا " الصندوق الرئيسي " رئيس السفينة المسماة صندوق . اما البحارة فانهم يتالفون

من مثلي بحري وأربع مئة نوتي وطبجي وخمسين "فلوكه جي" أو جذاف وخمسين من العبيد .
ويتناول هؤلاء العبيد بعدان يكونوا قد عملوا في غزوة واحدة ستة وأربعين سارة في اليوم وكمية من
الطعام مثل بقية البحارة .

متقدم الدولة لكل رجل من رجال البحرية وطلعة مدة الحملة ^{كيلوين} من ~~الأرز~~ ^{من الأرز} ~~ومثلها~~ ^{ومثلها} من العدس وثلاث اقات من الزيت كما تقدم لكل منهم اثنين ونصف من الخبز عن كل خمسة أيام .
وينقسم البحارة في السفينة الى بلكات "مادكا" بحسب بلدان لكل مدفع . ولكل مادكا طباط ووكيل يدعى
"مادكا باشي" . وحين عادة في هذا النصب اكبرهم سنا يقوم بتأمين كل ما يلزم رجاله من ادوات
وموئ . ويترتب عليه الا يقدم لهم اللحم الامرة كل اسبوعين . والأرز مرتين في الاسبوع . وهو يأخذ
من اجل ذلك من القبودان ^{مئتين} قرش من اصل مرتبات البحرية وهو يعطي ياناما بالبائع التي صرفها
عندما ترحل العمارة الى الاستانة . وعندئذ يبيع القبودان بالمزاد العلني وعلى نفس السفينة ادوات
كل مادكا على حدة كما يبيع مازاد عنها من المؤونة ثم يفرق الثمن على رجالها .
ويتناول انقواد الذين في الخدمة الف قرش للحملة السنوية . اما راتب القبودانية
الذين ليسوا في الخدمة فيكون قليلا فقط في اليوم . الا ان كل واحد منهم يتناول راتب ثلاثة
من البحرية فيأخذ عن كل واحد ستة وأربعين قرشا وهذا الراتب يعتبر مخصص لاولادهم .
وللقبودانا راتب محدود يقدر بأربعة الاف وخمس مئة قرش . واللباترونا ثلاثة الاف وخمس مئة
ويتناول كل واحد منهم راتب عشرة الاف بحري . عدا ذلك فانهم يربحون بمراج عظيمة من مرتبات
عساكر بحريتهم . فالاول يتناول مرتبات من اجل الف رجل والثاني من اجل ثمان مئة والثالث من
اجل سبع مئة . اما عدد بحرية بقية السفن فانه يحدد كل مرة من قبل امير البحر . الا انه لا يكون
ثامالبدأ فيتناول قواد السفن مرتبات وطعام الرجال الذين يختصون . وفي الحقيقة فانه لا يحصل
استعراة البحرية الا قرب الدردنيل عند ذهاب العمارة بوقت رجوعها . انما يعرف الرؤوسا كيف
يختصون . يتجنبون تأثير هذه المراقبة وذلك اما بالاتفاق مع المراقبين او بتقديم بحرين مجندين
موقتا . وهم يتمتعون بمراج اخرى مباحة لهم . وهي انه يحق لهم ان يقبلوا في سفنهم ركابا من
ذوة المكثة . ويحفظ ^{الحكام} ^{الولايات} ^{الذين} ينقلهم الباب العالي كثيرا من هذه العملية يدفعون
عادة اجرة سفرهم القوي قرش يرتفعونها بغزوة من جلد السمور . عدا ذلك فان ضباط البحرية

الذين ترسلهم الدولة في ماموريات الى البلاد التي على الشواطئ، يحدون بسدولة الوسائل لزيادة ثروتهم .

ولامير البحر سلطة تقريبا مطلقة في دائرته كما في الامكة التي يرفيها باسطوله . ولهذ فانه يدعى سلطان البحر . ويرافقه في تنقلاته قائد يصدر بحضور امير البحر احكامه في الشؤون المدنية والحزائية كما يرافقه ترجمان من اصل يوناني يقوم بشرح التفاصيل الدقيقة للاصوام المتعلقة بجزر الارخبيل . ويسافر معه في سفينة الخاصة اربع مئة شخص تقريبا من حاشيته : من موظفين وعلماء وخدم .

وتتزع الاسلحة عن العمارة عندما ترحل الى الاستانة في اواخر فصل الخريف . ويرجع البحارة عدا عدد ضئيل من النوتية ورجال المدفعية ولهؤلاء الاخيرين شكة قرب الترسانة . الا انه من المعتاد ان تقوم ثلاث او اربع سفن في متابعه طرعاها مدة الشتاء في البحر الابيض حتى شواطئ مصر والشام . ويحق للقبودانية نقل البضائع بسفنهم من مكان الى اخر مما يجلب لهم مبالغ كبيرة . ويحظى امير الاسطول بمقابلة السلطان مقابل فخمة في الليلة السابقة لذهابه الى الارخبيل ويكون ذلك في "بالي كمان" الكائن في السراي على ضفاف البوسفور . ويضحه السلطان بهذه المناسبة كمسا فيه الف سيكان او قندقلي (٢٨٩٠) قرشا كمصاريف ادوية . وجرى السلاطين على هذه العادة منذ عهد السلطان مراد الثالث الذي منح مثل هذه الاعصية لاحد امراء الاسطول . ويحظى القبودان باثنا بمقابلة السلطان مرة اخرى حين رجوعه الى العاصمة في نفس المكان ويند الاحتفال .

ولا يعين ابدا الاُمير البحر راتب محدد ولكنه يتمتع بموارد عظيمة . فانه يؤجر ثلاث والثلاثين جزيرة صغير التي تمنح له في الارخبيل لعدد مماثل من الحكام . (ثويشود) بقيمة ثلاث مئة الف قرش تقريبا في السنة وعو لا يعطي الدولة منها غير خمسة وثمانين الف قرش كما انه يتناول من كل قبودان في الخدمة ضريبة من المال . فيأخذ اربعة الاف قرش من القبودانا وثلاثة الاف من الباترونا والغبين وخمسمئة من الريالا . " ويأخذ من القواد العاديين الفا وخمسمئة وبما ان للقبودانية الذين يقومون بالصواف مدة الشتاء مبالغ اكثر من غيرهم فانهم يدفعون له ستة الاف او ثمانية الاف واجيانا عشرة الاف قرش . ويدفع لكل من موظفي اماره البحر المدنيين الذين هم تحت امرائه بين الف والفي قرش . ويتناول من كل مدينة بحرية خاضعة لحكمه مبلغا

معيشا تحت اسم " جمعية " . هذه هي موارد الرسمية وبالسجل عليه ان يزيد عما كبيرا جدا فيما لو اراد ان يسي استعمال سلطته .

ولكنه مضطرا ايضا ان يقوم بنفقات كبيرة . فان علوم مركزه يتطلب ان تكون حاضيته

مؤلفة من خمس مئة الى ست مئة شخص . ويترتب عليه ان يقدم في عيدي الفطر والاضحى مدايا شينة للسلطان ولوالدته ولنسائه ولكبار موظفي البلاط . وعليه ان يفعل نفس الشيء في كل مرة يرجع بها من جولاته البحرية . ويتناول منه الموظف الذي ياتي به بامر السلطان للرجوع الى الاستانة (١٢٥٠٠) قرش وفروة من جلد السمور وجوادا مجهزا . وتكلفه المقابلة مع اللتان يسمح له بهما السلطان في كل سنة (٢٠٠٠٠) قرش يدفعها بحريته عند الاخير تحت اسم " ثمن اثاث القصر " و " شحنة بها " ومن هنا ياتي اسم الكسك الذي يقابله السلطان فيه .

يرتدى امير الاسطول ملابس الباشاوات من اصحاب الطواغ الثلاثة . وعندما يكون امرا البحر الثلاثة بملابسهم الرسمية يضعون على راسهم عمة صغيرة وثيابا مزينة بالقرا . بينما تكون ثياب القبودانية من الجوخ وبدون قرا . ويتميز امراء البحرا ايضا بعصي الامارة التي يحملونها فتكون خضراء للقبودا نا وزرقاء للبقية . ورئيس العرفا ايضا الذي يتمتع ^{بميزته} ~~بميزته~~ . ولهذا السبب يدعو الرواء الاربعة الاولون باصحاب العصي " صاحب دينق " .

ان العثمانيين غير متقدمين كثيرا في علم الملاحة . واذا وجد بين عساكرهم البحرية ~~شيئا~~ سباط ماهرة توصلوا الى ذلك بعد اختبار طويل فانه يوجد غيرهم يجهلون حتى المبادئ الأولية من مهنتهم . وترتكب الدولة عنانغ الخطا الذي ارتكبه نحو الجيوش البرية . وهي في ان المحسوبة وحدها هي التي تقرر امر انتخاب امير البحر الذي يؤخذ عادة من بين مولفي البلاط ويكون لا يغقه شيئا من امور البحر . ولا يحصل اهتمام ايضا عند تخزين البحارة وذلك في ان يحصل لتقاولهم من بين الذين يحسنون الخدمة . ان يجري قبول كل من يتقدم . اما من جهة العساكر البحرية (لوند) فانه يحكي لقبولهم ، وذلك حريا على انظمة قديمة ، ان يكونوا مسلحين ببندقية وسيف او من حرية ومسدسين .

وامير موظفي اماره البحر ^{البحريه} عثم

(١) - الترسانة اميني وعمو يدير بناء واصلاح وتسليح السفن وله الاشراف على المستودعات

المعبنة لمصلحة الإبحار البحرية . وهو يتناول عشرة بالمئة من الأموال التي تخرج من الصندوق الذي هو مدره . وعند عياب أمير الاسطول يقوم هو مقامه . وهو يؤخذ عادة من بين كبار الخوجرات . (١) .

(٢) " القليون لر كائب " رئيس مكاتب البحرية التي ~~تتم~~ ^{التي} ~~تتم~~ ^{تتم} بالأعمال وهي :
 (١) تجنيد عساكر البحرية (٢) دفع مرتباتهم (٣) تأمين المؤن للسفر (٤) تأمين الذخيرة
 (٥) تأمين الخشب لمسح المراكب (٦) دفع مرتبات العمال (٧) تأمين اعانة العبيد الذين هم في خدمة اماره البحر .

ويعطى عادة هذا المنصب الكثير الرج لا حد قدما . موظفي غرفة السلطان .

(٢) - " العنبرلر اميني " اى وكيل العنابر

(٤) - " العنبرلر ناظر " اى ناظر العنابر

(٥) - " الترسانة رئيس " رقيب السجلات المخصصة للاقطاعات العسكرية " الزعامة والديمار " الواقعة في الولايات البحرية التي هي تحت حكم أمير البحر . ^{التي هي بالادارة البحر} " العنبرلر اميني " فهو له الدفء رئيس

(٦) " لور الترسانة كخبة " وكيل السفن الحربية ويقوم بشؤون رجال حرس البحرية وعدد من ست مئة وخمسون . يمين منهم كل ليلة مئة رجل للحراسة على طول رصيف الترسانة . كما يكون هم هناك دائما ثلاثة في كل سفينة راسية في المرفأ يقومون بحراستها .

(٨) - " السري اميني " يقوم بدفع مرتبات الجنود والعمال .

وتعين اماره الاسطول في خدمتها عشرة من البنائين المسلمين ويكون لرئيسهم ذراع يقف فيهم وهم من خالص الفضة كاشارة مميزة له وعو يامر على عشرين بناء يونانيا يساعدونه في العمل . ولكن كلا الفريقين على جهل بالعلوم الرياضية ولا يحكمهم حتى وضع تصميم بناء سفينة . وهم ليسوا في الواقع سوى ^{الذين} ماهر النجارين يديرون اعمال اربع مئة نجار من المسلمين والمسيحيين . واذا كان للباب العالي الان اسطول قوي فانه من صنع مهندسين اسوجيين وفرنسيين وراحي للهمة التي ابداهها أمير البحر كوكو كوجواك حسين دائما في تسيير شؤون ادارته .

ويوجد دائما تحت تصرف اماره البحر عدد كبير ^{الذين} يقسمون الى قسمين : " الباي زند " اي المحكومين بالاشغال الشاقة حيث تقيد ارجلهم بالسلاسل . والاسرى الذين يؤخذون وقت الحروب او من سفن الادعاء . ويقوم الاخيرة بالعمل في الاسطول حيث ينتفع منهم جدا في

(١) وقد أطلق لهذا الإختصاص ١٨٠٥ لقب " ترسانة دندري " مع صلاحات اوسع كاعتبه كرسى في الادارة بينه الدندريه الثاني والثالث . وهو هذا المنصب اولا لمسيح علي اقتديه سفير الباب العالي اليه في يد يس .

في تسيير السفن . الا ان عملهم في المراكب الحربية لم يكن دائما يتم بدون حصول اغرار .
وذلك انه جرى سنة ١٦٦٠ تمليح عمارة لتدعب وتقضي على اعمال قرصنة القوزاق في بحر
الاسود . وقد اقام قبودانية احدى البوارج الراسية في مياه البوسفور حفلة طعام قبل اذلاعه
لعدد من موظفي امانة البحر . واعتنم الاسرى المسيحيون الذين يشتغلون في السفينة القوضى
القائمة من جراء هذه الحفلة فقتلوا تقريبا كل البحارة واوثقوا الضباط ونصبوا الشراع واتجهوا نحو
نحو البحر الابيض . وبعد هذا لم يسمع الباب العالي شيئا قط عن هذه البارجة . ولقد جرى
مثل هذا الحادث سنة ١٧٦٠ في عهد السلطان مصطفى الثالث في الجولة العادية التي كان
يقوم بها الاسطول في البحر الابيض اذ بينما كان الضباط يقومون بصلاة الجمعة في جزيرة *Stavros*
ستانفرو اعتنم العبيد الاوروبيون الذين هم في سفينة نائب امير البحر الفرصة وقتلوا البحارة
المسلمين وقطعوا الحبال وهربوا . ووصلوا الى جزيرة مالطة بعد ان تمكنوا من الافلات من بقية
السفن التي لاحقتهم . وقد اضطر الباب العالي ان يستعين بما لبلاط فرنسا من نفوذ لدى
اولي الامر في مالطة كي يستعيد هذه السفينة التي رجعت الى الاستانة بعد اربعة عشر شهرا
وعلى ظهرها اسرى من المسلمين بدلا من العبيد المسيحيين .

الباب التاسع

علاقات البلاط العثماني مع الدول الاجنبية

تتألف الامبراطورية العثمانية من بلاد فتحت حربا . لقد اقبل الى اسيا الصغرى زعيم قبيلة تركية مؤلفة من اربع مئة واربعين عائلة هاجرت من العجم غربا من جيش جنكيز خان وحصل عام ١٢٣١ على اذن من سلطان قونية السلجوقي للإقامة قرب انقرة . وهاجم هذا الزعيم المسمى ارطغرل سكان Brithyine بصورة دائمة حيث قام بعدة فتوحات . وخلفه ابنه عثمان في حكم مقاطعة سنكجيان واصبح مستقلا مثل بقية حكام الولايات بعد سقوط عرش سلاجقة اسيا الصغرى واتخذ سنة ١٣٠٠ لقب سلطان . وقام السلطان عثمان وخلفاؤه الثلاثة من بعده بشن حروب موفقة على البنزطيين من جهة وعلى الدولات التي قامت على انقاض مملكة السلاجقة من جهة ثانية . واكسحوها كلها عدا قرمانيا التي لم تسقط الا امام جيش السلطان محمد الثاني ~~الملك~~ ^{وقد} اتبعها بتقويض الامبراطورية البنزطية واصبحت بيزانس عاصمة الولايات العثمانية التي ضم اليها السلطان سليم الاول بعد نصف قرن بلاد الشام ومصر والحجاز . ومن حينذاك لم يبق لامبراطورية عثمان من دول مجاورة في اسيا غير مملكة العجم . وقد تشبت بينهم الحروب عديدة ظلت مدة قوتين يشعلها نار الطمع ومتابعة بحمية العصبية الدينية . ومشيئة الى المنافسة القائمة بين هاتين الدولتين المجاورتين . واخيرا تمكن العثمانيون بفضل جهود جيوشهم من الاستيلاء على بلاد بابل والعراق وسيسيليا وكردستان وغي ولايات كانت اتقاء تعاقب هذه الحروب الدموية تؤخذ وتسترد مرات كثيرة . الا ان الحق السياسي القائم بين هاتين الدولتين الاسلاميتين اخذ يخف في القرن الماضي بسبب سقوط عرش الصفويين وما قام على اثر هذه النكبة من فتن انهكت بلاد العجم .

ان المعاهدات التي كانت تنهي الحروب بين العثمانيين والعجم كانت تعقد دائما على اساس منح الحرية الدينية للمسيحيين الموحودين في العجم ومثلها للشيعيين العجم الموجدون في مكة والمدينة وفي المساجد التي فيها قبر الائمة العلويين التي في بغداد . وبعد هذه

البند الرئيسية يأتي البحث في الشؤون السياسية وفي الاحيان التي كان العثمانيون هم الذين يفرسون الصلح على العجم كانوا يطلبون عدية سنوية مؤلفة من مئة وخمسين او مئتين حمل من الحرير وغير ذلك من منتجات العجم .

ان فتوحات العثمانيين في اوربا جعلتهم منذ اول عهد الدولة على اتصال مع الدول المسيحية الواقعة على نهر الدانوب . فالتى كانوا يسيطرون عليها كانت اما ان تضم الى السلطنة او تحتفظ بملوكها وتدفع حزية سنوية . عدا ذلك فانه كان يترتب في الغالب على هذه الدول ان تدفع مالاكي تحصل على الصلح من العثمانيين . ان مثل هذه الضرائب المفروضة على غير المسلمين بامر بدها الشرع الاسلامي وعي ناحية دينية تعشى عليها العثمانيون بكل دقة .

وكانت تراقيا والصرب والبوسنة وبلغاريا والبلجيريا واسكلافونيا وكل البلاد الكائنة ما قبل نهر الدانوب ومن بعدها الامبراطورية البزنطية ، كانت كلها تدفع الحزية حتى زمن ضمها الى الولايات العثمانية . اول حربية مالية فرضت على بلاد الصرب سنة ١٣٧٥ كانت تتألف من خمسين اقة من خالص الفضة وقد تضاعفت سنة ١٤٢٨ ووصلت الى ثلاثين الف ذهب (دوقه) سنة ١٤٥٤ . وفي عام ١٣٩٦ فرضت على امبراطورهم عمانوئيل الثاني دفع حزية مؤلفة من عشرة الاف ذهب واخذ هذا المبلغ يزداد في عهد كل سلطان جديد الى زمن فتح القسطنطينية .

واول حزية دفعتها الافلاق سنة ١٣٩٠ في عهد ميرزا الاول كانت تتألف من ثلاثة الاف ذهب وثلاثين فرسفة وعشرين بازا . وتضاعفت منذ السنة التالية . ولم يغفر عن البنادان في بادو ، الامر في عهد Voyvode Bogdan سوى دفع اربعة الاف ذهب واربعين قرشاً واربعة وعشرين بازا . وعدا هذه الضرائب كانت تزداد دائما مع الزمن فانه كان يترتب على كل Voyvode ان يقدم الهدايا الثمينة لوزراء البلاط العثماني . وكان يتناول الصدر الاعظم خمسين او ستين الف ذهب . وقد طلب الصدر الاعظم رستم باشا في عهد السلطان سليمان الاول مئة الف وكتبون ممن خلفه زادوا ايضا مطالبهم الى اكثر من ذلك .

وقد تعدد حنا زابولسكي سنة ١٥٢٦ وهو اول امير على ترانسلفانيا وخاضع لسليمان الاول بدفع حزية سنوية مؤلفة من ثلاثين الف ذهب . وقد توصل ايتيان زابولسكي عام ١٥٤١ الى جعلها عشرة الاف الا انها حددت زمن سليم الثاني بخمسة عشر الفا وزيدت الى الاربعين الفا عندما

انتخب Emérie Tokéli ملكا على المجر سنة ١٦٨٢ .

وبدأت جمهورية البندقية سنة ١٤٠٨ بدفع الف وست مئة ذهب . وقد تعهدت عام ١٤٧٩ بدفع عشرة الاف . ولم تتمكن من الحصول على سلع من سليمان الاول سنة ١٥٤٠ الا بعد ان قبلت ضريبة ثلاث مئة الف ذهب تدفعها على ثلاث سنوات . وقد اضطرت ايضا سنة ١٥٧٣ بعد ان خسر حزره فيرهر الى دفع مئة الف ذهب للسلطان سليم الثاني .

وبمعاهدة عقدت سنة ١٥٤٤ تعهد الارشيدوق فرديناند ملك الرومانيين بدفع حزره سنوية للسلطان عن بلاد المجر وقدرها ثلاثون الف ذهب وعليه عدا ذلك ان يدفع اربعة الاف للصدر الاعظم مع ارسال عدايا له ولبقية اعضاء الديوان . اما ملوك روسيا فانهم لم يدفعوا مالا الا للذخائر القرم . ولكي يحصل القيصر ايفان الرابع على الصلح من " دولت كراي خان الاول " سنة ١٥٧١ تعهد له بدفع جزية سنوية قدرها ستون الف روبل .

وكان ذخائر القرم بدورهم خاضعين للسلاطين العثمانيين . وكلوا يحصلون على امر تصيبهم بخلعه بمنحها السلطان مصنوعة من القطيفة الخضراء ومزينة بفراء من جلد السمور ومحللة بتسعة صفوف من المشايخ مصنوعة من الحجارة الكريمة ، ويكون مع هذه الخلع (سيف وخنجر ومنطقة مرصعة بالحجارة الثينة وقوس عليه صفائح من الذهب وجعبة مزركمة بل لالائي . وقلنسوة (قليب) من القطيفة الخضراء مصنوعة اطرافها من فرو السمور ومزينة بوسامين من الماس . وقد رفض الخانات الاولون ان ياخذوا اي راية او طبل او طوغ من السلاطين العثمانيين وهي الشارات العادية للإمارة عند التتو . وقد لقي السلطان سليم الاول صعوبة كبيرة لاقتناع " سعادة كراي خان الاول " لكي ياخذ منه عام ١٥١٨ راية سلطانية وراتب الف بارة في اليوم . وتقول التواريخ بان السلطان اراد تحقيق ذلك كي يؤكد للتتر خضوع هؤلاء الخانات للسلاطين العثمانيين . الا انه لم يذكر اسم السلطان قبل اسم الخان في الخطبة الا سنة ١٥٨٧ عندما قام بذلك " اسلام كراي خان الثاني " نحو مراد الثالث .

ان شارات التولية لامراء الاقلاق والبغدان كانت خلع من الجوخ الاحمر مزينة بفراء السمور ، وراية ، وطوغين مع قلنسوة (كوكا) مزركمة بالذهب شبيهة بقلنسوة قواد الانكشارية . وهي ميزة منحها السلطان بايزيد الثاني سنة ١٤٩٧ لبغدان امير البغدان مكافاة له على البسالة التي

ابداها في الحرب ضد البولونيين . اما الأمراء الحاليون فبالرغم من انهم حكام عادليون يحملون لقب Voyvode ، و بان فانهم يتمتعون بهذه الميزات نفسها .

ولاحظ في التاريخ ان امراء ترانسلفانيا الذين كانوا خاضعين للباب العالي ومطلوبون لقب ملوك المجر مثل حنا زابولسكي و Etienne Boschari و Bethléem - Ghabor و Emeric - Tekeli الخ . . . كانوا يستلمون امر تنصيبهم بخلعة^١ الديباج وتاج ذهبي وسيف مرصع بالحجارة الكريمة وراية وطني وحواد مجهز باثمن عدة .

وكان يفتح في السابق أيضا لامراء جورجيا ولأعستان خلعة سنوية مع نبوت (دبوس) من الذهب وراية وظوف . ونفس هذه الشارات كانت تمنح لامراء القوزاق (*Hatmanus*) مرفوقة بقلنسوة من القطيفة اطرافها من فرو السمور . وكانت تمنح لهم الدولة في بعض الأحيان مع هذه الشارات سيفًا ووسامًا مرصعين بالحجارة الكريمة .

لم يكن للاشماليين قبل فتح القسطنطينية المعارك وقتية من جيرانهم الدول الأوروبية
 وكانوا يقومون في غالب الدورات بهجمات على ارانيهم وكانوا ينافون من الارتباط بمعاهدات مع الكفار .
 وبعد سقوط الامبراطورية البيزنطية كان البندقيون هم اول من ارتبط بمعاهدات صداقة مع المستعمرين .
 فمنذ السنة التالية لفتح القسطنطينية ارسل مجلس نيخ جمهورية البندقية سفيرا لها لدى السلطان
 محمد الثاني يدعى Bartholomai Marcello الذي حصل على معاهدة تؤمن بموجبها حرية
 التجارة والملاحة لرعايا الدولتين . واتفقت الحكومتان على ان لا تقدم الواحدة منهما اي مساعدة
 او حماية لاعداء الحكومة الثانية وقبل السلطان ان يقم سفير الجمهورية البندقية Braghe في القسطنطينية .

والمطرح مجلس شيخ الجمهورية علوان حرب خاسرة ضد نفس السلطان ان يتعهد بالتخلي عن اسكدار و Croya ويدفع مئة الف زعب كعويظن ويدفع حرية سنوية قدرها عشرة الاف زعب .

وقد انتصرت جيوشها على جيوش السلطان سليمان الاول الا انها لم تستفد من هذا الانتصار اذ لم يتوصل مفاوضها Louis Barlaam للحصول على الصلح سنة ١٥٤٠ الا بشرط التخلي عن الاربع عشرة جزيرة التي في الارخبيل والتي هي في ذلك الوقت تحت سلطة الدولة وبالتخلي عن جزيرتي Malvoisie و Naples الرومانيتين .

الانها حصلت لبعارها : الى

ابداها في الحرب ضد البولونيين . اما الامراء الحاليون فبالرغم من انهم حكام عاديون يحملون لقب *voivode* اوبان فانهم يتمتعون بهذه الميزات نفسها .

ونلاحظ في التاريخ ان امراء ترانسلفانيا الذين كانوا خاضعين للباب العالي يحملون لقب ملوك المجر مثل حنا زابولسكي و *Etienne Boschari* و *Bethléem Ghabor* و *Eméric Tekéli* الخ ... كلو يستلمون امر تنصيبهم بخلاعة الديباج وتاج ذهبي وسيف مرصع بالحجارة الكريمة وراية وطوغ وجواد مجهز بانمن عدة .

وكان يمنح في السابق ايضا لامراء جورجيا وكنغستان خلعة سنية مع نبوت (دبوس) من الذهب وراية وطوغ . ونفس هذه الشارات كانت تمنح لامراء القوزاق (*Hatmans*) مرفوقة بقلنسوة من القطيفة اطرافها من فرو السمور . وكانت تمنح لهم الدولة في بعض الاحيان مع هذه التدارات سيفاً ووساماً مرصعين بالحجارة الكريمة .

لم يكن للاعتمانيين قبل فتح القسطنطينية العلاقات وقتية مع جيرانهم الدول الاوروبية وكلوا يقومون في غالب الاوقات بهجمات على اراضيهم وكنسوا رانفون من الارتباط بمعاهدات مع الكفار . وبعد سقوط الامبراطورية البيزنطية كان البندقيون هم اول من ارتبط بمعاهدات صداقة مع المنتصرين . فمنذ السنة التالية لفتح القسطنطينية ارسل مجلس شيوخ جمهورية البندقية سفيرا لها لدى السلطان محمد الثاني يدعى *Bonithélemi Marcello* الذي حصل على معاهدة تومن بموجبها حرية التجارة والملاحة لرعايا الدولتين . واتفقت الحكومتان على ان لا تقدم الواحدة منهما اى مساعدة او حماية لاعداء الحكومة الثانية وقبل السلطان ان يقم سفير الجمهورية البندقية *Baile* في القسطنطينية .

وانظر مجلس شيوخ الجمهورية على اثر حرب خامسة ضد نفس السلطان ان يتعهد بالتخلي عن اسكدار و *Proya* ويدفع مئة الف ذهب كعوض ويدفع حزمة سنوية قدرها عشرة الاف ذهب .

وقد انتصرت جيوشها على جيوش السلطان سليمان الاول الا انها لم تستفد من هذا الانتصار اذ لم يتوصل مفاوضها *Louis Bardouet* للحصول على الصلح سنة ١٥٤٠ الا بشرط التخلي عن الاربع عشرة جزيرة التي في الارخبيل والتي هي في ذلك الوقت تحت سلطة الدولة وبالتخلي عن جزيرتي *Malvoisie* و *Naples* الرومانييتين .

الا انها حصلت لرعاياها في الشرق على فوائد عديدة مثل (١) التامين الممنوح للرعايا

البندقية بعدم ملاحقتهم في المسائل الجنائية وامر الدين (٢) عدم السماح للقضاة العثمانيين من الحكم في الدعاوى القائمة ضد الرعايا البندقيين بدون حضور مترجم من ملتهم (٣) لغفا البندقية الذين لا يقطنون الولايات العثمانية من دفع الجزية (٤) تسليم المجرمين بين الدولتين (٥) تسليم الساجين المسيحيين الهاربين باستثناء الذين اعتنقوا منهم الديانة الاسلامية انما يدفع لجمهورية البندقية مبلغ الف بارة عن كل شخص (٦) انزال العقاب الصارم بكل من يحاول ان ياخذ اسرى في البحر او البر من رعايا الفريق الثاني والتعهد بارجاعهم او بفتح حرية الذين اعتنقوا منهم الديانة الاسلامية (٧) التأمين التام لكل مركب يخضع على الشاطي* وللبحائع المشحونة فيه ولبحارته وركابه . واخيرا تراء الحرية للجمهورية في تعيين سفير جديد لها كل ثلاث سنوات لدى الباب العالي .

وفي معاهدة الصلح المعقودة سنة ١٥٧٣ تخلت البندقية عن حقوقها في جزيرة قبرص التي فتحها العثمانيون كما ارجعت لهم مدينة *Sapota* على شاطي* البانيا ثم بعد ذلك سببت مسألة الاستيلاء على جزيرة كانديا حرا شديدة بين الدولتين . وبعد محاولات دموية دامت خمسا وعشرين سنة عقدت الهدنة سنة ١٦٦٩ في معسكر الصدر الاعظم كوبرللي زاده احمد بلدا تحت اسوار مدينة كانديا التي كان يحكمها الجنرال فرنسيسكو موروسيني . وكانت اهم الشروط هي : (١) التخلي عن حصن كانديا للعثمانيين (٢) التعهد بسلامة المراكب العثمانية في البحر الابيض ودفع تعويض للرعايا العثمانيين عن كل سفينة تؤخذ منهم (٣) ارسال بعثة فوق العادة للاستانة مع عدايا .

وقد اشتركت البندقية عام ١٦٨٤ بالاتحاد الذي حصل في السنة الفائتة ما بين النمسا وبولونيا ضد العثمانيين . وهذه الحرب التي اشتركت فيها روسيا سنة ١٦٩٥ انتهت سنة ١٦٩٩ بمعاهدة كرلوفيتز التي دلت على انحطاط عظمة العثمانيين . وقد املت الدول الاربع المتحالفة شروطاً وجد السلطان مصطفى الثاني نفسه مضطرا لقبولها . وفي معاهدته مع البندقية اشترط الباب العالي على هدنة تدوم ثلاثين سنة وتخلي للجمهورية عن المور *حتى* *Navilion* وعلى جزر *Erugie* ، *St. Maurice* ، *Leucade* ، *Zante* مع مدن كبيرة من مدن دالماسيا . الا انه يترتب على الجمهورية ان تسحب قواتها من *Lépaunte* وان تعدم *Castel Novo* ، *Prévérja* بنفس الوقت منح الباب العالي الامان العام لكل الرعايا المسيحيين الذين اظهروا في هذه

الحرب خيانتهم للدولة او غير ذلك من الحذايات السياسية .

وقد احتفظت جمهورية البندقية في معاهدات الصلح المنعقدة في باساروفيتز سنة ١٧١٨ بكل ماغنمته في بلاد البوسنة ودلماسيا والبانيا . وحصلت على تخفيف الضرائب الحمركية في الولايات العثمانية وجعلها ثلاثة بالمئة . كما انه يجب على الباب العالي ان يامر المقاطعات الافريقية الثلاث : سراكن وتونس ومقاطعة *Sulcinje* في الجبل الاسود باحترام الراية البندقية . وبما انه حصلت مفاوضات عن القاعدة *Minle* في الدولة ظلت محتلة الموره التي فتحها ، وذلك بدون ان يشارقي المعاهدة الى انضمام هذه المقاطعة . وقد ظلت هذه المعاهدة معمول بها الى الزمن التي ابعدت فيه الجمهورية .

ان التواريخ العثمانية تلزم الصمت عن اقدم المعاهدات المعقودة بين الباب العالي وبين بولونيا . واول معاهدة ياتي ذكرها هي المعاهدة المنعقدة سنة ١٥٩٨ بين السلطان محمد الثالث وسيجيسوند الثالث . واهم المواد هي : في ان بامر الباب العالي التتر باحترام الاراضي البولونية . وتتعدد بولونيا بدورها في الانتقام باعتداءات عدالتتر وعلى سكان البغدان وان تتابع بتقديم الاعطيات التي كانت تعودت ان تمنحها لخانات القرم (١) . وان لا يامر السلطان ابدا جيشا تتريا في الاراضي البولونية . وان يسمح للخان بالسير لمساعدة بولونيا اذا طلب منه الطان ذلك ، وان يتعاضى رعايا الفيقين التجاره بحرية بعد ان يدفعوا الرسوم المفروضة . وقد جددت هذه المعاهدة سنة ١٦٠٧ في عهد السلطان احمد الاول وزيد عليها مادتان : حرية التعامل بالقروش العثمانية . ومنع التعامل بالنقود البولونية التي عليها صورة اسد في الولايات العثمانية لكيها ذات قيمة ضئيلة .

وعلى اثر بعض تهيج تعدييات حدثت في عهد هذا السلطان فلقد عقدت هذه المعاهدة سنة ١٦١٧ وقد اشترط الايدخل القوزاق ابدا الى البحر الاسود والايقيموا بفارات على البغدان او ترانسلفانيا او الافلاق وان يرسلوا في كل سنة الهدايا التي اعتاد ان يقدمها

(١) كانت هذه المنحة السنوية تتألف حسب رواية المؤرخ العثماني *Selavike* من عشرة الاف ذهب

خانات القرم .

ولقد حدد عثمان الثاني هذا العقد سنة ١٦٢١ تحت اسوار خطين^{هـ} بشرط ان تتعهد كلاً الجمهورية بارجاع هذه الغنيمة الى البندان وبايقاف اعمال قرصنة القوزاق في البحر الاسود ويدفع مبلغ اربعين الف فلوران لخان التتر .

ونشبت حرب جديدة في عهد السلطان محمد الرابع انتهت سنة ١٦٥٣ بمهادنة Cambrin تعهد بموجبها بلاط فرسوفيا بتقديم المساعدات التي يطلبها خان القرم عند الضرورة وان يدفع له سنوياً ضريبة معينة وان يسلمه رحلين من اشرف البولونيين رهينة لتأمين القيام بتعهداته .

وفي معاهدة صلح Bourghy المعقودة في غاليسيا سنة ١٦٧٢ في معسكر القائمقام قره مصطفى باشا اشترط على الجمهورية ان تدفع سنوياً للباب العالي كمدية مبلغ اثنين وعشرين الف فندقلي (سيكان) : وان تمتنع عن تقديم هذا المبلغ^٣ السنة التي يقوم فيها العشاق او التتر او القوزاق باتلافات في الاراضي البولونية بدون ان يقدم الباب العالي ارعوض عن ذلك . وان تضم بودوليا الى الدولة العثمانية واوكرانيا الى القوزاق وان تحترم الجمهورية تعهداتها نحو خانات القرم . وان يسير خان القرم لمساعدة طان بولونيا اذا كان هذا في حرب غير موقعة مع احدى الدول المجاورة .

ولقد سبب عدم اجراء هذه المعاهدة المخزية من قبل بولونيا حرباً جديدة بين الدولتين ولكن الخسائر التي مني بها العثمانيون جعلتهم يعدلون عن اخذ الجزية السنوية البالغة اثنين وعشرين الف ذهب (١) ووافقوا على انحلي عن موقعي Bialozerkens و Pawletz المهمين . تلك كانت شروط الهدنة المنعقدة في Zurawno سنة ١٦٧٦ . وكانت اللجنة المفاوضة ١٦٧٦ مؤلفة من ممثلين بولونيين من جهة وخان القرم "حجي سليم كزار" والسر عسكر اوزون ابواعيم باشا من جهة اخرى .

(١) للمترجم - ذكر دوسون في الفقرة السابقة سيكان ثم قال ان هذه الفقرة ذعبا (دوقة) فهل يريد به ما نفس الشيء ؟ انما الأرجح منه ذكر ذراع خطا .

وفي سنة ١٦٨٣ تحالفت بولونيا مع النمسا ضد الباب العالي . وارجى الى بولونيا بموجب معاهدة كروفيتز التي انتهت هذه الحرب سنة ١٦٩٩ حصن Kammer مع Podolia واورانيا وكلها واقعة فيما قبل نهر الدنيبر .

ومن الظاهر ان اول معاهدة بين الباب العالي وبين النمسا عقدت في الاستانة سنة ١٥٤٤ في عهد السلطان سليمان الاول . وكانت تنصر على هدنة سنتين ومددت الى خريف اخرى عام ١٥٤٧ وذلك مقابل جزية سنوية قدرها ثلاثون الف ذهب تعمد فرديناند الاول بدفعها الى السلطان عن ممتلكاته المجرية .

واشهر معاهدة بعد هذه هي معاهدة Zélewa قرب غنيغول التي انتهت بها الحرب سنة ١٦٠٦ الثالثة بين السلطان احمد الاول والامبراطور رودلف الثاني . وكانت اسم السواد : (١) هدنة لمدة عشرين سنة (٢) تعاطي الرسائل بين الملكين وتكون مليئة بعبارة الاحكام والصداقة كلكا التي تكون بين اب وابنه . (٣) ان يعطي السلطان من الان فصاعدا لامبراطور المانيا لقب قيصر الرومان عوضا عن لقب الكيسر (٤) ان يرسل كل واحد للاخر بعثة فوق العادة مع هدايا تليق بالملكين . وان يحدث مثل هذا ايضا في سنة الصلح الثالثة (٥) ان يقدم الامبراطور بواسطة سفيره مبلغ مئتي الف قرش .

وبعد حصول اشتقاق جديد تبعه معاهدة صلح جرد التفاوض فيها وعقدت في فينا سنة ١٦١٥ من قبل احمد اعا المظفر العثماني وكان ذلك في عهد الامبراطور ماتياس تمددت الهدنة فيها الى عشرين سنة مع تأييد معاهدة Zélewa وقد منح السلطان الرعايا النموسيين الموحودين في الولايات العثمانية حرية التجارة مع القيام بطقوسهم الدينية . وخفف لهم غرائب الجمر الى ثلاث بالمئة . وسمح لعمال الابراطور اخذ شحومات خريبة اثنين بالمئة عن بضائع الرعايا العثمانيين المحمل على سفن نمساوية . ولهم وحدهم الحق في معرفة شئون التجار الذين يجب الا يغصروا متروكاتهم احد من موظفي المالية وانه يجب على قاضي عسكر الاستانة فقط ان ينظر في حكم الدعاوى التي يكون المبلغ المطلوب فيها اكثر من اربعة الاف بارة .

وعقدت معاهدات اخرى في Soultz سنة ١٦٢٨ بين مراد الرابع وفرديناند الثاني وهي تنصر على هدنة خمس وعشرين سنة وعلى الشرط التالي وهو ان يتخلى Voyvoda

أو امير ترانسلفانيا Bethkloem Ghalor عن تاج المجر لامبراطور النمسا
وقد تلى هذه المعاهدة معاهدة /sevan/ المنعقدة سنة ١٦٦٤ بين السلطان محمد
الرابع والامباطور ليوبولد الاول . وهي تنص على هدنة عشرين سنة ، وتتعدد النمسا بسحب قواتها
من ترانسلفانيا والاعتراف بحقوق Michel Apaffi عليها . وانى تتخلى للباب العالي عن عدة
حصون واقعة على الحدود المجرية .

انما في معاهدة كرفويتز التي عقدت سنة ١٦٩٩ احتفظ الامبراطور بترانسلفانيا التي
تخلى عنها لهستين هذا الامير M. Apaffi وولت Banat التابعة لمقاطعة Temeswar
بأيدي العثمانيين .

وكانت شروع صلح باساروفيتز المنعقد سنة ١٧١٨ بين احمد الثالث وشارل السادس
من صالح البلاط النمساوى اكتمت المعاهدة السابقة . ان ظل محتفظا بـ Banat وبالقسم
من الافلاق الواقع عري نهر Olk وبالقسم الاكبر من بلاد الصرب التي كانت النمسا محتلتها وقت انعقاد
الصلح . وتقريبا بنفس هذا الوقت اندر عقدت فيه الهدنة لمدة اربع وعشرين سنة عقدت معاهدة
تجارية تؤيد تخفيف الضرائب الجمركية التي على البضائع الى ثلاثة بالمئة تدفع نقودا او عينا .
وسمح لرعايا الامبراطور في الملاحة في نهر الدانوب ولكن على الايتعدى مصبه ، ويترتب عليهم ان
يستعملوا مراكب عثمانية في Isackza و Kili الخ . لنقل البضائع الى
الاستالة والقرم ومرافي البحر الاسود . وللابلاط النمساوى الحرية في وضع سفراء له في مرافي
البحر الابيض التابعة للدولة العثمانية . واحتفظ الباب العالي بحق تعيين عمال له تحت اسم شاه
بندر في الولايات النمساوية يقومون بحماية الرعايا العثمانيين . وقد اشترط في الايكون استيلاء القراصنة
المالطيين او غيرهم على السفن العثمانية سببا في التشكيل بالسفن النمساوية او الرعايا النمساويين
الموجودين في الدولة العثمانية . وانه يمكن للتجار العجم اجتياز الولايات العثمانية ليصلوا الى
الاراضي النمساوية مقابل دفع ضريبة مرور قدرها خمسة بالمئة يدفعونها على الحدود وتعطى لهم
الحرية في حال وقوع حرب بالانسحاب من البلاد المعادية بعد ان يصفوا اعمالهم .

وقد نصت معاهدة بلغراد سنة ١٧٢٩ بتوسط دولة فرنسا باجرا هدنة تدوم سبعا
وعشرين سنة وارجاع بلغراد للعثمانيين مع اوزوفا وبلاد الصرب والافلاق النمساوية ويجعل نهرى
الدانوب والساف حدودا للدولتين . وقد تحولت هذه الهدنة الى سلم دائمي في السادس

والعشرين من شهر مارس سنة ١٧٤٧ وفي نفس الوقت عقد البارون بنكلر معاهدة تجارية في الاستانة باسم الامبراطور فرانسوا الاول بصفته اى البارون الدوق الاكبر لتوسكانيا . واعطي للتوسكانيين في هذه المعاهدة نفس الحريات والاعفاءات الممنوحة في الولايات العثمانية للشعوب الأوروبية المفضلة على غيرهما .

ولفتنم بلاط فيينا التزامات الباب العالي في حربه ضد الروسية بضم كل قضاة Bucovina سنة ١٧٧٥ الذي كان يؤول جزءا من البندان وسبيللا للاتصال بين غاليسيا وترانسلفانيا . وحصل الامبراطور جوزيف الثاني سنة ١٧٨٤ على تحديد كل المعاهدات التجارية القديمة ، وعلى كل الاعفاءات التي كانت قد منحت لروسيا في العام السابق . وانتهت معاهدة سيستوفال المنعقدة سنة ١٧٩١ اخرج حرب بين الباب العالي والنمسا واشترط فيها ان ترجع كل دولة للشأنية البلاد التي احتلتها .

ان العلاقات المباشرة بين الباب العالي وروسيا لا ترجع الى امد بعيد . ففي حروب هذه الاخيرة مع تتر القرم لم يقم الباب العالي الا بدور مساعد للخانات الخاضعين له فقدم لهم المعونة بالرجال والاموال والخبرة .

وحسب التواريخ العثمانية لم يظهر لأول مرة سفير روسي في الاستانة سوى عام ١٦٢٢ كان مرسلا من قبل القيصر مخايل الثالث رومانوف ليعرض للسلطان مصطفى الاول التحالف معه ضد بولونيا الا انه لم يوافق على ذلك ، ويرجع السبب بصورة خاصة للفتن القائمة في الدولة منذ نكبة السلطان عثمان الثاني . ولم يدخل الباب العالي في علاقات مع روسيا الا سنة ١٦٧٧ في عهد السلطان محمد الرابع وذلك بتلا بمناسبة قلاقل القوزاق الذين كانوا يخضعون تارة لبولونيا وتارة اخرى للباب العالي وروسيا . وعلى اثر بعض حوادث حربية كانت الدنلبة فيها الروس عقد الباب العالي سنة ١٦٨١ بواسطة خان التتر سراق كراي معاهدة مع القيصر فيدور الثالث اشترط فيها عقد عدنة لمدة عشرين سنة مع استقلال القوزاق و جعل محروى نهر البورستين حدا فاصلا بين المبراطوريتين .

ولقد نقضت هذه العدنة عام ١٦٩٥ من قبل بطرس الاول الذي استولى على مدينة ازوف الاندما حدثت في مؤتمر كرفوفيتز الا ان مفاوضي القيصر لم يقبلوها الا ان تكون لستين . وعقدت الدولتان بعد ثمانية عشر شهرا اى سنة ١٧٠٠ معاهدة صلح لمدة ثلاثين سنة . وتعهدت روسيا بارجاع مقاطعة Azovcov الى الباب العالي والاحتفاظ بازوف مع الاراضي التابعة لها .

وتحررت من دفع أي شيء لامراء التتر كما يحق للوعايا الروسيين من التمتع بالامان التام في الولايات العثمانية . كما انه سمح لهم بزيارة بين المقدس بمنتهى الحرية . وبدون ان يكونوا خاضعين لدفع اية ضريبة . واحتفظت روسيا بخاصية تعيين سفير لها في الاستانة يتمتع بكل الامتيازات الممنوحة لسفراء الدول الأوروبية .

وعقد في الاستانة سنة ١٧٠٥ اتفاق عن الحدود بين الدولتين .

وثبتت المعاهدات الحدية وذلك سنة ١٧٠٩ بعد معركة بولتافا بطلب من روسيا

التي كانت تخاف ان يشهر الديوان السلاح مؤيدا شارل الثاني عشر .

الا ان الحرب ما لبثت ان نشبت بين الدولتين ولكنها انتهت منذ اور معركة بمعاودة

بروت عقدت سنة ١٧١١ في معسكر الصدر الاعظم ببلطه جي محمد باشا . وهي تنص على ان يرد

القبصر مدينة ازوف وان يسحب قواء من كل بولونيا والايضطهد البولونيين ولا توزاق اوكرانيا و

وليتوانيا الخاضعين لبولونيا ولخان القرم . والا يبقى سفير روسي في الاستانة ولكن سئل رعيا

الروس يتمتعون بحرية التنقل وتعاطي التجارة في الولايات العثمانية وان يعطى للملء السويد امان

الرجوع الى بلاده . ونلاحظ في تاريخ رشيد ان هذه المعاهدة كان عنوانها ~~السلامة~~

الاستسلام " امان تامه " ان نحد فيها ما يلي " بما ان الجيوش الاسلامية المنصورة على

الدوام تمكنت بمعونته تعالى من تطويق ومحاربة واخضاع قيصرو روسيا وجميع جيشه اخضاعا تاما

على شاطي نهر بروت فان هذا الطام يطلب الصلح الخ

وتبع هذه المعاهدة معاهدتين القسطنطينية سنة ١٧١٢ وادرنه سنة ١٧١٢

وكانت الشروط الرئيسية متعلقة بوضع الحدود بين الدولتين وتعهدت روسيا بسحب جيوشها من

بولونيا . ولم يكن بينهما سوى هدنة لمدة خمس وعشرين سنة الا ان الدولتين عقدتا سنة ١٧٢٠

معاهدة صلح دائمة اتفق فيها ان يكون دائما نادر اباب العالي وزير اوسفير روسي .

وان تتحرر روسيا من دفع اربعين الف زعب التي تقدمها سنويا لخانات القرم . وقررت الحكومتان

عيانة قولتين الجمهورية البولونية وضع قيام الملكيه في نداء البلاد اوضح تعاقب الحكم الوراثي على

العروش .

وعلى اثر حصول فتن في بلاد العجم انقسم الباب العالي الفرصة مع روسيا لمحاولة

ضم الاراضي الواقعة على شاطي بحر قزوين التابعة لهذه الملكة فعقدت من اجل ذلك معاهدة

بتوسط فرنسا سنة ١٧٢٤ تقراقتسام الاراضي بين الامبراطوريتين .

ولكن نشبت حرب جديدة بينهما لبعدها معاهدة صلح بلغراد المنعقدة سنة

١٧٢٩ وقد جرى التفاوض فيها بنوسط سفير لروسيا الخامس عشر . وكانت اهم المواد فيها تنحر

بهدم مدينة ازوف وبوضع الحدود بين الدولتين بمقتضى معاهدته سنة ١٧٠٠ وضع السفن الروسية

من عبور بحر ازوف والبحر الاسود وخصوصا السفن الحربية . ومنح الاستقلال التام لمقاطعتي

ال : Cabartas وتوان الاسر الذين هم عند الدولة او عند الشعب بدون دفع ار فدية عنهم انما

باستثناء المسيحيين الذين اعتنقوا الديانة الاسلامية والمسلمين الذين اعتنقوا الديانة المسيحية .

مع منح ~~ال~~ الامتيازات التجارية التي تمتنع بها اسام الدول . والحرية المعطاة للرعايا الروس

بنقل بضائعهم في البحر الاسود على مراكب عثمانية . وحرية القيام بطقوس ديانة دولة روسيا في الولايات

العثمانية . وتعيين وزير روسي دائمي في الاستانة متمتعاً بالامتيازات الممنوحة لوزراء اعظم الدول

الاوربية ومنح لقب امبراطورة للقيصرة .

وقد دام هذا الصلح ثلاثين سنة اذ اعترضه حرب خاسرة نحو العثمانيين انتهت

سنة ١٧٧٤ بمعاهدة قنبرجه وكانت شروطها : (١) استقلال القرم وطمحاتها . الكويان وجزيرة

تالان . وان يحصل انتخاب الخان من رجال امته ومن بين امراء اسرة جنكيز خان والا يخضع

للسلطان العثماني الا في المسائل الروحية . وتتعدد الدولتان ~~ب~~ بالاعتدال ابداء لافي سالة

انتخابه ولا في شؤون بلاده الداخلية ٢ التخلي عن كوش وني قلعة و كلبورون لروسيا مع لسان

من الارض يقع بين نهري الدنيبر والديوبغ (٣) انجلي ايضاً لروسيا عن مدينة ازوف مع ناحيتها مع

مقاطعتي ال : Cabartas (٤) حرية الملاحة للمراكب الروسية في جميع بحار الدولة العثمانية .

(٥) منح الامن العام لرعايا الباب العالي الذين ايدوا روسيا . (٦) القيام بالتعهد الذراخذه

السلطان على نفسه لحماية الديانة المسيحية في ولاياته والسماح بترميم الكنائس القديمة وتشديد لخرة

جديدة . وتشبث رعاياه المسيحيين في اماكنهم ومراكزهم . وان يؤجل لهم دفع المتأخر من

ضرائبهم . وان يعفيهم من اي خريبة مدة السنتين التاليتين . والا يمنع محنة العائلات اللاتي

تردد ان تغادر البلاد حاملة حوائجها في مدة السنة الاولى من الصلح . وان يقضي اخيراً على

اعمال الشدة والظلم التي ينزلها الحكام وغيرهم من موثقلي الدولة على الرعايا المسيحيين .

(٧) تعهد الديوان بان يرجع امارتي الافلاق والبغدان الى حقوقهما القديمة . والا يطلب منهما

غير الجزية التي حددت في عهد السلطان محمد الرابع . وان يعامل الباب العالي عتال اميرهما

معاملة حسنة . والا يعزل هذين الأميرين إلا إذا كانت هناك أسباب قوية . وأن يتقبل بلطف العروض التي من الحائز أن تقدمها البعثة الروسية لقوله إذا قضت الحال عن هاتين الإمارتين .
(٨) أن يعطي السلطان لقب باديشاه لطان روسيا . (٩) أن يقيم في الاستانة وزير روسي من الدرجة الثانية تكون له الأفضلية على جميع الوزراء الأجانب بعد سفير امبراطور ألمانيا . (١٠) أن تكون للوزير الروسي الحرية بتسديد كمسة لأغل ملته في حي بير (١١) وضع سفراء روسيين في كل بلاد الدولة العثمانية التي يلاحظ أن وجودهم ضروري فيها . (١٢) توسط الباب العالي مع دول أفريقيا لتعقد اتفاقات تجارية مع روسيا وأن تتعهد الدولة بسلامة السفن التجارية الروسية .
وأخيرا تعهد الباب العالي في مادة نعمة مستقلة بدفع خمسة عشر ألف كمر أي سبعة ملايين وخمسمئة ألف قرش لروسيا كنفقات الحرب .

وقد قبل امضاء هذه المعاهدة اتفاق سنة ١٧٧٥ يعين باكثر دقة حقوق السلطان المتعلقة بالقرم . وعويتاؤل (١) أن يحتفظ السلطان بسلطته الروحية على خانات القرم (٢) أن يثبت الخان الذي ينتخبه الشعب وأن يرسل له شارات التقليد حسب العادات القديمة (٣) أن يتابع ذكر اسم السلطان في الذخيرة في ولايات الخان وضرب النقود باسمه .
(٤) أن يتناول قضاة التتر رسائل تعيينهم من قاضي عسكر الاستانة .
وقد عقد اتفاق آخر سنة ١٧٧٩ في *Aimale - Cavak* وضع حدا لنزاعات جديدة . ولقد اشترط فيه أن يعترف الباب العالي بالخان شاهين كراي الاول والاتومر سلطة السلطان الروحية على استقلال الخانات المنتخبين . وأن تسحب القوات الروسية بمدة ثلاثة اشهر من القرم والكوبان . وأن يعاهد المطان في الايدوماها منذ ذلك الحين بأى محاولة عسكرية في حال حصول اختلافات جديدة بينهما فيما يتعلق بالتتر قبل أن يقوموا بحل الخلاف حيا .
وأن يصبح معترف باحتلال السلطان للبلاد الواقعة بين نهرى البوغ والدنيستر . وأن يتعهد الديوان برد القوزاق الملتجئين إذا ارادوا أن يستفيدوا من الامان الممنوح لهم والانعليه أن ينقلهم الى داخل بلاد الدولة . وأن يكون الروس احرارا في الملاحة في البحر الاسود مع مراكب تجارية لا يزيد حمولتها عن ستة عشر ألف كيلو قمح او اربع مئة واثنين وعشرين برميلا .
وأن لا تستخدم روسيا ابدا في هذه الملاحة اشخاصا من رعايا الباب العالي بدون ان تاخذ

موافقته . وان يحتفظ الفريقان الى ما بعد القيام باجراء مفاوضة عقد معاهدة تجارية ماثلة لتلك المنعقدة بين الباب العالي وفرنسا وانكلترا . وان يعد السلطان باحترام الامتيازات الممنوحة للافلاق والبعدان والابقوم البلاط الروسي من جهة بتطبيق حقه في التدخل والتوسط عن هاتين الامارتين كما نصت على ذلك معاهدة قمبرج . وان يتعهد الباب العالي بدفع تعويضات لسكان المورة عن املاكهم التي فقدوها والتي لا يمكنهم استرجاعها نظرا لكونها تحولت الى وقف في عهد السلطان السابق .

وتبع هذا الاتفاق معاهدة تجارية عقدت سنة ١٧٨٣ موقعة من واحد وشائين مادة حصلت روسيا بموجبها على تعهد من الباب العالي في تأمين سلامة السفن الروسية من قراصنة البربر . وبتأمين سفراء لها في مرافق البحرا لايضا التابعة للدولة وحرية اجتياز البوسفور للسفن الروسية المحملة مواد غذائية وغيرها من البضائع وحصلت على غير ذلك من المنح . وقد اتفق ايضا في حال حصول خلاف بين الدولتين ان يعطى لرعايا الفريقين مدة ستة اشهر لتصفية اعمالهم قبل مغادرة البلاد .

الا ان اعم عمل جرت بين البلاطين يستحق الاعتبار هو الذي حدث سنة ١٧٨٤ وبه يحترف الباب العالي بضم القرم لروسيا الذي كان اجراه شاهين كراي سنة ١٧٨١ وكان بكونه لانتماء ذلك الاناء مواد معاهدة قمبرج واتفاقية *Amali-Cavak* المتعلقة باستقلال القرم وبحقوق التتر السياسية . وكان نهر القويان في اسيا و *Ayagow* مع المقاطعة التابعة له في اووربا يشكلان حدود الامبراطوريتين . وتعددت روسيا في انما . لن تحاول ابدان تستفيد من حقوق خانات التتر التي كانت لهم على مقاطعة *Soudjak* في القويان . وحدث نزاع جديد بين الدولتين سنة ١٧٨٧ زاد في اذلال البلاط الامتثاني وفي خسارته . وقد اوصلت معاهدة جاسي المنعقدة سنة ١٧٩٢ حدود روسيا حتى نهر الدنيستر (١) .

ولم يكن للاعتناءيين بعد قرن من افتتاح القسطنطينية وبالرغم من انهم كانوا سياد الاراضي الممتدة حتى شاعبي الدانوب من عزقات من ار دولة اوروبية عدا تلك التي كان

(١) (ملاحظة الناشر الكتاب وهو *M. C. D'Arsson* ابن المؤلف) لقد تخلى الباب العالي

لروسيا في معاهدة الصلح الاخيرة المنعقدة في ٢٨ مايس سنة ١٨١٢ عن قسم من البعدان وبسريا بحيث اصبح هذا البردث والدانوب يؤلفانه الآن الحدود الغربية للدولة .

حوارها لهم يعرضها لدمجهم . وكانت جميع أوروبا تنظر اليهم انفذ كالمعداء مشتركين
لهذا وذلك بسبب البغض الذي كانوا يظهرونه نحو المسيحيين وبالأعمال البربرية التي كانوا ينفسون
بها في البلاد التي يكتسحونها وبالذعر العام من تقدم سلطتهم ولهذا فان السلطان المسحوقين
الذين كان البابا دوما يحسمهم كانوا يجدون من الواجب عليهم تقديم المساعدات للشعوب المجاورة
للعثمانيين والمضطرة دائما للمحاربة ^{من جهة} دجمات السلاطين العثمانيين المتكررة . وكل يعرف
المحالفات التي حصلت والتي كانت نتائجها معارضة كاسوفيا ونيكوبوليس وازنا الشهيرة .

وكان بلاط فرنسا عموما من تنحى عن هذا التحالف العام . فلقد تكونت عند
فرانسوا الاول فكرة التقوى بالتحالف مع السلطان سليمان ضد قوة البلاط النمساوي الهائلة .
الا ان محاولات بعثائه الاولى السرية التي ارسلها الى الاسنانة في سنتي ١٥٢٥ و ١٥٢٦ لم
تحصل على اية نتيجة . الا ان مفاوضات دة لا فوريست ادت سنة ١٥٢٥ الى عقد معاهدة تجارية
بين الدولتين .

وكانت اهم شروط هذه الاتفاقية الاولى بين الباب العالي وفرنسا هي : (١) ان
يقوم سفير فرنسي في الاسنانة وقنصل اخرفي الاسكندرية (٢) الا يدفع التجار الفرنسيون عن
بضائعهم بضريبة جمركية سوى خمسة بالمئة (٣) وان يعفوا من كل الضرائب مدة العشر السنوات
الاولى من اقامتهم في الولايات العثمانية انما يخضعون بعد انقضاء هذه المدة لدفع الخراج
وبقية الرسوم العادية . (٤) في انه يمكن لبقية الشعوب ادوربية مثل الإنكليز والقطانيين والراغوزيين
والصقليين والجنوبيين والبرتغاليين الخ . . . الذين ليست حكوماتهم مرتبطة مع الباب العالي بمعاهدات
صداقة ان يتنقلوا في السفن الفرنسية في جميع البحار وان يتعاصروا تجارهم تحت حماية فرنسا
في كل البلاد ~~المتاخمة~~ التابعة للعثمانيين . (٥) ان يتمتع الفرنسيون بحرية القيام بطقوسهم
الدينية وان يقوم رعيان كاثوليك في المحافلة على الامكة المقدسة في فلسطين (٦) الا انه لا يحق
وذلك حسب الشرع الاسلامي لاي فرنسي او دير او كنيسة لاتينية الاحتفاظ بعقارات في اراضي
الدولة (٧) واتفق على ان يكون المولاد الذين ياتون من اب فرنسي وام من اهل البلاد رعيا
للسلطان يدفعون الحزبة .

ولم يتم التحالف الذي كان في النية اجراؤه الا عام ١٥٤٢ الا اننا نلاحظ من
التحولات التي اتخذها فرانسوا الاول لجعل مفاوضاته مع البلاط العثماني سرية بالمعاذير التي

قام في ابداءه ليحطي لونا جميلا لعلاقاته مع الكمار - نلاحظ من كل هذا كيف انه كان يعمل ضد اراء المسيحية العامة . وقد قام في المفاوضة بهذا التحالف الكابتن بولان *Paulin* الذي اصبح من ذلك الحين البارون دى دغار *De Lagarde* ومنذ السنة التالية قام اسطول السلطان سليمان وفرانسوا الاول باعمالهما ضد مستلكات شارل كان البحرية . وجرى ايضا نفس هذا العمل المشترك في عهد الطاء عشرى الثاني .

وفي عهد السلطان سليم الثاني حصل *Claude du Bourg* سفير الملك شارل التاسع على تجديد المعاهدة التجارية سنة ١٥٦٩ من ادخال مواد جديدة فيها هي من صالح فرنسا . التي يحكمها بموجبها تعيين قضاصل في بلدان الشرق . ولكنه ذكر في انه لا يمكن لاي شخص من رعايا السلطان القيام بهذه المهمة . ويحق للسفراء والقضاصل محاكمة الاشخاص من مواعينهم . والافرنسيون احرار في التصرف بميراثهم . واذا مات احد منهم بدون ان يكتب وصية فان السفير او القضاصل يجمعون امواله لينقلوها لورثائه الشرعيين . ولا يحق ملاحقة افرنسي بسبب ديون غيره الا اذا كان كاهن كما لا يحق بسبب جريمة ما ارتكبها افرنسي اخر قد اختفى . ولا تقبل في المحكمة اى دعوى ضد احد الافرنسيين الا اذا كانت قائمة على اساس صحيح ولا يحق للقاضي ان يكفي بادلة اليهود فقط . وضع على المحاكم ان تقبل بسهولة تشكيات التهم الصادرة ضد الافرنسيين بحق سكان البلاد الذين يقدمون شهودا زور لاثبات دعواهم وابتزاز الاموال منهم . ويحق لتاجر افرنسي اذا دعي الى المحكمة ان يوقف الدعوى اذا لم يتمكن المترجمان القائم في خدمة الرعايا الفرنسيين من حضوره الا انه يجب على هذا الاخير ان يثبت سبب عيابه لكي لا يكون هذا العمل سببا لتجنب او تاخير سير الدعوى .

وعلى التراجمة الماذونين ان يقيموا في الامكة التجارية التي عيشوا فيها . ويعفى كل افرنسي متزوج في البلاد او غير متزوج من دفع الخراج . ويحق للسفراء والقضاصل طلب الاسرى الافرنسيين الذين هم في حوزة المسلمين كما يحق لهم طلب انزال العقاب بالقرصنة الذين اسروهم وباعوهم من العلم بان الاسرى الذين اغتبقوا الاسلام تمنح لهم حريتهم بدلا من تسليمهم . ويحب ان تصدر الاوامر للاسطول البحرى العثماني في ان يعامل كل سفينة افرنسية معاملة حسنة . وتعد الباب العالي بارجاع كل ما قد يؤخذ من المراكب الافرنسية وبمحاكمة المجرمين معاقبة شديدة وتقدم المساعدات للسفن الافرنسية التي تنجح الى الشواطىء التركية ولايس نسي من حوائجها

وبضائعها ، واخيرا لا يحق للفرنسيين ان يتمتعوا بكل الامتيازات الممنوحة للبندقيين بالمعاهدات الموقعة بين الباب العالي والبندقية . وان يعطي السلطان بهذه الاتفاقية لقب باديشاه لملك فرنسا تمثلا بابيه السلطان سليمان الذي كان في اخر رسائله لفرانسوا الاول ولهنتري الثاني يدعو هذين الملكين بهذا اللقب .

وعقد عام ١٥٨١ اتفاقية جديدة تحوى على امتيازات جديدة اخرى وكان المفاوض السفير *Jernigues* بارون دى غارميول وكان ذلك في عهدى السلطان مراد الثالث والملك هنرى الثالث . وحصلت فرنسا لسفرائها التقدم على كل بقية الوزراء الاجانب . وقال : " وذلك راجع لارتباطات الصداقة القديمة التي كانت بين السلاطين العثمانيين وملوك فرنسا الذين كانوا في جميع الاوقات متصلين باخلاص مع الباب العالي وهم في جميع الاحوال لشهريطون المسيحيين .

وقد حصلت فرنسا ايضا على امتيازات اخرى في عهد السلطان محمد الثالث وكان ذلك بمحادثات سافارى دوبريف سفير هنرى الرابع . ويترتب على الدولة الاجنبية في عهد كل سلطان جديد ان تطلب تثبيت الامتيازات القديمة نظرا لكون كل سلطان لا يتعهد الا بنفسه بدون ان يذكر شيئا عن خلفائه ولهذا فان السفراء الاجانب يغتسمون مثل هذه الفرص ليدخلوا في الحصول على امتيازات جديدة وهذه الاتفاقية الرابعة الحاوية على امتيازات جديدة التي وقعت عام ١٥٩٧ كانت تمنح الافرنسيين (١) حرية تصدير القطن الخام والمصنوع والجلود والسخنيان والشموع الخ . . . (٢) الاعفاء من دفع الخراج ومن بغية اضرار الشخصية (٣) وضع ضريبة على بضائع الرعايا العثمانيين المحملة على السفن الفرنسية (٤) منع القضاة من مضايقة القناصل وتوقيفهم وسجنهم وان اى عمل يقوم ضد القنصل يجب ان ينظر فيه محكمة الصدر الاعظم (٥) التعهد بان تحترم ولايات شمال افريقيا المراكب الفرنسية وارجاع ما يمكن ان يستولي عليه قراصنتها . (٦) ازالة كل فرمان يخالف فحوى الامتيازات .

وقد حصل سافارى دى بريف سنة ١٦٠٤ في عهد السلطان احمد الاول على امتياز خامس للفرنسيين . اذ اعطيت لهم الحرية في ان يرسوا سفنهم في مدينة الجزائر وفي صيد المرجان على شواطئ شمال افريقيا وفي قبول او عدم قبول القراصنة الجزائريين في المراكب الفرنسية وبعد الباب العدا لي في ان هذا الرفض لا يؤثر ابدا في تعكير السلام بين الدولتين

يسمح لرعايا دولة فرنسا اوللذين هم تحت حمايتها في الحج الى بيت المقدس ويؤمن الباب المالي حماية كهيئة كيسة القبر المقدس .

وفي عهد السلطان محمد الرابع قام المركز ده نولتل سنة ١٦٧٢ بمفاوضات مع الباب العالي وحصل على امتيازات جديدة وضعت شروطا في اتفاقية مؤلفة من واحد وتسعين مادة كان بعضها يثبت الامتيازات السابقة والبعض الآخر ينص : ١) على تحويل الضرائب الحمركية التي على البضائع من خمسة الى ثلاثة بالمئة يكون دفعها نقودا او عينا . ٢) وان يدفع الافرنسيون ضريبة الجمرات المسماة " مسطرة " كما يدفعها الانكليز ٣) ان يقبل التعامل بالنقود الافرنسية في الدولة العثمانية ٤) وان يفي السيل الركاب الافرنسيين الذين يقبض عليهم وهم في سفن معادية وان تحفظ حوائجهم . وعدم التعرض للسفن الافرنسية التي تنقل مواد اخذائية بين دولتين احديتين ٥) ينظر الديوان في الدعاوى النقدية القائمة ضد الافرنسيين ^{التي تكون قبعتها اكثر من} اربعة الاف بارة .

ولقد ثبتت هذه الامتيازات سنة ١٧٤٠ في عهد السلطان محمود الاول بواسطة اتفاقية قام بالمفاوضة فيها المركز ده فيلنونوف سفير دولة فرنسا وكانت تحوى امتيازات جديدة ايضا وهي : الاعفاء من دفع ضرائب الجمرات المسماة مسطرة وقداية الخ الحرية الكاملة للسفراء وللقناصل في ان يستخدموا عندهم ما يروقهم من التراحة من اهل البلاد او الامكنية . ا عفا خدمهم الذين هم من اهل البلاد من رعايا السلطان من دفع الضرائب العامة على ان لا يتعدى عددهم الخمسة عشر . اعفاء الخمر التي يستعملها الافرنسيون من الضرائب . اعطاء الامر الى القضاة في ان ياخذوا مصاريف المحاكمة من الذين اقاموا الدعوى على احد الافرنسيين ويكفون خسروها وان لا ياخذوا غير اثنين بالمئة كمصاريف المحاكمة من الافرنسيين اقاموا الدعوى ويرجعوا . وقد جاء في المادة التاسعة والثلاثين : " عندما يذهب رعايانا من اهل الامة لعند الافرنسيين او اذا حصل العكس للبيع والشراء ^{او} ذلك من الاعمال فانه لا يمكن ان يضايقوا من اجل هذا التعامل . " وهي مادة تسمح بصورة غير مباشرة للروم الكاثوليك من اهل البلاد في التردد على الكنائس الافرنسية لانهم كدوام معرضين للاضطهاد من بطارقة الروم او اديوان الذين ^{يعارضون} يعارضون دوما هذه الخيانة الروحية من قبل ابناء ملتهم . وتنص المادة الاربعون : " على ان

* الامتيازات الممنوحة لبقية الشعوب الأوروبية تكون ايضا منوطة لرعايا الابرار صيريه الفرنسيه وان يعاملوا باحسن معاملة نظرا لان ملكهم كان صديقا للدولة العلية اقدم من بقية الملوك . .
ان هذه الاتفاقية وهي اخرا واحدة من بعدا عقدت بين عائلة البوربون وبين بلاط
العثمان والتي تحتوى على كل الامتيازات والاعفاءات التي منحت للامة الافرنسية بصورة متتابعة -
قد حددت وثبتت عام ١٨٠٢ في معاهدة عقدت في باريس ووقع عليها سعيد عالب افندى .
لقد منح بموجبها حق جديد للفرنسيين وشو حرية الملاحة في البحر الاسود . وتعهدت كل من
الدولتين احترام سلامة ممتلكاتهما . ومنحت كل واحدة للاخرى كل الامتيازات التي كانت قد منحت
الى الان او التي سوف تمنح لبقية الدول ويكون ذلك بصورة مؤكدة كما لو كانت امترط عليها في المعاهد
افدا .

بالرغم من التفسيرات التي طرأت في اثناء مغلطة على العزقات القائمة بين الباب
العالي وبلاط فرنسا فان العثمانيين لم يتوقفوا قط عن اعتبار الافرنسيين كاقدم وافضل اصديقاتهم .
ويزداد هذا الاثر ايضا قوة بمرور الزمن في انه كان هناك فيما مضى ارتباط عائلي بين العائلتين
العالميتين اذ برز من المؤرخين العثمانيين (Potchén و Selaniki و Aali-Efendi) ان امير
البحر ساروحه باغا السرخنة ١٤٢٨ قري عليبولي مرييا عليه حمولا ثمينة وفيه اميرة افرنسية معدة
للمبراطور البنظي حنا السادس . الا ان رواد الثاني الذي كان السلطان الحاكم انذ الحقا
بحرمة تراء كل ما معدا من بائنة لامير البحر لبقيم بانشاء مسجد فخم في عليبولي . ويضيف شوه
المؤرخون بان السلطان فتن ملاحه ورحلة عقل هذه الشابة الاسيرة التي انجبت له اسطان
محمد الثاني ولعتقت الديانة الاسلامية تحت اسم عليه خانم (١) .

ولم يبد بلاط لبندرة ايضا الرغبة في الارتباط مع العثمانيين بعده ود الصداقة والتجارة
الابعد ثمان وخمسين سنة من حصول اول علاقات بين الباب العالي وبين فرنسا . وقد حمل ادوار
بورتن Edouard Bertou سفير الملكة اليزابت سنة ١٥٩٢ للرعايا الانكليز على نفس
للاحتفاء بالامتيازات التي كانت قد منحت لفرنسا . وجمدت هذه الاتفاقية في عهد السلطان الثامن
وعو محمد الثالث وحصلت انكلترا ان ذاتها على الامتياز التي تتمتع بها فرنسا وهي ان تمنح سفندا
وحمايتدا في البحار والولايات السلطانية للبلاد التجارية التي لم ترتبط بعدود صداقة مع الباب

(١) لقد ذكر المؤرخون خطأ ان هذه الاميرة التي يدعى لها افرنسية هي والدة بيازيد الثاني .

العالي . وقد أبدت فرنسا التي كانت ترى ان هذا الامتياز خاص بها احتياجات مديدة للدبوان . وقد حصلت من اجل ذلك مراعاة على تأييدات مرضية الا ان الم يتم ابداء . واستعان المفير سافاري ديه بريف سنة ١٦٠٢ بالمفتي خوجه زاده محمداقندى للحصول على فتوى تؤيد طلبه المرتكر على اساس هذا المبدأ في انه لكون الامتياز المنوح لبلاط فرنسا هو خاص به فانه يبطل الحق المنوح بعد ذلك للانكليز .

وبعد بضعة اعوام عقدت هولندا ايضا سنة ١٦١٣ مع الباب العالي معاهدة صداقة وتجارية شبيهة بمعاهدة انكلترا .

وبالرغم من العداوات المتينة التي نشأت بين السويد والباب العالي من جراء اقامة الملك شارل الثاني عشر في بندر Bender فانه لم تعقد معاهدة تجارية بين الدولتين قبل عام ١٧٢٢ التي قام بالمفاوضة فيها هويكن Hoepken وكارلسون Carlson وزير الملك فريدبريان . وبعد اعوام ثلاثة اتحد البلاطان بمحاكمة دفاعية ضد روسيا .

وقد عقد الباب العالي سنة ١٧٤٠ معاهدة صداقة وتجارية مع بلاط نابولي . و سنة ١٧٥٦ مع النمرك سنة ١٧٦١ مع بروسيا سنة ١٧٨٢ مع اسبانيا . ان هذه المعاهدات تحوز تقريبا نفس الشروط المتعلقة بالتجارة ومنح الباب العالي رعاية هذه الدول نفس الامتيازات التي يتمتع بها رعاية بقية الدول الاوروبية .

ولم يكن السلاطين العثمانيين يعطون امبراطرة البزنطيين وامراء نيقية وطرزون واليوننة وبلغاريا الخ . . . قبل سقوط الامبراطورية البزنطية الا لقب تيموراو تكور وهو محرف من كلمة تاكافو Tachef وهو اللقب الذي كان يتخذه قداما ملوك ارمينيا . ثم اخذوا يدعون الملوك المسيحيين بلقب كراال كصر وعمل لقب قداما ملوك الصرب . الى ان اعطى الباب العالي سنة ١٦٠٦ لامبراطور المانيا لقب قيصر الرومان الذي يضاف اليه غالبا كلمة "الجليل" . ويرجع ذلك لذوق الشرقيين في حب السجع . كما كان يعطى لملوك روسيا لقب قيصر (Tsar : Tscher) مصحوبا ايضا بكلمة الحليل . الا انه في سنة ١٧٣٩ ابدل هذا اللقب بلقب امبراطور .

ثم حصل اتفاق سنة ١٧٧٤ في معاهدة قينرجه في ان يعطى السلطان لقب باديشاه لملوك روسيا وعموم من اسى الالقاب التي يتخذها الملوك المسلمون ويراد به الملك الكبير . وقدم معنا بان هذا اللقب منح لفرانسوا الاول من قبل السلطان سليمان الاول ~~من قبل السلطان سليمان~~

وعظمي الباب العالي للملوك الأوربيين هذه الألقاب ، " لأحر" الأمراء المسحور
ولاسمى ملوك العقيدة المسيحية منظم شؤون الأمم المسيحية السياسية وحامل رايات العظمة والابهة
بالمحاط بالفض والشرف ، العظم الجليل السني "

الان الباب العدالي هو اثر سخاء في منح صفات الابهة للملوك المسلمين . ففي
تقارير معاودة الصلح الموقعة في الاستانة ، في ٢٩ مايس سنة ١٥٥٥ بين سليمان الاول وتحصن
الاول اعطى السلطان الشام القاب : "شعر العجم والملك الذي لا يقارن" حمشيد (١) عصره
وسيد الفلاح والعز ومرجع لعمدة العظمة والجلل الخ واشهاد من محناحيته لقب سليمان
"بملك الملوك وملك الامراء وزينة القياسرة وحكم ملوك الارض والمحسن للجنس البشرى وبلية الكفار
. حامي الاسلام المحيد قرن سليمان في الحكمة وداريوس في العظمة والاسكندر بالسطوة وثمين الثمن
بالبهاء ، الذي ٢٠ سيفه يلقي الرعب في قلوب الاشرار ، والذي كانت ارادته قانون الزمن ،
ورحمته نعيم الدنيا الخ"

الملب

وفي كل الاحيان التي يرد فيها اسم سفير دولة اجنبية في اوراق الدولة فانها يذكر مع اسمه هذا اللقب ، افضل اسياد الديانة المسيحية .

وتؤيد المعاهدات يقدم السلطان الذي يكون بهذه الحمل ، " انني اعد بمرعاة
عنه الشروط طالما بقي الفريق الثاني مخلصا لتعهداته . اي نعم اني اقسم على ذلك باسمه
تعالى خالق السماء والارض وبمعجزات نبينا محمد الحديد ، شمس العالمين والسبب الخفي لخلق
الدنيا ، وبقدسية القران وبروح ابي واحدادي وراسي وراس اولادي الخ . . . " ويضيف بعد ذلك
الاحيان : " بالاحترام الذي للمئة واربع وعشرين الف نبي ، وبالسيف الذي اتقلده ، وبالحوادق المنفذ
امتطيه الخ . . . " وهو يقدم عندما تكون المعاهدة موقعة مع احد الملوك المسلمين ، بقدسية الخطاب
والذي يبرأ به " نعم "
والحواسم وباعتبار الذي لسيف الله ولكتابه وقلعه " (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) احد قدام ملو، الفرس

(٢) السور التي تبدأ بـ "هم" هي أربع سور من القرآن (٢٠-١٣) والسور التي تبدأ بـ "هم" سبع أخرى (٤٠-٤٦) أما السيف فإنه يشير إلى سلطة السلطان . والكتابة إلى عقيدة أنه مقدر كل شيء على الإنسان منذ ^{الازل}

تكتب رسائل السلطان الموجهة الى ملوك اجنبي باحرف كبيرة على قطعة كبيرة من الورق تطوى وتوضع داخل كيس من الحرير الذى هو . وتكون مرفوقة دائما برسالة من الصدر الاعظم . ومن المعتاد اذا وجه احد الملوك رسالة الى السلطان لم يوجه واحدة اخرى بنفس الفحوى للصدر الاعظم ولكيه ما من سلطان قط فعل بالمقابل مثل ذلك .

لم يكن الباب العالي عند نشوب حرب لبحترم الصفة الرسمية التي لسفير الدولة المعادية الا بحدود اذ يقبض على ممثلها ويسجنهم ويعاملون في بعض الاحيان معاملة اسوأ من هذه يشهد على ذلك ما حل بكبير من ممثلي البندقية *Benigno* وقد تعرض في اوقات السلم ايضا سفراء ملوكهم اصدقاء للباب العالي الى اعداء تدل على الخشونة والكبرياء . ويمكن ان نشير كمثال على ذلك ما حل بستة سفراء فرنسيين . ففي عهد السلطان مراد الثالث قبض على *Lauconie* وادع السجين وكتب الصدر الاعظم رسالة له تترى الرابع ملوكة بامر التشكرات نحو مشله الذي ينتهجه بالخداع مؤكدا انه لولا صفة الرسمية والاکرام الواجب نحو ملوك فرنسا لكان جزاؤه الموت . وفي سنة ١٦٩٨ اوقف الباب العالي البارون *Sansy* ديه لاملول سفير لويس الثالث عشر . ونقل في سنة ١٦٣٤ الكونت ديه مارشوفيل الى ظهر احدى السفن وطرد من الاستانة . ووقف وقتيا ثلاثة من سفراء لويس الرابع عشر وهم : *De la Haye* سنة ١٦٥٨ وابنه *de la Haye Vautellet* سنة ١٦٦٦ و *Guillerague* سنة ١٦٨١ ولكن منذ قرن من الزمن اخذ الباب العالي يحسن معاملته وزراء الدول الاجنبية .

انه من العادات الشرقية الايتل احد امام السلطان بدون ان يقدم له هدية . وكان كل السفراء المبعوثين الى الاستانة يجلبون معهم فيعاضى هدايا له . ولما لم يكن *François de Noailles* اسقف *Aqes* شريفا يقدمه للسلطان فانه لاقى صدوبة كبيرة سنة ١٥٧٢ لمقابلة السلطان سليم الثاني لكي يقدم له اوراق لعتاده . وكان يرسل ملوك اوربا المرايا والسفلات والامراصد والابن الطعام الخ . . . اما الاواني المصنوعة من الذهب او الفضة او الفضة المذهبة فانها معتبرة اشياء دسنة لهذا فانها اما تباع او ترسل الى دار ضرب النقود . اما هدايا السلطان فانها كانت تتألف من الطيوب والخيم . والسجاد العجمي او المغربي والجلود المجودة باثن عدة والسبوف والنياشير المرصعة بالحجارة الكريمة الخ . . . ولكن الدخيت عادة ارسال الهدايا منذ امد طويل وليس هناك غير الدول المجارة التي لاتزال ترسل الهدايا بمناسبة توجيه سفير فوق العادة .

كانت الدولة العثمانية تقوم بنفقات السفراء القبول العادية منذ دخولهم الأراضي العثمانية حتى خروجهم منها . وكان ترسل موطفا يحمل رتبة مدمندار ليستقبلهم على الحدود وليؤمن لهم كل ما يحتاجونه عطلة مدة اقامتهم . وكان الباب العالي يقدم سنة ١٥٨٩ لسفير العجم مئة من الخرفان ومئة قالب من السكر مع غير ذلك من المواد . وهذا عدا مبلغ عظيم من المال في كل اسبوع . وكان يتناول سفير النمسا الكونت *Je Leslie* بعد صلح *Vasvar* المنعقد سنة ١٦٦٥ مئة وخمسين قرشا في اليوم وكل ما يلزمه من الطعام من علف خيله . وكانت تختلف كمية هذا التعيين وذلك حسب الظروف وحسب المطوى الذين يرسلون السفراء . وكانت الدولة حتى اخر القرن الماضي تتحمل نفقات الوزراء الاجانب من الحدود حتى العاصمة وكان يتناول وزراء الدول المجاورة المجاورة تعيينا يكون مئة او مئة وخمسين او مئتي قرش في اليوم وذلك مدة الثلاثة او الاربعة اشهر الاولى من اقامتهم . ولكن منذ ان اخذ الباب العالي يرسل بعثات الى البلاطات الاوروبية فانه الذي هذه العادة القديمة وعمد سنة ١٧٩٤ لم يسمح تعيينا للسفراء الدول المجاورة الفوق العادة . ولقد كان من العادة ايضا ان تخصص الدولة في كل مرة منعقد فيها مؤتمر في بلادها تعيينا من النقود للمفوضين الاحاب ووزراء الدول المتوسطة في الصلح والاشخاص التابعين لهم . كان الوزراء الأوروبيون يسكنون فيما مضى في العاصمة نفسها ويقيمون عادة في فندق كبير يعين لهم وهو لا يزال حتى الان يدعى " ايلجي خان " او خان السفراء . وكان سفراء البندقية هم اول من تظنوا البيرة *Pera* وما لبث ان تمت بهم في ذلك بقية السفراء ولقد اخذوا منذ امد لول يقضون في نفس هذا الحي .

تعقد الجلسات للوزراء المفوضين الاجانب بمظاهر العظمة والاصور الدقيقة التي تيسر على كل احتفالات البلاط العثماني . وبعد ان يعلن السفير الجديد نبأ قدومه يزوره في اليوم التالي ترحمان الباب العالي فيقدم له التهاني باسم الصدر الاعظم ووزراء الدولة . وسبق هذه الزيارة هدية من الورود والفاكهة توضع على اطباق وتقدم من قبل الصدر الاعظم . ثم ياتي رجال من حرس الشرف مؤلف من بلاء من الانكشارية يقيمون في قصر مجاور لقصر السفير . ويقيم له الصدر الاعظم في بادى الامر جلسة رسمية لياخذ منه اوراق اعتماد الموجهة له حسب العادة من المطام الذي يرسل السفير ومن وزير شؤونه الخارجية . فيذهب الوزير المفوض

لحضور الجلسة فيسير امامه حرس الشرف وتبعه حاشيته مؤلفة من موظفي سفارته ومن كبار شخصيات موطنيه ومن سواح اوروبيين يفتنمون هذه الفرصة ليشاهدوا بلاطا لايمكهم في غير هذه المناسبة الوصول اليه . فيجتاز المرفأ على قارب " الشاوش باشي " الذي له سبعة ازواج من المحدثين . وعندما يصل الى اليابسة على الضفة الثانية يستقبله موظفان من الحجاب " شواش " ويقوداه الى جناح حيث لايلبث ان ينضم اليه " الشاوش باشي " الذي يقوم بوظيفة تقديم الشفراء ثم يقدم للوزير المفوض الدخان والقهوة والمربيات والشرب " ويدعى بعد ذلك لامتناء عبوة جواد من جواد السلطان مجهز باثمن عدة . ثم يتابع غريقه ماشيا يسير عن شمال " الشاوش باشي " يتقدمه موكب المؤلف من رجال حرسه الانكشارية ومن " العسك باشي " والصوباشي " وهم وكلاء الشرطة ، ونائب اسطبلات السراي ، ومن ثلاثين الى اربعين شاوشا . ورئيس الارطة ، والمهندار الخ ثم تاتي بعدهم جياد السفير وعي غير مستطاة ثم خدمه ، ثم بعد ذلك تاتي تراجمة السفارة واخيرا امين سره حاملا رسائل اعتماده محفوظة في اكراس من الجوخ المذهب وبحيط ال Haydouks بكلكه بالسفير ومحتطي الخواصر من حاشيته ايضا جيادا تابعة للسراي . وعندما يصل الى قصر الباب العالي يصطف كل موظفي حاشيته الصدر الاعظم في باحة القصر للقيام بالتعظيم له . ويستقبله ترحمان ادباب العالي في اعلى الدرج ثم يقوده الى القاعة حيث يكون موحودا فيها رئيس التشرفات وكثير من الموظفين . ومن هنا يدخل الى قاعة المقابلة حيث يحتل رجال من الشواش والحجاب وغيرهم قسما منها . ثم يفتح باب خفي يتقدم منه الصدر الاعظم ويكون متكئا على الكخبة بان جهة اليمين وعلى التقبوجي لركخية سي " رئيس حجاب القصر اليسار ويتقدمه وزراء وامناء سر الدولة وهم يحضون بوقار اثنين اثنين . ثم على الاثر تسمع في القاعة اصوات الادعية في ان يحفظ الله السلطان وذائبه .

يجلس الصدر الاعظم في صدر الاركة ويقف الموظفون الذين سبقوه على الاركة نفسها ويكبهم وايديهم مشتبكة فوق صدورهم . ويكون عن يمينه الرئيس افندى والشاوش باشي ورئيسا الاستعداد وامين سره الخاخر . وعن يساره الكخبة بان مع اربع رؤساء الارطات وهم مشلو فرق جيش المشاة الاربع لدى الباب العالي . ويجلس السفير على مقعد حيث يتلو خطبة يقوم بنقلها الى اللغة التركية ترحمان للباب العالي الذي يكون واقفا عن يساره . فيجيبه الصدر الاعظم بزلزلة ثم بعد

ان ينقل نفس الترحمان كلامه الى السفير فيقيم هذا الاخير ويتناول اوراق اعتمادهم من يد امين
 حرمه ويقدمها للرئيس افندي الذي يضعها على وسادة قرب الصدر الاعظم وعندما يقوم
 غلمان مرتدين البسة ثمينة فيضعون على ركبتي الصدر الاعظم وركبتي السفير قماشاً من الحرير مزركمة
 اطرافه بخيوط الفضة ثم يقدمون لهما الميريات والقهوة والشراب وعطر العنبر وماء الورد . الا
 انهم عندما يخدمون الصدر الاعظم يضعون احدى ركبتيهم على الارض . وبعد ان يشرب كأس الشراب
 بحبه الحضور برفع يدهم اليمنى من فمهم الى جبينهم . وبعد الانتهاء من هذه العادة يقوم رئيس
 التشرفات ويضع بين ثياب السفير وردائه مندبلين من الحرير مزركمين بالذهب ويلبسه فروة من
 جل السمور . ويفرق على رجال حاشيته ثلاثون او اربعون " ققطانا " ويكون الصدر الاعظم اثناء ذلك
 يحدث السفير الا انه لا يتحراى من مكانه عندما يقف السفير ويسلم بالانسحاب ولا يرد له اخر تحية
 الا باحشاء راسه قليلا . وعندما يرجع السفير الى قصره تستقبله الموسيقى العسكرية حيث يقوم بالعزف
 بتتابع الفرق الموسيقية الاربع التابعة للسراى وللباب العالي " ولد مير قابو " ولبرج غلطة . ويحوى
 له ذلك تبعا للعادة المستعملة نحو الموظفين العثمانيين الذين يهتأون يوم تنصيبهم وتثبيتهم في
 مراكزهم بمعزوفات نفس هذه الفرق الموسيقية العسكرية . ويقدم ايضا للسفير من قبل الصدر الاعظم
 اطباقا عليها الورد والفواكه .

ولا يقابل السلطان احدا الا في ايام انعقاد الديوان . ولقد وصفنا الاحتفالات التي تجرى
 بمناسبة انعقاد هذا المجلس . وسوف لانبثح هنا ايضا يتعلق بمقابلة وزير نفوذ اجنبي . فعليه
 ان يتنادر قصره في حرم الفصول عند الصبح ويكون له نفس موكب الاحتفال السابق انما عليه ان
 يقف في انتظار الصدر الاعظم عندما يصل الى الاى كمان الكائن على مدخل طريق كبير يورى من
 الباب العالي الى السراى . وكان ينتظر فيسأله ساعة كاملة اما الان فانه لا يبقى غير ربع ساعة
 تقريبا . وعندما يمر الصدر الاعظم مع حاشيته البهية يتابع الوزير طريقه ثم ينزل من على صهوة
 حواده لما يصل الى باب السراى الثاني حيث يكون ترسمان البلاط واقفا للاستقباله . ويضطر ايضا
 ان يقف ما يقارب النصف ساعة تحت هذا القبة . ثم يجتاز على قدميه باحة السراى الثانية بتقدمه
 الحاشى باشي ورئيس حجاب السراى (القبوجي لركمخية سي) وعما يضربان بتتابع الارض بعصاهما
 المحلاة بصفائح الفضة . وعندما يدخل الى هذه الباحة يرى من ناحية رجال الانكسارية مسرعين
 لاخذ صحن الرز ومن ناحية ثانية رجال خدمه وهم يهتأون بتناول الاطعمة المقدمة لهم .

عندما يدخل السفير الى قاعة الديوان يحد فيها كل اعضاء المجلس عدا الصدر الاعظم الذي يدخل بعد برعة وجيزة من باب خفي . وبعد ان يجلس الصدر الاعظم يجلس السفير على مقعد يقف عن يمينه امين سر السفارة حاملا رسائل الاعتماد وعن شماله ترجمان الباب العالي . وبإشارة من الصدر الاعظم يتقدم هذا الاخير منه ويقبل ثوبه ويصدر ~~بوصف~~ له الامريان بسال السفير عن صحته . فيقوم بمهمته بصوت خافت ثم يرجع لعند الصدر الاعظم ليعطي له الجواب فيقبل ثوبه ايضا ويرجع الى مكانه .

عندئذ تبدى جلسة الديوان التي تدوم ساعة تقريبا . وعند انتهائها يوجه الصدر الاعظم عريضة للسلطان يطلب فيها ان يتكرم وينحهم الشول بين يديه . وبعد وصول الخط شريف الذي ينحهم لذلك تنصب خمس موائد صنيعة واحدة امام الصدر الاعظم يدعى اليها السفير وثلاث اخرى امام القبودان باشا والنيشنجي والدفترداريون الثلاثة حيث يتناول الاوروبيون من حاشية السفير الطعام معهم . وتخصص الخامسة لقاضي عسكر فقط ان يعتقد بانهما يتدنسان اذا قبلا كمارا على مائدتهما . وليس هناك اغطية للموائد ولا ادوات . ويتقدم على كل مائدة من هذه الموائد خمسون صفا يوضع الواحد بعد الآخر . والصدر الاعظم هو الذي يتبدى دائما فيتناول الطعام من الصحن الذي منه باصابعه او وضع فيه ملعقة وشو يدعو في كل مرة ضيفه بإشارة من يده ليحضر حوزوه . ويقف الترجمان على يمينه . ولا يقدم للشرب سوى مرة واحدة وذلك في اخر الطعام ويكون ما يسمى " شربة " او شراب ويصب الخلفان الماء على ابدى المعزبين قبل تناول الطعام ويعدده ويحصل في بعض الاحيان فضول عند السلطان كي يشاهد في قاعة الديوان الاوروبيين الذين سيمثلون بين يديه . عندئذ يرى من خلال الشجيرة المذهبة التي تكون على نافذة مرتبة الكائنة فوق مقعد الصدر الاعظم .

وبعد مضي نصف ساعة يكون مخيم فيها على الجميع صمت عميق يقاد السفير من قبل مترجم الباب العالي ورئيس التشریفات الى مكان في الباحة معين واقع بين قاعة الديوان وقاعة العرض حيث يلبي فرقة من جلد السمور . وتفترق في نفس الوقت الخلع والقفاطين على رجال حاشيته . وعندما يخرج اغا الاكدارية والقاضيا عسكر من قاعة المجلس يتوجه الصدر الاعظم ومعه القبودان باشا نحو قصر السلطان حيث يتبعهما السفير . وعند وصوله الى باب السعادة يتقدم منه اثنان

من رؤساء الحجاب (قبودجي باشي) فيسعدانه من تحت ذراعيه . ويقوم عرسهما باجراء نفس الشيء مع الاوروبيين الذين يرافقون السفير . ويجتاز الجميع رواقا يصطف على جانبيه مولفو عرفة السلطان خاص اوضه لي * والفلدان .

وعند دخوله الى قاعة العرش ينحني السفير ثلاث مرات ويقف على بضخ خطوات من السلطان الذي يكون حالسا على الطريقة الاوربية . ويقف الصدر الاعظم وامير البحر والمير علم امام العرش كما يقف مقابل الحائط عن يسار السلطان ثلاثة موظفين من الخصيان البيض ويقوم ترحمان الباب العالي بترجمة الخطبة التي يلقيها السفير ولكن خشوعه وصوته الغير واضح يدلان على الخوف اكثر مما يدلان على الاحترام (١) . واما السلطان الصدر الاعظم باشاره من راسه ان يجيب . فيفعل وينقل كلامه الى السفير الذي يتناول رسائل اعتماده من يدى امين سره ويقدمها للمير علم الذي يقدمها بدوره لامير البحر فيعطيها هذا الصدر الاعظم الذي يضعها على احدر وسائد العرش . وعلى اثرها ينسحب السفير فيمتطي حواده عند باب السراى الثانى ويصطف مع موكله في باحة القصر الاولى منتظرا مرور الصدر الاعظم بعدها يتابع سيره وعند وصوله الى قصره تهنئوه الفرق الموسيقية الاربع التي تكلمنا عنها .

الترشيح

ويجرى مثل هذا الاحتفال للسفراء وللوزراء من ذوى الدرجة الثانية . ولا يكون هناك اختلاف الا في عدد الكسارية الذين يوفقون رجال حرس الشرف ويعدد الخلع (ققاصين) المسوخة وجياذ السراى ويعدد اشخاص الحائمية الذين يقبلون في قاعة المجلس . ويمكن ان يرافق السفير من عشرين الى خمس وعشرين شخصا بينما لا يرافق الوزير سوى خمسة شخصا .

كان لايمنع لمثلي الدول الاوربية في بادى الامر سوى الخلع السنية (القفاطين) . الا

ان سفيرا نمونيا فوق العادة كان اول من منح له فروة من حلد السمور وكان ذلك سنة ١٦٤٤ وهي ميزة مخصصة عند الامتدليس لباشوات الاطواغ الثلاثة وللثلاث شخصيات الاولى من هيئة العلماء . انما رجع الباب العالي في عهد السلطان احمد الثالث الى منح الخلع . وظل حريصا على اتباع ذلك حتى نقضها عام ١٧٧٢ اكراما لوزير مفوض جديد اسوجي وهو : M. Ulric de Celsing وظلت هذه المنحة متبعة منذ ذلك الوقت نحو كل الوزراء اذ جانب .

يظل الاوروبيون في الجلسات التي جئنا على وصفها محتفظين بقبعاتهم على رؤسهم

(١) بما انه رجاه جهاب العالي لا يظهر ان السلطان الذي مناصبه مقابلة هذا الاجنح سفير اجنبي فانه يجب عليه عند دخوله الى قاعة العرش ان يسجد ويضع جبهته على الارض مع انه ليس كذلك اي منظر مسلم يحج السلطان بمنى هذه الطريقة الزبلة .

انما لا يحق لهم المشول بين يدى السلطان حاملين سيوفهم . ففي سنة ١٧٠٠ اخبر ضيفو ترجمان الباب العالي سفير فرنسا *M. de Ferriol* في الوقت الذي كان سيدخل فيه الى قلعة العرش ان العادة تقضي بان يترك سيفه . الا انه رفض بعناد بالرغم من انهم اخبروه ان مثل هذا العمل طبق على السفراء الذين خلفهم وعلى بقية الوزراء الاجانب . واصلوا الخبر الى الصدر الاعظم الذي كان آنذاك في عند السلطان . ولكن مصطفى الثاني رفض ان يحدد عن القاعدة القديمة . واعطى الامر للترجمان ان يعلن للسفير عدم السماح له بالدخول اذا لم يوافق على ترك سيفه . وظل *Ferriol* مصرا وانسحب تاركا " القبطان " الذي منح له . وحذا رجاله حذوه . وردت له الهدايا التي جلبها معه والتي كانت لاتزال معروضة امام قاعة العرش (١) وكان سفراء البندقية عم الوحيدون الذين ... *يحبون باحسان* ... فياتون كل ثلاثة اعوام مع مراكب حربية الى الدردنيل حيث تكون بانتظارهم سفينة عثمانية لتقلهم الى الاستانة . وبعد بضعة ايام من مجيئهم يجتازون حي غلطة تتبعهم حامية كبيرة ويرافقهم *Voyvode* هذا الحي والشاوش بالشي . ويلبسون في هذه المناسبة رداً طويلاً يلبسونه وقت الجلسة . ويأتي سفراء راغوزة مرة كل ثلاثة اعوام وذلك لتقديم الجزية التي فرضها الباب العالي على هذه الجمهورية ولتجديد فضولهم له . انما يترتب عليهم اثناء اقامتهم في العاصمة التي تدوم بضعة اسابيع ان لا يحلقوا ذقنهم ويرتدوا الثياب الشرقية وان لا يحتفظوا بشبابهم الأوروبية الا في قبعاتهم . ويرتدون الثياب الرسمية فما يحضرون جلستي الصدر الاعظم والسلطان حيث تجريان بدون احتفال . وهم لا يقبلون في قاعة الديوان ويتناولون الطعام مع ترجمان الباب العالي في جناح العلماء . وتعامل الدولة عسبودار الافلاق وعسبودار البغدان كما كانت تعامل سابقا الملوك الوراثيين لهذين البلدين . فتضع لكل منهما فلتسوة (كوكا) مزينة برمشة ونوبا من الجوج الاحمر محلى بفراء السمور (قبايتتزا) ولا تكون المقابلة التي تضع لهما اذا رمزا لتلاعهما للباب العالي . وعند دخولهما المجلس ينحنيان ثلاث مرات امام العرش . وكان يجب عليهما فيما مضى ان ينسجبا على الفور بدون ابداء ان كلمة . وكان الامير *Mathieu Ghica* هو اول من سُح له بمخاطبة السلطان وقد اكفى بالدعاء طالبا له العز . اما السلطان فانه لا يخاطب قط امرا هاتين المقاطعتين انما في بعض الاحيان يوجه كلامه للصدر الاعظم ويقول : " ليكن مخلصا وذا همة ولينتبه "

(١) ويضيف الراغب في زبدة الخبر في تاريخه انه السمين *M. de Ferriol* فقد سجد لوزير الخزانة " ديلايلجي " .

في حماية رعايا السلطنة وفي دفع جزيرة بلاده في حينها .

يقول المونغ *Moangk* كعبان الاحتفال الذي كان يجري فيما مضى لاستقبال الوزراء المفوضين الاجانب ممنوع الذي كان يجري نحو مثلي الملوك الخاضعين للسلطان . ولم يتحسن ذلك نحوهم الا في اخر عدد مراد الثالث . اذ حصلوا على امتيازات عديدة منها تناول الطعام في قلعة الديوان على مائدة الصدر الاعظم . وبخلاف نفس هذا المونغ . ويقول بانه قد دفعتم اموال كثيرة لكبار رجال البلاط بهذا الصدد فاخذوا يدافعون عنهم ويسلمون امر منحهم هذه الامتيازات .

ويعامل سفراء ملوك المسلمين معاملة افضل وخصوصا سفراء العجم . فيخرج الحاشي باشي على رأس فرقة انكرارية لاستقبالهم قبل مدينة اسكدار ويجري لهم عيد قخم عند وصولهم الى هذه المدينة المجاورة للمصامير . وكانوا يجتازون البوسفور فيما مضى على سفن حربية بينما تطلق المدافع مشيرة الى مرورهم هذا . ويجري سيرهم بابهة منذ وصولهم الى الضفة الثانية ار الى الاستانة . حتى المكان الذي عين لاقامتهم . وهم يجلسون على الاركة عندما يكونون عند الصدر الاعظم اما في قلعة الديوان في السراي فانهم يجلسون على الاركة قرب النيشنجي . ويدخل معهم الى قلعة الحرس اربعون او خمسون شخصا من رجال حاشيتهم . ولكن السلطان لا يخاصبهم اذ الصدر الاعظم هو الذي يرد على خطبتهم باسم مولا السلطان .

وكان يترتب على الوزراء الاوروبيين سابقا في كل مرة يقابلون به الصدر الاعظم ان يقدموا الهدايا له ولوزراء وانشاء سر دائرته . وتتألف هذه الهدايا من الديباج والحرير والجوخ . وتحدد هذه الهدايا في عيدي الفطر والاضحى وعند تعيين صدر اعظم اورثيس افندي جديدين . ان هذه العادة التي تكلف كثيرا والتي يظهر انها وضعت ليكون لها معنى الخضوع انيت بعد معاهدة قنبرحه . ولم يحتفظ الا بالمنح التي تعطى أثناء المقابلات الاولى لرجال الصدر الاعظم ولسواس السراي . وهي ترتفع في كل مرة ^{الى} الف ومئتين الف وخمس مئة قرش . ومن العادة ان يقدم الوزراء الاجانب احترامهم للسلطان عندما يزور قصر النلمان الخدم في غلطة او وقت قيامه بنزهاته في فصل الربيع عندما ياتي ليقضي بضع ساعات في مكان بديع قرب بيوت دره *Bispek d'ere* ويكون ذلك بان يرسلوا له المزيات والطويات في اوان من البلور او الصيني . ويرافق ترجمان كل وزير هذه الهدية التي يقدمها لرئيس الخصيان السود

فيعطيه هذا باسم السلطان مئة قرش .

لايقابل الوزير المفوض السلطان ولا الصدر الاعظم بعد المقابلات الاولى التي تمنح له الا اذا اراد تقديم اوراق اعتماد جديدة . ان يسلم رسائل اخبارية . فاذا دعي الى بيته يمنحه السلطان جلسة يعطى له فيها اجوبة رسائل الاعتماد المقدمة من قبل خلقه . واذا كان سيرا مركزه مؤقتا فانه لاياخذ السماح بالذهاب الا من الصدر الاعظم .

ولقد كان من الاصول فيما مضى ان يذهب الوزراء الاجانب لتقديم تهنيتهم لكل صدر اعظم او امير بحر جديد . ويذهبون لتوديع هذا الاخير عندما يبحر كعادته سنويا مع الاسطول الى الارخبيل . الا ان هذه العادة الضمت منذ عهد السلطان مصطفى الثالث . وانه يمكن الان لوزير اوروبي ان يقسم بضعة اعوام في الاستانة بدون ان تحصل له مناسبة الاتصال بالوزير للدولة او اي موظف . ولا يحصل مندوب سلمي اجنبي على مقابلة من الرئيس اقندر الا اذا كان الامر على غاية الاعمية . في مثل هذا الحال يكون من الرئيس اقندر ترجمان الباب العالي وامين سره *Ameddji* ليقوم باجراء البروتوكول . ويصطحب المفاوض الاوروبي امين سر وترجمان السفارة فيقوم الاول بتدوين اعمال الجلسة ويقوم الثاني بالتثبت من صحة ما ينقله ترجمان الباب العالي .

ولكن في الشؤون العادية او التي اقل اهمية قال الوزراء المفوضين لايتعاملون مع وزراء الباب العالي الا بواسطة تراجمهم . فانه ضروري والحالة هذه ان يكون لدى السفارة تراجمة ماهرة ولقد شعرت بمثل ذلك حكومات اوروبية كثيرة الى درجة جعلتها تنشيء مدارس خاصة لتعلم الشبان الذين يعدون للعمل في بلاد الشرق . وهم يعملون بعد ان يتعلموا اللغات الشرقية كترجمة في قنصليات حكوماتهم التي في مرافق الشرق . ثم يلتحقون بالسفارة ليقوموا بنفس العمل . وبعدها يمكنهم ان يصبحوا قناصل او امناء سرفي السفارات .

ولكل سفارة واحد او كبر من التراجمة يقوم الاول منهم بالاعمال السياسية فيحرر باللغة التركية الملاحظات والذكرات التي يجب ان تقدم عن كل موضوع ويساعده في عمله هذا كاتب تركي يكون في خدمة السفارة . ولا يوقع السفير هذه الاوراق انما يكتب بوضع ماهره عليها . وهو لا يوقع الاعلى الملاحظات التي يقدمها باللغة الفرنسية او ايطالية وتكون على شي من الاهمية في في الشؤون السياسية . ولا يمكنه ان يرسل في اي موضوع كان سوز الرئيس اقندر الذي يوجه

هنا

طلبه الى الدوائر المختصة . ونلاحظ/ بأنه من شعار أعضاء الحكومة ان يتقبلوا في قضاء الاعمال التي هي على شيء من الاهمية والتي تخرج عن دائرة الشؤون العادية . فيؤجلون النظر فيها من وقت الى اخر ويؤخرونها سنين عديدة بدون ان يتتوا فيها . واذا سئلوا عنها يرددون القول وينتمى البرود ، سننظر فيها او انشاء الله . ونشده هذا التردد عن جهلهم وخوفا من تحمل المسؤولية . ان بما ان الوزير يكون غير شاكد ابدا من ان يظل في منصبه حتى الغد فانه يترك لمن سيخلفه ما يمكن ان يعرضه للمكاره . وان الاعمال العادية للسبب ذاته تقضى بسرعة مدعشة ، ان يهتم كل موظف ان يقضيها حالا لكي يقيض المال الراجع له فيها . اما بقية تراجمة السفارة فانهم يساعدون مواطنيهم في اعمالهم في المحاكم والجمرات والشرطة الخ . . . ويرتدون جميعهم الالبسة الشرقية ويضعون على راسهم "القلبك" مصنوعا من فراة السور .

ولقد مر بنا كيف ان الدول الاوروبية الكبرى التي اجرت معاهدات مع البلاط العثماني حصلت لسفرائها وقضاصلها القدرة على استخدام اناس من مسيحيي البلاد كترجمة عند عم . ومنع نفسه هذا الحق لبقية الدول التي عقدت معاهدات تجارية ومداقة مع الباب العالي . ~~ويستعملون~~ وحدد في بعض هذه المعاهدات عدد التراجمة الى ثلاثين او اربعين . وقد ذكر في سرعنا ان يكون للسفير ترجمانان وللقدس ترجمان واحد . الا ان هذا العدد ضعيف للممثلين الاجانب وذلك في عهد السلطان مصطفى الثالث . وياخذ الوزير المقوض براءة من الباب العالي من اجل الشخص الذي عنده ترجمانان ويتمتع هذا الاخير منذ ذلك الوقت بالامتيازات والحصانات التي يتمتع بها الاوروبيون . ولكن بما ان عدد البراءات التي حصل عليها بموجب المعاهدات تزيد عن عدد التراجمة الذين يعملون في السفارة فان السفراء يبيعونها ببالغ معين لاناس من اهل الذمة . ويصبحون بهذه الوساطة تحت حماية السفارة ويجدون ملجأ لهم ضد تعديات موظفي الدولة ويدفون كالاوروبيين ثلاثة بالمئة ضريبة للجمرات من اجل بضاعتهم . وكلما استعملت السفارات تراجمة وضّيين وزاد عدد القضاصل كلما زاد عدد البراءات المبلغة لاهل الذمة .

عدا ذلك فانه يمكن لكل ترجمان ان يستخدم عنده شخصين يعقيان من الخراج ومن ارضية وهما يحملان من اجل ذلك فرمانا من الباب العالي . الا ان هذه فرمانات لاتلبث ان

تنتقل من ايدي الخدم الى ايدي بقية الناس الذين يشترونها ليضعوا أنفسهم تحت حماية سفارة
اجنبية . وبعد وفاة صاحبها ترجع هذه البراءة او الفرمان الى السفارة . ويتراوح سعر البراءات
بين الفين وخمسمئة واربعة الاف غوش . وسعر الفرمانات بين الاربع مئة والثمان مئة حسب اهمية
المركز التجاري التي هي مضمونة له . وكثيرا ما كانت تسبب هذه البراءات محادلات عنيفة بين
الباب العالي والسفارات الاجنبية . فالباب العالي يحتج بان هذه البراءات اسيء استعمالها
وانها تحرم خزينة الدولة من حقها في الضرائب التي كان يجب ان يدفعها اشخاص اغنياء من
رعايا السلطان ويدافع السفراء عن حقهم الذي تنص عليه المعاهدات . واذ كانت هذه البراءات
تؤمن لهم مبالغ من المال فانها غالبا تسبب لهم مشاكل ايضا . فاذا لاحقت الدولة هؤلاء
الاشخاص الذين هم تحت حماية السفارات ويكون بينهم من اصحاب البيوتات المالية فانه اشتبه
بجدال مع السفارات التي تريد ان تحبسهم . ويدعم الديوان هذا البعد وهو ان كل ترحمان بالاسم
فقط يعتبر من رعايا السلطان ولهذا فقد حصل ان حكم على احد حاملي البراءات بالموت وباستنفاء
امواله . ويقدم السفراء والقناصل ايضا براءات يضعون بموجبها اشخاصا من العثمانيين تحت
حمايتهم ويتالم الباب العالي من سوء الاستعمال هذا لما صعب الاحتمال ولكنه ليس لديه القوة
لازالته . وعويكتفي احيانا باغلاق وتنكيد اولئك الذين براهم على غير حق في التمتع بحماية
اجنبية الا انه استعمل من بضعة اعوام طريقة حكيمة ليحول هؤلاء الرعايا عن طلب هذه الحماية
وذلك انه اخذ بمنح الذين منهم يتاجرون مع الخارج نفس تخفيضات ضرائب الجمر التي يتمتع
بها التجار الاوروبيون المقيمون في اراضي الدولة ومؤكدا لهم ايضا حمايته الخاصة . وهو علاوة
عن ذلك يقدم لهم براءات تامينا لعودهم ومنذ ذلك الوقت خفت طلباتهم في الحصول على حماية
الوزراء الاجانب .

ولم يرسل البلاط العثماني حتى هذا الزمن الاخير بعثات الا في مناسبات رسمية .
وكانت اقمعها طاء التي تتوجه الى بلاد العجم حيث تقيم ~~هنا~~ هذه الامبراطورية المجاورة
حفلات تكريمية كبيرة . ويخرج لاستقبالها اخلاص اوحكام الولايات التي تمر منها ويقومون لها في
قصورهم اعياد ازاهية . ويجري نفس هذا الاستقبال في الدولة العلية لسفراء العجم . ولم يبتدئ
الصلاطين في اعلام حكومتي النمسا وروسيا خبر تسلمهم العرش الا منذ عهد السلطان محمود
الاول وذلك بارسال سفير من الدرجة الثانية ويكون عادة من حاملي رتبة الباشا محاسبجي .

از رئيس المكب الثاني لدائرة المالية . الا ان السفراء يحصلون غالبا على رتبة باشا بكتوريا الروم ايلي .

وعلى كل سفير عثماني ان يقدم تقريرا عن رحلته حين رجوعه الى الاستانة . ويمكننا الحكم على قيمة هذه الملاحظات التي يبدونها اشخاص لا يعرفون از لغة اجنبية وعم غير مثقفين ويكفونوا قد مكثوا مدة ضئيلة فقط . ولهذا فاننا لانجد في تقاريرهم الا اخبارا مفصلة عن الاحتفالات التي قيمت لهم مع ملاحظات تافهة . وهم يجتهدون عادة في اصرار سلوكهم الخاص ومحاولاتهم التي ابدوها في كل المناسبات لجعل السير يحترم عظمة الاسم . وقد سئلهم . وذكروا كل منهم انه استقبل ببيعة خاصة وانه اقيمت له حفلات لم تجر لسفير قبله . ومعظم هذه التقارير موجود في تواريخ السلطنة واحضروا تقرير محمد افندي سفير السلطان احمد الثالث في بلاط فرنسا عام ١٧٢١ عندما كان لويس الخامس عشر قاصرا بحد (١) .

وعندما رجع معان زاده حسين باي مندوب السلطان محمد الرابع في بلاط دهلبي سنة ١٦٥٣ سأل هذا بفضل عن اغرب شيء استرعى انتباهه وهو في الهند . فاجابه حسين باي حسب رواية المؤرخ نعيمة ، وبمنتهى البرودة بانه لم يلاحظ شيئا وانه كان ملتفتا فقط الى مهمته . وانه كان عديم الصبر لتراخي البلاد التي لا يمكن في اية حال مقارنتها بحمال البلاد التي لها الحظ بان تكون خاضعة لجلالته .

العضويات الدينية نحو غير المسلمين تقوي ايضا هذا الكبرياء الناشئ عن انجمل وعن احتقار كل ما هو اجنبي . وفي التاريخ حادثة من هذا النوع تستحق الذكر . وهي ان شاه العجم خسرو الاول من عائلة Bouyê أرسل سنة ٩٨٠ بكر الباقلائي احد ائمة بلاطه كسفير للامبراطور باسيل الثاني . ويذكر المؤرخ احمد افندي ان هذا الشيخ كان مأخوذا بعظمة الاسلام وعظمة مولاه . ولهذا فانه لدى وصوله الى القسطنطينية قال بانه مع احترامه للامبراطور البيزنطي

(١) وتحتوي التواريخ ايضا عن تقارير رسمي احمد افندي الذي كان سفيرا في فينا سنة ١٧٥٨ وفي برلين سنة ١٧٦٣ . ودروش محمد افندي لدى رجوعه من بطرسبرج عام ١٧٥٥ ومحمد اغا سفير السلطان في فرسوفيا سنة ١٧٥٨ ودرى افندي المندوب الذي ارسله السلطان سنة ١٧٢١ الى بلاط ملطانيا العجم .

لا يمكنه ان ينحني له بدون ان يهين الاسلام بعمله هذا ، واستفاد رجال الامبراطور من هذا التلميح ودبروا الامر وذلك بانهم عندما قادوه الى القصر لمقابلة المبراطور وجد نفسه امام باب صغير يؤدى الى غرفة العرش . فلما شعر الامام بالحيلة ادار ظهره ودخل القهقرى . ويضيف المؤرخ بكل رصانة ان سرعة خاطره هذه جعلت له مقاما كبيرا عند المسلمين واعطت المسيحيين ايضا فكرة عالية عن سحاياه .

ولا يقوم الوزراء المشايخ في بلاط فينا باجراء العادة القديمة التي تنص بتقبيل طرف ثوب الامبراطور في اخر المقابلة المكرمين . وقد ارسلت الدولة راتب اقدى مندوبا لها في فينا سنة ١٧٩٢ اذ حالا بعد معاودة صلح سيستوفيا . ولكنه تعمد الا يقوم بهذه العادة في المقابلة الاولى التي جرت له مع الامبراطور ليوبولد . انما اخبر في ذات اليوم بانه اذا لم يتعمد بتقبيل ثوب الامبراطور في المقابلة الثانية التي ستجرى له قبل مغادرته البلاد ~~سيستوفيا~~ ^{لن} يعترفوا في الحال بصفته الرسمية وسيارسل الى الاستاذة من يقدم التبركات عنه للسلطان . فاضطر راتب اقدى ان يخضع للامر . ولكي يعوض عن خطأه فقد قبل مرتين ثوب الامبراطور فرانسوا الثاني .

انما قرر الباب العالي اخيرا سنة ١٧٩٣ ان يعين له مندوبين دائمين في بلاطات باريس وفيينا ولوندره وبرلين وكان في نيته ان يعين مندوبا ايضا لدر دولة خامسة الا ان هذه تجنبت بحذافة هذا العرض . ويترتب حسب هذه الخطة ان يلتحق ثمانية او عشرة شبان عثمانيين بكل سفارة من هذه السفارات حيث توهم لهم الوسائل الدروم لتعلم اللغات والعلوم والفنون الأوروبية ولكن هذا العمل لم يكن من الممكن اجراؤه الا بعد مدة طويلة واذلك لانه كان يتعارض كثيرا والعصبيات الوطنية . ولقد جابه الباب العالي في بادري الامر صعوبة ايجاد اشخاص من ذور المانة يمكن تذكيل كراميتهم للذهاب الى بلاد مسيحية . ولقد ~~ماكل~~ اضطر في اخر الامران يبعدهم بان مهمتهم سوف لاتدوم اكثر من ثلاث سنين . ولقد وجد صعوبة مماثلة في تعيين موظفي السفارة بالرغم من الشروط الجيدة التي عرضها ولكن بعد بضعة اعوام اخذ الباب العالي يبلغني هذه السفارات وعين بدلا من السفراء في هذه البلاطات مندوبين يونانيين .